

نصوص شعرية ونثرية أنجلسية

الدكتور
صالح حسن اليظي

كلية الآداب
جامعة الاسكندرية

اهداءات ٢٠٠٢

الشاعر / محمد العليم القباني

الإسكندرية

نصوص شجرية ونثرية أنطالسية

الدكتور
صالح حسن اليظي

كلية الآداب
جامعة الاسكندرية

فهرست

صفحة

٣

أولاً : الشعر

٤

المعتمد بن عباد

٢٥

ابن زيدون

٣٦

ابن خفاجة

٥٨

الأعمى النظيلي

٧٢

ابن هاني

٩٢

ابن عبد ربه

١٥٥

ثانياً : النثر

٢٠٢

٢- رسالة الجدية لابن زيدون

أولاً : الشعر

المعتمد بن عباد

قافية الراء

وقال يستعطف أباه حين نخرج من مألقة^(١) :

سكن^(٢) قوادك ، لا تذهب بك^(٣) الفكر

ماذا يُعيد عليك البث^(٤) والحدُر

وازجر جفونك ، لا ترض البكاء لها

وأصبر ، فقد كنت عند الخطب تضطبر^(٥)

وإن يكن قدرٌ قد عاق عن وطر

فلا مردٌ لما يأتي به القدر

وإن تكن خيبة في الدهر واحدة

فكم غزوت^(٦) ومن أشياحك الظفر

(١) كان المعتضد بالله قد بعث بابنه جابرو محمد المنتجب بعد بالمتنجد إلى مألقة بعد تقاص الظلال الجودية عنها فاستوليا عليها سنة ٤٥٨ ثم لم يلبث المنازلة بها أن استمرخوا أميرهم باديس فأسرع إلى محاربة ابن عباد فهزمهما واضطرها إلى الفرار إلى رندة ... فخطب المعتضد أباه بهذا الشريش شطفه ويسليه عن مصابه في هزيمته ...
وانظر البيان المغرب (٣: ٢٧٣) .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١: ١٤٥) والمجموع (١: ٢١١) . والمطرب ص ١٢ وقلائد القيان ص ١٩ ورويات الأعيان ٢: ٤١ واصل الذخيرة (٢١: ١١ ، ب ٢: ١٤) والمرئسات والطربيات (٦٠) والحلة السرا، نقلا عن درزي ص ٦٣

(٣) في قلائد القيان والمجموع أ «به» .

(٤) في خريدة القصر «المهم والسهر» .

(٥) في المجموع (تستبر) .

(٦) في المجموع «ظلت» .

إن كنت في حيرة من ^(١) جرم مجتري
 فإن عذرك في ظلماتها قر
 كم ^(٢) زفرة في شغاف ^(٣) القلب صاعدة
 وعبرة من شؤن الدهر تنحدر
 فوض إلى الله فيما ^(٤) أنت خائفه
 وثق بمعتضد بالله ، يغفر
 ولا ترعك ^(٥) خطوب ، إن عدا زمن
 فالله يدفع ، والمنصور ينتصر
 واصبر ، فإنك من قوم أولى جلد
 إذا أصابتهم مكروهة ، صبروا
 من مثل قومك ، من مثل الهمام أبي ^(٦)
 عمرو أبيك ، له مجد ومفتخر
 سميذع ^(٧) يهب الآلاف مبتدئاً ^(٨) ويستقل ^(٩) عطاياها ويعتذر ^(١٠)

(١) في أصل الذخيرة والحلة « عن جرم » .

(٢) هذا البيت والأبيات الأربعة بعده رواها المجموع والحلة السيرة .

(٣) الشغاف كسحاب : غلاف القلب أو حجاب أو سريانه .

(٤) هذه رواية الحلة السيرة وفي المجموع « بما » .

(٥) في الحلة « ولا يروعك خطب » .

(٦) هذه رواية الحلة السيرة . وفي بعض النسخ « والملك الهمام أبو » . عمرو أبوك .

(٧) السميذع : السيد الكريم الشريف السخي الموطن الأتكان والشجاع .

(٨) في المجموع « مقتدرا » وما أثبتنا من المصادر الأخرى .

(٩) في المرفعات لابن سعيد « وبعد ذلك يلقي وهو يعتذر » .

(١٠) في المجموع « ويحتقر » .

له يدٌ، كلُّ جبار يُقبلها
يا ضيغاً، يقتل الفرسان^(١) مقترباً
وفارساً، تحذر الأبطال صولته
هو الذي لم تشم يمينك صفحته
قد أخلقتني صروف، أنت تعلمها
فالنفس جازعة، والعين دامعة
وخلت^(٢) لونا، وما بالجسم من سقيم
ومت إلا ذمء في، يمسكه
لم يأت عبدك ذنباً يستحق به
ما الذنب إلا على قوم ذوى دغل
قوم نصيحتهم غش، وحبهم^(٣)
يُميز البغض في الألفاظ، إن نطقوا

أولا نذاها^(٤) لقلنا إنها الحجر^(٥)
لا توهنتي، فأتى النساب والظفر
صن^(٦) عبدك القن، فهو الصارم الذكر
إلا تأتي مراد، وانقضى وطر^(٧)
وغال^(٨) مورد آمالي بها كدر
والصوت منخفض، والطرف منكسر
وشبت رأساً، ولم يبلغني الكبير
أني عهدتك تغفو حين تقتدر^(٩)
عتباً، وما هو قد ناداك يعتذر
وفي لهم عهدك^(١٠) المعهود إذ غدروا
بغض، ونفعهم - إن صرفوا - ضرر
ويعرف الحق في الألفاظ، إن نظروا

(١) في المجموع : « نداء » .

(٢) يريد الحجر الأسود .

(٣) في المجموع ١ : « الأبطال » .

(٤) هذه رواية المجموع وفي بقية المراجع : « من خد عبدك » .

(٥) ورد البيت في موضعه هذا في المجموع .

(٦) في المجموع « وقال مردها مالي بها صدر » .

(٧) في المجموع « وزاد هي ما » .

(٨) هذا البيت وارد في المجموع والحلة . وفي المجموع « ونبت » . والذمء : بقية النفس

(٩) في ثلاث المقاي : « عدك المألوف » .

(١٠) في المجموع « وسدقهم ... من »

إن يحرق القلب نَفْثٌ من مقامهم
 مولاي ، دعوة مملوك به ظمًا
 أجب نداءً أني قلب تملكه
 لم أوث من زمني شيئًا الذُّ به^(١)
 ولا تملكني دُلٌّ ولا خَفَرٌ
 رضاك راحة نفسي لا بَجُعتُ به
 هو المَدَامُ التي أسلُوبها فإذا
 أجل ، ولي راحة أخرى كَافَتُ^(٢) بها
 ما تَرَكِي الخمر من زهدٍ ولا ورعٍ
 ولأنا ساج في رضاك ، فان
 ما سرتني ، وأحاشي عصر عطفكم
 وإنما ذاك من نار القلي شرُّ
 بَرَجٌ^(٣) ، وفي راحتك السِّلْسَلُ الخِصِرُ^(٤)
 أسى ، وذى مقلة أودى بها السهرُ
 فليست أعهدُ^(٥) ما كأس ولا وترُ
 ولا سبي خلدي غُنَجٌ ، ولا حورُ
 فهو العتاد الذي للدهر يدنرُ^(٦)
 عِدْمَتُها عِدَّتْ^(٧) في قلبي الفِكرُ
 نَظْمُ الكلى في القنا والهَامُ تَنَثَّرُ
 فلم يُفارق - لعمري - سِنَى الصَّغَرُ
 أخفقت فيه ، فلا يفسح لي العمرُ
 يوم أخل به في عيني القصرُ^(٨)

(١) البرج : الشدة .

(٢) هذا البيت والذي يليه ذكرهما المجموع . والخمر ككتف : البارد .

(٣) في المجموع ١ : « أسره » .

(٤) في بنية الأصول « فليست أعرف » وما أثبتنا من المجموع .

(٥) في رواية المجموع « أدنر » .

(٦) في الحلة « رقت » .

(٧) في المجموع « علفت » .

(٨) كذا ورد هذا البيت في المجموع .

كم وقعة لي في الأعداء واضحة
سارت بها العيس في الآفاق، فانتشرت
لا زلت ذا عزة قعساء شائخة
ولا يزل وزد من حسن رأيك لي
إليك روضة فكر جاد منبتها
جعلت ذكرك في أرجائها زهراً^(١)

تفنى الليالي ، وما يفنى لها الخبر
قليل في كل حي غيرها تمر
لا يبلغ الوهم أدناها ولا البصر
آوى إليه ، فنعيم الكهف والوزر
ندى يمينك ، لا طل ، ولا مطر
وكل أوقاتها للجنى ثممر

وأرسل إليه^(٢) :

يا أيها الملك الذي لم يزل
وجامعاً في كفه بالندى
إهناً ، فقد نلت الذي تشهى

يسرى إلى غرته السارى
والباس ، بين الماء والنار
نفسك ، واشكر نعمة البارى

وأرسل إليه أيضاً^(٣) :

أيا ملكاً ، عمنى فضله
عهدنا البحار بحزر ، ومد
دعونا الأمانى لما رضيت
فلم يبق لي أمل أرتجيه
بقيت ، ولا ملك إلا وقد

ولم ألف في بحر نجاه زجراً
وتأبى بحار أياديك جزراً
بخاءت ، توألى علينا ، وتترى
سوى أن أقوم بنعمائك شكراً
غدا ملك كفك ، قهراً وقسراً

(١) في المجمع « شجراً » وما أثبتنا من الخريدة .

(٢) هذا النص من المجمع ١ (ص ٢١٨) .

(٣) هذا النص من المصنف (ص ٢١٩) .

قافية العين

وكتب إلى أبيه^(١) :

ألا يا مليكا ، ظلّ في الخطب مفزعا
ويا واحدا ، قد فاق ذا الخلق أجمع
ترفق بعبد ، وده لك شيمه
إذا كان ود من سواء تصنع
لئن كنت عن جهل ، فديتك ، غافرا
فكم عاثر قالت علاك له : * لعا^(٢)
أقلتي ، تجد عبدا شكورا ، وصارما
يحز من الأعداء إينا وأخذعا
عانتني من السخط الأليم سبابه
فأغري بها ريح الرضا ، كي تقشعا

قافية الكاف

وقال^(٣) :

الشمس تنجل من جمالك فتغيبُ مُسرعةً لذلك
والغيث يججل أن يصبو ب ، لما ي من نوالك
والبدر يطلع ناقصا حتى يتم من كالك

(١) هذا النص من المصدر السابق (ص ٢١٤) .

(٢) كلمة دعاء تنال للعائر .

(٣) النص من المجموع ١ (ص ٢١١) وزجج أنه في أبيه .

قافية اللام

وكتب إلى أبيه جواباً عن تحفة^(١) :

يا مَلِكًا قد أصبحت كَفَّهُ سائِرةً بالعارض الهَاطِلِ
قد أَلْخَمْتَنِي مَنَّةً، مِثْلُهَا يُضَيِّقُ القَوْلَ على القَائِلِ
وإن أكن قَصْرْتُ عن وصفِها فحُسْنُهَا عن وصفِها شَاغِلِ

وقال^(٢) :

بَعَثْتُ بالمرسل انبساطاً متى على خُلُقِكَ الجميلِ
تَزُرُّ حَقِيرًا، ففيه يَأْتِي فضلك في العذر والقبولِ
لو أَنَّهُ مَهْجَتِي لَكَانَتْ تَصْغُرُ في قدرك الجليلِ

وكتب إلى أبيه^(٣) :

وساعةٍ للزَّمانِ مُسَعِفَةٌ قَنَصْتُ فيها أَرَانِيًا وَجَّهَلِ
فلا أَرَانِي الإلهَ منك رَضًا إن لم أُصِدْ من عِدَاكَ كُلَّ بَطَلِ

قافية الميم

وقال فيه^(٤) :

يا مُتَبِعَ الإكرامِ إِنْعاماً ومُتَبِعَ الإِنعامِ إِتِّمَاماً
وعادلاً في النَّاسِ، لِسَكَنَةٍ أَصْبَحَ للأموالِ ظَلَاماً

(١) النص من تحفة النضر (١١ : ١٤٥) .

(٢) هذا النص من المجموع ١ (ص ٢١١) ونرجع أنه في أبيه .

(٣) هذا النص من المجموع ١ (ص ٢١٩) .

(٤) هذا النص من المجموع ١ (ص ٢١٦) .

قرنت في كفك بحر الندى بصارم أسكنته الهاماً
 وجمعت فيك خصال الورى وحزت آراء وإقداماً
 فالموت والعيش بيناك، قد صرفت أسيافاً وأقلاماً
 أثقلت بالإنعام ظهري، فقد ألحمت عن شرك إغماماً
 فاسلم^(١) لإهراق دماء العدا ما طرد الإصباح إظلاماً

وقال فيه حين أصابته الحمى^(٢) :

يا ليت حرب سقى الأعادى طعمين منه^(٣) ، أرياً وسمّاً
 هذا إذا ناشبوه حرباً ، وذا إذا استوهبوه سلباً
 لا غرو أن حُم منك جسمٌ فعادة الأسد أن تُحمّا
 وليهني أن طلعت بدرأً لأعين الخلق مستمّاً
 لا زلت يلقى العداة بؤسى منك ، ويلقى الولاة نعيمى
 وليخز من خال من حسود أن بك^(٤) المحق قد المأ

(١) ورد قبل هذا البيت البيت التالى هكذا :

مفكت أنضالاً دى كن ترى تريد في عورك أعواماً .

(٢) هذه النص من الميجوع ١ (ص ٢٠٥) وفيه « يا ليت حرباً » تحريف .

(٣) في الأصل « منها » .

(٤) في الأصل « أن يكن » تحريف .

وستوف تُحِلُّني رَبِّ المعالي
تزيد على ابن مروان عطاء
تأهب أنت تعود إلى طلوع
غداة تحلُّ في تلك القصور
بها ، وأنيف ثم على بحر
فليس الخسف ملتزم البُذور
فراجع المعتمد بهذه الأبيات :

رَدِّ بَرِّي بَغِيًّا عَلَيَّ ، وَبِرًّا
عَافٌ ^(١) نَزَرِي إِذْ خَافَ تَأْكِيدَ ضَرِّي
فَإِذَا مَا طَوَيْتُ فِي الْحَمْدِ بَعْضًا
يَا أَبَا بَكْرٍ الْغَرِيبَ وَفَاءً
أَيُّ نَفْعٍ يُجِدِّي احْتِيَاطُ شَفِيقٍ
وَجَفَا فَاَسْتَحَقُّ لَوْ مَا وَشُكْرًا
فَاَسْتَحَقُّ الْخَفَاءَ إِذَا عَافَ نَزَرًا
عَادَ لَوِي فِي الْبَعْضِ سرًّا وَجَهْرًا
لَا عَدَمًاكَ فِي الْمَغَارِبِ ذُنْرًا
مُتٌ ^(٢) ضَرًّا ، فَكَيْفَ أَرْهَبُ ضَرًّا
فُجَابُهُ الدَّانِي :

أَيُّهَا الْمَسَاجِدُ السَّمِيدَةُ ، عَذْرَا
حَاشَ لِلَّهِ أَنْ أُجِيعَ كَرِيمًا
لَا أَزِيدُ الْخَفَاءَ فِيهِ شُقُوقًا
لَيْتَ لِي قُوَّةٌ أَوْ أَوَى لِرُكْنٍ
أَنْتَ عَلَّمْتَنِي السِّيَادَةَ حَتَّى
رَبِحْتَ صَفْقَةً أَزِيلُ بِرُودَا
وَكَفَانِي كَلَامُكَ الرُّطْبُ نِيلاً
لَمْ تُمِتْ ، إِنَّمَا الْمَكَارِمُ مَاتَتْ
صَرَفِي الْبِرِّ إِنَّمَا كَانَ بِرًّا
يَتَشَكَّى فَقْرًا ، وَكَمْ سَدَّ فَقْرًا
غَدَرَ الدَّهْرُ بِي لَنْ رَمَتْ غَدْرًا
فَنَتَرِي لِلْوَفَاءِ مَنَى سرًّا
نَاهَضَتْ هَمَّتِي الْكَوَاكِبُ قَدْرًا
عَنْ أَدِيمِي بِهَا وَأَلْبَسَ نَخْرًا
كَيْفَ أَلْقَى دَرًا وَأَطْلُبُ تَبْرًا
لَا سَقَى اللَّهُ بَعْدَكَ الْأَرْضُ قَطْرًا

(١) في المعجب «حاط نرزي ...» : «إذ حاط»

(٢) في الذخيرة «بت» . قال ابن بسام «وهذا المصراع الأخير كأنه إلى بيت أبي الطيب يشير :

«أنا الطريق فساخوني من البهل»

وقال يرثي ولديه^(١)، وفيها يشير إلى قتل ابنه أبي عمرو «سراج الدولة»^(٢) :

يقولون صبراً : لا سبيل إلى الصبر

سأبكي ، وأبكي ما تطاول من عمري

هوى الكوكبان : الفتح ثم شقيقه

يزيد ، فهل عند^(٣) الكواكب من خبر^(٤)

نرى زهرها في ماتم كل ليلة

تُحْمَشُ لَهْفاً وسطه صفحة البدر

ينحن على نجمين ، أثلكتُ ذا وذا

وأصبر^(٥) ؟ ! ما لقلب في الصبر من عذر

مدى^(٦) الدهر فليبك الغمام مصابه

يصنويه يُعذر في البكاء مدى الدهر

بعين سحاب واكف قطر^(٧) دمعها

على كل قبر حلّ فيه أخو القطر

(١) هما المأمون الذي قتل في «قرطبة سنة ٨٤٤» والرازي الذي قتل في «رندة» بعده بأيام . وانظر ما سبق ص ٦٨ .

(٢) النص من «خريدة القصر» (١١ : ١٥١) «فلاند العقيان» ص ١٢ وخطبتي الأخيرة ١٨ : ٢١ ب ٢٢ : ٢٢ والحلة السراء عن دوزي ص ٦٨ .

(٣) في «فلاند» «بعد» وهذا البيت هو السابع في رواية «فلاند» وما جرينا عليه هو ترتيب «لندخيرة» و«رجع صوابه» .

(٤) «الخبر يكسر الخاء وضمة» : العلم بالشيء . وفي الأصل «صبر» وامل ما أثبتناه أولى .

(٥) في «فلاند العقيان» «ويا صبر» .

(٦) هذا البيت وتالياه من «فلاند» .

(٧) في الأصل «قصر» تحريف .

وبرقِ ذِكِّي النَّارِ حَتَّى كَانَمَا
 يُسْعَرُ مِمَّا فِي قَوَادِي مِنَ الْجَمَرِ
 أَفْتَحُ ، لَقَدْ فَتَحَتْ لِي بَابَ رَحْمَةٍ
 كَمَا بِيَزِيدَ ، اللَّهُ قَدْ زَادَ فِي أَبْرَى
 هَوَى بِكَا الْمَقْدَارِ عَنِّي ، وَلَمْ أُمْتَ
 وَأَدْعَى وَفِيًّا ، قَدْ نَكَّصْتُ إِلَى الْغَدْرِ^(١)
 تَوَلَّيْتُمَا وَالسَّنُّ بَعْدُ صَغِيرَةٌ
 وَلَمْ تَلْبِثِ الْآيَامُ أَنْ صَغُرَتْ قَدْرِي
 تَوَلَّيْتُمَا حِينَ انْتَهَتْ بِكَا الْعَالَا
 إِلَى غَايَةٍ ، كُلُّ إِلَى غَايَةٍ يَجْرِي^(٢)
 فَلَوْ عُدْتُمَا لَأَخْتَرْتُمَا الْعَوْدَ فِي الثَّرَى
 إِذَا أَنْتُمَا أَبْصَرْتُمَانِي فِي الْأَسْرِ
 يُعِيدُ عَلَى سَمْعِي الْحَدِيدُ^(٣) نَشِيدَهُ
 ثَقِيلًا ، فَتَبْكِي الْعَيْنُ بِالْجَسِّ وَالنَّقْرِ

(١) ورد هذا البيت في موضع هذا في نسخة ثلاثية .

(٢) » » » » » في رواية النخعي .

(٣) يـ يـ يـ بالحديد ها : القيد

قافية العين

وقال^(١) :

قُبِحَ الدَّهْرُ فإِذَا صَنَعَا كَلَّمَا أُعْطِيَ نَفْسَانَا نَزْعَا
قَدْ هَوَى ظُلُمًا بِمِنْ عَادَاتِهِ أَنْ يُنَادِيَ كُلَّ مَنْ يَهْوَى "لَعَا"
مَنْ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى مِنْهُمْ رَأً أَنْجَاتُهُ كَفُّهُ فَأَنْقَطَعَا^(٢)
مَنْ غَمَامُ الْجُودِ مِنْ رَاحَتِهِ عَصَفَتْ رِيحٌ بِهِ فَأَنْقَشَعَا
مَنْ إِذَا قِيلَ الْخَنَاءُ^(٣) صَمٌّ وَإِنْ نَطَقَ الْعَافُونَ هَمْسًا سَمْعَا
قُلْ لِمَنْ يَطْمَعُ فِي نَائِلِهِ قَبْلَ أَزَالِ الْيَأْسِ ذَاكَ الطَّمَعَا
رَاحَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا دَعْوَةً جَبَرَ اللَّهُ الْعُقَاةَ الضُّبْعَا

قافية الفاء

وكانت بثينة بنت المعتمد في جملة من سبي . حين أحيط بأبيها في القصر ، وظل المعتمد والرميكية أمها في ولى دائم عليها ، لا يعلمان من أمرها شيئاً ، وكان أحد تجار إشبيلية قد اشتراها على أنها جارية . ووهبها لابنه . فلما أراد الدخول بها امتنعت . وأظهرت نسبها . وقالت : لا أحل لك إلا بعقد النكاح ، إن رضى أبى بذلك ، وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها . وانتظار جوابه ، فكتبت إليه بشعر ، فرضى المعتمد بزواجها ، وكتب إليها :

بُنَيْتِي كُؤُونِي بِهِ بَرَّةً فَقَدْ قَضَى الدَّهْرُ بِإِسْعَافِهِ^(٤)

(١) غدة النص من خريدة القصر (١١ : ١٤١) وقصص الحب (مصر ١١٤٠) والمحب من ١٠٢

(٢) لينان الثالث والرابع من المحب .

(٣) في خريدة القصر « الهوى » .

(٤) نص من أوله الى هنا من قصص الحب (بيروت ٢ : ٦٢٨ ومصر ١١٤٠) وانظر النعمة فيه معصية .

قافية القاف

وقال^(١) :

من عَزَا المجدَ إلينا قد صدق	لم يَلَمْ من قال ، مهملًا قال نَحَق
مجدنا الشمس سناء وسنا	من يرم ستر سناها لم يطق
أيها الناعي إلينا مجدنا	هل يضير المجد أن خطب طرق
لا تُرْع للدمع في آفاقنا	مرجته بدم أيدي الحرق
حتى الدهر علينا فسطا	وكذا الدهر على الحر حتى
وقديما كلف الملك بنا	ورأى منا كموشا فعشق
قد مضى منا ملوك شهروا	شهرة الشمس تجلت في الأفق
نحن أبناء بني ماء السما	نحونا تطمح الحاظ الحدق
وإذا ما اجتمع الدين لنا	لحقير ما من الدنيا افترق

ومنها في ذكر مدة إمارتهم :

جَجَا عشرًا وعشرا بعدها	وثلاثين وعشرين نسق ^(٢)
أشرفت عشرون من أنفسها	وثلاث نيرات تألق

(١) هذه الأبيات صدى نقعة ذكرها ابن بسام في الذخيرة في « أن رجلا رأى في منامه إثر الكائن عليه كانت رجلا ممد متراجعا قرطبة فاستقبل الناس يشدهم ».

رب ركب قد أناخوا عيهم في ذرا مجدهم حين بنو
سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق

فلما سمع المضد ذلك أيقن أنه نبي للكه وإعلام بما انتشر من سلكه « فقال : من عز المجد الأبيات
وانظر الذخيرة ٢١ : ١٥ ب ٢ : ١٩ والحلة السيرة عن دوزي ص ٦٩

٢٢١ هذان البيتان من الحلة ص ٧٠

وقال^(١) :

أنباء أسرك قد طبقن آفاقاً بل قد عمعن جهات الأرض إقلاقاً
سرت من الغرب لا يطوى لها قدم حتى أنت شرقها تنعاك إشراقاً
فأحرق الفجع أبكاداً وأفئدة وأغرق الدمع أماقاً وأحداقاً
قد ضاق صدر المعالي إذ نُعيت لها وقيل : إن عليك القيّد قد ضاقاً
أنتي غلبت ، وكنت الدهر ذا غلب للغالبين ، وللشباق سباقاً
قلت : المخطوب أذنتي طوارقها وكان عزمي^(٢) للأعداء طراقاً
من رأيت صروف الدهر تاركة إذا أتت لنوى الأخطار أرماقاً

قافية اللام

واجتاز يوماً عليه في أسره سرب قطا ، فهاج وجده ، وأثار من لاج
الشوق ما عنده ، فقال^(٣) :

بكيت إلى سرب القطا إذ مرّرن بي سوارح ، لا سجن يعوق ولا بكّل
ولم تك - والله المعيد^(٤) - حسادة ولكن حنيناً أن شكلي لها شكّل
فأمرح ، لا شمل صديق ، ولا الحشا وجيع ، ولا عيناى يبكيهما ثكل

(١) هذا النص من قح الطيب (١١٠٥) وفلاند المقيان (٢٦)

(٢) في قح الطيب « وكان عزمي إلى الأعداء » .

(٣) هذا النص من نسخي القصيدة ١٩١٢ ، بسط : ٣٢ وفلاند المقيان ٢٨ ، وقح الطيب بولاق ١١٠٦ .

(٤) ن أية القصيدة « السليم » .

هنيئاً لها أن^(١) لم يُفَرَّقَ جميعها
وأن^(٢) لم تبت مثلي^(٣) تطيرُ قلوبها
وما ذاك مما يعتريني ، وإنما
لِنَفْسِي إلى لُقْبَا الحِمَامِ تَشْرِيقُ^(٤)
ألا عَصَمَ اللهُ القَطَا في فراخها
ولا ذاقَ منها البعدَ من^(٥) أهلها أهلُ
إذا اهتزَّ بابُ السَّجْنِ أو صَاحَصَلَ القُفْلُ
وصنمتُ الذي في جِبلَةِ الخلق من قبلُ
سوايَ يُحِبُّ العيشَ في ساقه جَلُ
فإن فراجِي خانها الماءُ والظَلُّ

وقال^(٦) :

لك الحمدُ من بعدِ السيوفِ كُبولُ
ونكنا إذا حانتَ لنَحْرِ فريضةُ
شهدنا فكبرنا ، فظَلَّتْ سيوفُنا
سُجُودُ على إثرِ الزكوعِ مُتَابِعُ
بساقِيَّ منها في السُّجُونِ جُولُ
ونادتِ بأوقاتِ الصَّلَاةِ طُبولُ
تُصَلِّي بِهَامَاتِ العدا فتُطِيلُ
هناك بأرواحِ الكِماةِ تَسِيلُ

قافية الميم

قال من قصيدة يصف فيها البكل^(٧) :

تَعَطَّفَ في سَاقِي تَعَطَّفَ أَرْقَمِ
وإني من كنانِ الرجالِ بسِيَرِهِ
يُسَاوِرُهَا عَضًّا بِأَنْيَابِ ضِيغَمِ
ومن سَيْفِهِ في جَنَّةِ وَجْهِهِمْ

(١) في فتح الغيب « إذ »

(٢) في النسخ والقلائد « عن »

(٣) رواية النسخ « وئذ »

(٤) في الذخيرة « ليل » وما أثبتنا من النسخ والقلائد

(٥) رواية النسخ والقلائد « تشوف »

(٦) النص من نسخة الذخيرة ٢١ : ٢١ ، ب ٢ : ٢٥

(٧) هذا النص من الخريدة (١١ : ١٥١)

وفي الذخيرة ^(١) والقلائد ^(٢) ورد البيتان هكذا :

إِلَيْكَ فَلَوْ كَانَتْ قُيُوتُكَ أَشْبَعِرَتْ تَصَرَّمْ مِنْهَا كُلُّ كَيْفٍ وَمِعْصَمٍ
مَهَابَةٍ مَنْ كَانَ الرِّجَالُ بِسَبِيهِ وَمِنْ سَيْفِهِ فِي جَنَّةٍ وَجْهَتِهِمْ

وقال وقد دخل عليه ابنه أبو هاشم ^(٣) فارتاع لقيدته ^(٤) :

قَيْدِي أَمَا تَعْلَمُنِي مُسَلِّبًا أَيْتَ أَنْ تُشْفِقَ أَوْ تُرْحَمَا
دَمِي شَرَابٌ لَكَ ، وَاللَّحْمُ قَدْ أَكْنَسَهُ ، لَا تَهْرِيحِ الْأَعْظَمَا
يُبَصِّرُنِي فِيكَ أَبُو هَاشِمٍ فَيَأْتِيَنِ الْقَلْبُ وَقَدْ هُمَا
إِرْحَمْ طُفِيلًا طَائِسًا لَبَّاهُ لَمْ يَخْشَ أَنْ يَأْتِيكَ مُسْتَرْحَمَا
وَارْحَمْ أُتَحْيَاتٍ لَهُ مِثْلَهُ جَرَّعْتَهُنَّ الشَّمَّ وَالْعَلَقَمَا
مَنْهَنَ مَنْ يَفْهَمُ شَيْئًا فَقَدْ خَفِنَا عَلَيْهِ لِلْبَكَاءِ الْعَمَى
وَالْغَيْرُ لَا يَفْهَمُ شَيْئًا فَمَا يَفْتَحُ إِلَّا نِرْضَاعُ فَا

(١) الخطبة المغربية ٢١ : ١٣ وب ٢ : ١٦

(٢) القلائد (١٢) والظاهر أن هذا الشعر قائله المتحد لأرل عمده بالقيد إذ يقول «فتفتح ... فذل من القعر بالقصر إلى قبة الأمر فبعد تحين وحن له يوم شرما ظن أنه يحين . ولما قيدت قدماء قال «إليك فلو كانت ... الأبيات »

(٣) انظر ما سبق في صفحة ٤٨

(٤) هذا النص من نسخة الذخيرة (٢١ : ٣٨٠ ، ب ٢ : ٢٤) وابن خلكان (٢ : ٤٨) وشذرات الذهب (٣ : ٣٨٩) رفح الطيب ولاق (١١٠٤) .

وأرسل إليه الداني حين كان بأغमत قصيدة مطلعها^(١) :

وداعٌ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ سَلامٌ وَلِلنَّفْسِ فِي ذِكْرِ الْودَاعِ حِرامٌ
فأجابه المعتمد بقوله :

كلامك حرٌّ والكلامُ غلامٌ ، وسحرٌ ولكن ليس فيه حرامٌ
ودرٌّ ولكن بين جنبك بحره وزهرٌ ولكن الفؤادَ يكامُ
وبعد فإن ودعتني بخداعة فحق أن يجنى عليه سلامٌ^(٢)
أعنى على نفسي بتزويد أسهل بلى وقول لا شئ على حرام
فدونكه إذ لم أجد لي حيلةً وقلي فاعلم في الطعام طعامٌ
فهنته زادًا وفي الصدر وقدةً ولأصبر من دون الفؤاد غرامٌ^(٣)
لقد كان قال من سمائك مؤنسٌ فقد عاد ضداً والعزاء رمامٌ
تخلت بالداني ، وأنت مباعدٌ فبا طيب بدء لو تلاه تمامٌ
ويا تجبأ حتى السمات تخونني وحتى انتباهي للصديق منامٌ
أضاء لنا أغमत قربك برهةً وعاد بها حين ارتحلت ظلامٌ
تسير إلى أرض بها كنت مضغةً وفيها اكتست باللحم منك عظامٌ

(١) النص من الذخيرة ٢١ : ١٧ ، ب ٢ : ٢١ .

(٢) كذا ورد بالأصل هذا البيت والبيت بعده .

(٣) في الأصل مرام ولعل ما أثبتنا أولى . والغرام : الهلاك والعذاب .

وَأَبْقِ أَسَامُ الدَّلِّ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ وَمَا كُنْتُ لَوْلَا الْغَدْرُ ذَاكَ أَسَامُ
فَبُلَّغْتَهَا فِي ظِلِّ أَمْنٍ وَغِبْطَةٍ وَسُنِّي^(١) لِي مِمَّا يَعْرِقُ سَلَامُ
وَقَالَ^(٢) :

أَبِي الدَّهْرُ أَنْ يَقْنِيَ الْحَيَاءَ وَيَنْدِمَا وَأَنْ يَحْوِيَ الذَّنْبَ الَّذِي كَانَ قَدَمَا
وَأَنْ يَتَلَقَّ وَجْهَ عَتَبِيَّ وَجْهَهُ بَعْدَ يَغْشَى صَفْحَتَيْهِ التَّدَمُّمَا
سَعَلُمُ بَعْدِي مَنْ تَكُونُ سِوْفُهُ إِلَى كُلِّ صَعْبٍ مِنْ مَرَايِكَ سُلَمَا
سَتَرْجِعُ إِنْ حَاوَلْتَ دُونِي فَتَكَّةُ بِأَنْجَلٍ مِنْ خَدِّ الْمُبَارِزِ أَتَجَمَّا^(٣)

قافية النون

وَلِمَا خُاعَ وَسَجِنَ بِأَغْمَاتٍ ذَالَتْ لَهُ زَوْجُهُ اعْتِمَادَ الرِّمَكِيَّةِ : يَا سَيِّدِي لَقَدْ هُنَا
هَذَا ، فَقَالَ^(٤) :

قَالَتْ : لَقَدْ هُنَا هُنَا مَوْلَايَ ، أَيْنَ جَاهُنَا
قُلْتُ لَهَا : إِلَى هُنَا صَيْرَنَا الْهِنَا

وَقَالَ^(٥) :

اقْنَعْ بِحِظِّكَ فِي دُنْيَاكَ مَا كَانَا وَعَزَّ نَفْسُكَ إِنْ فَارَقْتَ أَوْطَانَا
فِي اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَفْقُودٍ مَضَى عِوَضُ فَأَشْعِرِ الْقَلْبَ سُلُوَانَا وَإِيمَانَا

(١) سناه : مهله . والمراد بالسلام هنا السلامة .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٠) .

(٣) في الأصل (المبارز واجمما) تحريف .

(٤) هذا النص من قمع الطيب (بولاقي : ١١٠١) .

(٥) هذا النص من المرجع السابق (ص ١٠٥٠) .

أَكَلَمَا سَنَحْتَ ذِكْرِي طَرَبْتَ لَهَا
أَمَا سَمِعْتَ بِسُلْطَانِ شَيْبِكَ قَدْ
وَطَّنَ عَلَى الْكُرْهِ ، وَارْقُبْ إِثْرَهُ فَرَجًا
مَجَّتْ دُمُوعَكَ فِي خَدَيْكَ طُوفَانًا
بَزَّتْهُ سُودُ خُطُوبِ الدَّهْرِ سُلْطَانًا
وَاسْتَغْنَمَ اللَّهُ تَغْنَمَ مِنْهُ غُفْرَانًا

وقال (١) :

غَشَّكَ أَغْمَاتِيَّةُ الْأَلْحَانِ
قَدْ كَانَ كَالْتُّعْبَانِ رَمَحَكَ فِي الْوُغَى
مُتَمَدِّدًا بِحِذَائِكَ كُلَّ تَمَدُّدٍ
قَلْبِي إِلَى الرَّحْمَنِ يَشْكُو بِشَّهِ
يَا سَائِلًا عَنْ شَأْنِهِ وَمَكَانِهِ
هَاتِيكَ قَيْنَتَهُ وَذَلِكَ قَصْرَهُ
مَنْ بَعْدَ كُلِّ غَرِيرَةٍ رُومِيَّةٍ

وقال (٢) :

سَلَّتْ عَلَى يَدِ الْخُطُوبِ سُيُوفَهَا
ضَرَبَتْ بِهَا (٣) أَيْدِي الْخُطُوبِ وَإِنَّمَا
يَا آمِلِي الْعَادَاتِ مِنْ تَفْحَاتِنَا
بَخَذَذَنْ مِنْ جِلْدِي الْحَصِيفِ الْأُمْتَنَا
ضَرَبْتَ رِقَابَ الْآمِلِينَ بِهَا الْمُنَى
كُفُّوا ، فَإِنَّ الدَّهْرَ كَفَّ أَكُفَّنَا

(١) هذا النص من ثلاث النيان (٢٦) والذخيرة (٢١ : ٢٠ ، ب ٢ : ٢٤) وفتح الطيب أوروبا (٢ : ٥٧٤)

وبولاق (١ : ١١٠٥) .

(٢) هذا النص من نريدة القصر (١١ : ١٥٠) .

(٣) الضمير يعود إل السيوف .

ابن زيدون

سَرَى مُنَافِحُهُ نِيلُوفَرُ عَبَقَ
كُلُّ يَهِيْجٍ لَنَا ذِكْرَى تَشَوُّقِنَا
لَا سَكَنَ اللهُ قَلْبَنَا ، عَنْ ذِكْرِكُمْ
لَوْ شَاءَ حَمَلِي نَسِيمُ الصَّبْحِ - حِينَ سَرَى -
يَوْمٌ ، كَأَيَّامِ لَذَاتِ لَنَا أَنْصَرَمَتْ ،
لَوْ كَانَ وَفَى الْمَنَى - فِي جَمْعِنَا بِكُمْ -
وَسَنَانُ ، تَبَّهَ مِنْهُ الصَّبْحُ أَحْدَاقًا^(١)
إِلَيْكَ ، لَمْ يَمْدُغْنَهَا الصَّدْرُ أَنْ ضَاغًا^(٢)
فَلَمْ يَطِرْ بِجَنَاحِ الشُّوقِ خَفَا^(٣)
وَأَقَاكُمْ يَنْقَى أَضْنَاهُ مَا لَا قِيَّ^(٤)
بِتَنَا آهًا - حِينَ نَامَ الدَّهْرُ - سُرَّاقًا
لَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْأَيَّامِ أَخْلَاقًا

* * *

يَا عِلْمِي الْأَخْطَرَ الْأَسْنَى الْحَبِيبَ إِلَى نَفْسِي ، إِذَا مَا أَقْتَنَى الْأَحْبَابُ أَغْلَاقًا^(٥)
كَانَ التَّجَازِي بِمَحْضِ الْوُدِّ - مُذْ زَمَنِ -
مَيْدَانِ أَنْسٍ جَرَيْنَا فِيهِ أَطْلَاقًا^(٦)
فَالآنَ - أَحَدَ مَا كُنَّا لِعَهْدِكُمْ - سَلَوْتُمْ ، وَبَقِينَا نَحْنُ عُشَّاقًا !

-
- (١) النيلوفر : زهر كبير ينبت في المياه الراكدة تنطبق أوراقه في الليل وتفتح في النهار .
(٢) المعنى : أن مجالى الطبيعة تهيج فينا الذكريات الماضية فتتوافد وتمتشد حتى يضيق الصدر عن استيعابها .
(٣) في الذخيرة (عَقَّ ذَكَرَكُم ..) بمعنى جحد ذكراكم ؛ عَنْ : عرض ؛ وفي عام المتون (ولم يطر ...) .
(٤) في عام المتون (حين هفا ...) .
(٥) الملق : النالى النفيس ، الأخطر : الرفيع ، الأسنى : الأضوأ .
(٦) في النفع (من زمن ...) .

(٣) حنين الذكريات

« طوى الشاعر شطرا من حياته ، مشرداً عن وطنه ،
نائماً عن أهله ، مفارقاً أحبابه ، فامتزج في فنه الحنين بالشجن ؛
والتقى الألم بالأمل ، وتزاحمت في نفسه الذكريات ، مرودة هذه
الأنات » .

آمال وآلام

« فر الشاعر من سجنه بقرطبة إلى إشبيلية ، ولكن قلبه
جذبه إلى حبيبته بقرطبة ، فأرسل إليها هذه القصيدة الخالدة التي
نالت شهرة عظيمة ، وثارت حولها الأساطير حتى قيل : « ما حفظها
أحد إلا مات غريباً » ولمح كثيرون بأن إنساناً لا يتم له الظرف
ما لم يحفظها ،

وقد شغف بعمارضها وتخميسها وتسديسها كثيرون ،
ولسكنها ظلت سامقة في مكانها الرفيع ^(١) » .

١ أضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا مِنْ تَدَانِينَا وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا ^(٢)

(١) وردت القصيدة في عدة مصادر قديمة ، وفيها اختلاف في ترتيب بعض
الآيات وفي بعض العبارات ، كما أن هناك خلافاً في مبدئها ، فيقول ابن نباتة :
« . . . وله القصيدة النونية التي أولها : [بنتم وبنا . . . البيت] وقد تداولتها
اللسن وزيد فيها ما كانت في غنى عنه » فكان الأحد عشر بيتاً الأولى ليست من
القصيدة ، ولكن الصفدي يقول « . . . ومن ذلك قصيدته النونية التي أولها :
[أضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا . . . البيت] .

ولكل من الرأيين ما يركبه ، ونحن نرجح أن الشاعر صاغ قصيدته ، ثم أعاد
النظر فيها كملحمة ، فزاد فيها وحرص على جعل أولها مصرعاً .

(٢) في نسخة ١ ، ب (وبان) وفي ت ، ز (وآن) وكذلك القلائد ، وقد أخذنا
برواية نفع الطيب . والمعنى أن الفراق حلّ محلّ الوصال ، وأن الجفوة نابت
من طيب اللقاء .

٤ أَلَا وَقَدْ حَانَ صُبْحُ الْبَيْنِ - صَبَّحَنَا
 ٥ مَنْ يُبْلِغُ الْمَلْدِسَيْنَا بِأَنْزَاحِهِمْ
 ٦ أَنْ الزَّمَانَ الَّذِي مَا زَالَ يُضْحِكُنَا
 ٧ غِيظَ الْعِدَا مِنْ تَأَقُّبِنَا الْهَوَى؛ فَدَعَوْا
 ٨ فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا
 ٩ وَقَدْ نَكُونُ، وَمَا يُخْشَى تَفَرُّقُنَا
 ١٠ حَيْنٌ، فَتَنَامَ بِنَا لِلْحَيْنِ دَاعِينَا^(١)
 ١١ حُزْنًا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَبْلَى، وَيُبْلِينَا؛
 ١٢ أَنَسَا بِقُرْبِهِمْ قَدْ عَادَ يُبْسِكِينَا؟^(٢)
 ١٣ بَأَنْ نَهْصَرَ، فَقَالَ الدَّهْرُ: آمِينَا
 ١٤ وَأَنْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا^(٣)
 ١٥ فَالْيَوْمَ نَحْنُ، وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا^(٤)

* * *

١٦ يَا آيَتَ شِعْرِي - وَلَمْ نُعْتَبِ أَعَادِيكُمْ -
 ١٧ لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ
 ١٨ مَا حَقَّنَا أَنْ تُقِرُّوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ
 ١٩ هَلْ نَالَ حَظًا مِنَ الْعُتْبَى أَعَادِينَا^(٥)؟
 ٢٠ رَأَيْنَا، وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
 ٢١ بِنَا، وَلَا أَنْ تُسْرُوا كَاشِحًا فِينَا^(٦)

* * *

٢٢ كُنَّا نَرَى الْيَأْسَ تُسْلِينَا عَوَارِضُهُ
 ٢٣ بِنْتُمْ وَبِنَا، فَمَا أَبْتَلَّتْ جَوَانِحُنَا
 ٢٤ وَقَدْ بَدَّسْنَا، فَمَا لِلْيَأْسِ يُغْرِينَا^(٧)؟
 ٢٥ شَوْقًا إِلَيْكُمْ، وَلَا جَفَّتْ مَا قِينَا^(٨)

(١) في النفع (ناعينا) - ألا : هلا ، الحين : الهلاك ، والمعنى : أنه كان يتمنى أن يلاق مصرعه قبل أن يحم الفراق .
 (٢) رواية المغرب (أن الزمان الذي كنا نُسرُّ به) ، ورواية القلائد (بقربكم) .

(٣) انبت : انقطع ، والمعنى تفرق شملنا وانقطعت صلاتنا .
 (٤) رواية المغرب (من قبل كنا ... فالآن ...) : ورواية النفع (بالأمس كنا ... واليوم ...) .
 (٥) أعتب : أَرْضَى مُسَرًّا بِعَدِ الْإِسَاءَةِ ، والاسم منه العتبي .
 (٦) الكاشح : الضمر للعداوة .
 (٧) عوارضه : ظواهره أو بوارده ؛ والمعنى : أنه كان ينتظر راحة في اليأس ، ولكن يأسه زاده شوقاً على شوق وحنيناً إلى حنين .
 (٨) بنتم وبنا : بعدتم وبعدنا .

١٤ نَكَادُ - حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا - يَنْقُضِي عَمَلَيْنَا الْأَسَى ، لَوْلَا تَأْسِينَا ^(١)
 ١٥ حَالَتْ لِقَدْرِكُمْ أَيَّامُنَا ، فَغَدَتْ إِذْ جَانِبُ الْمَيْتِ طَلَقَ مِنْ تَأَلُّفِنَا ^(٢)
 ١٦ وَإِذْ هَضَبْنَا فَنُونَ الْوَصْلِ دَانِيَةً قِطَافُهَا ، فَجَنَيْنَا مِنْهُ مَا شِينَا ^(٣)

* * *

لَيْسَ عَهْدُكُمْ عَهْدُ الشَّرِّ ، فَمَا كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَاحِينَا ^(٥)
 لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا إِنَّ طَلَمًا غَيَّرَ النَّأْيُ الْحَبِيبِينَ ^(٦)
 وَاللَّهِ مَا طَلَبْتَ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِنْكُمْ ، وَلَا أَنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا ^(٧)

(١) المعنى : إذا ناجتكم قلوبنا - على البعاد - عصفت بنا الأحزان وكادت تنقضي علينا لولا تاملنا بالآمال . وفي جذوة المقتبس وبغية الملتبس (حين تناجينا) .

(٢) في جذوة المقتبس وبغية الملتبس (حارت) .

(٣) رواية الذخيرة والخريدة والمغرب وجذوة المقتبس وبغية الملتبس والمعجب والنفع «ومورد اللهو . . .» .

(٤) رواية الذخيرة (غصون الوصل) ، ورواية جذوة المقتبس وبغية الملتبس (فنون اللهو) ، ورواية المعجب والقلائد والخريدة (غصون الأنس) ، وفي الذخيرة والقلائد والنفع والمعجب (دانية قطوفها) ، ما شينا : ما شئنا .

(٥) رواية الذخيرة (كنتم لأيامنا . . .) .

(٦) في إحدى نسخ الذخيرة (إذ طالما) وفي المغرب (أن طالما) .

(٧) آثرنا في رواية البيت ما أثبتته الذخيرة والقلائد والمغرب والمعجب ونفع المعجب ، أما في نسخة (والله ما أطرفت . . . عنكم) ، وفي نسخ ب ، ت ، ز (والله ما أطرفت . . . عنكم) ، وطرف وأطرف بمعنى استحدث .

وَلَا اسْتَفْدْنَا خَلِيلًا عَنْكَ يَشْغُلُنَا ، وَلَا اتَّخَذْنَا بَدِيلًا مِنْكَ يُسْلِمُنَا^(١)

* * *

يَسَارِي الْبَرْقِ غَادِ الْقَصْرِ وَاسْقِ بِهِ مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى وَالْوُدِّ بَسْمِينًا^(٢)
وَأَسْأَلُ هُنَالِكَ : هَلْ عَنَى تَذَكُّرُنَا إِنْهَا ، تَذَكُّرُهُ أُنْسِي يُعْمِينَا؟^(٣)
وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَتَّى كَانَ يُخْبِرُنَا^(٤)
فَهَلْ أَرَى الدَّهْرَ يَقْضِيَا مُسَاعَفَةً فِيهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غِيَا تَقَاضِينَا؟^(٥)

* * *

رَبِّدْ مُلْكٍ كَانَ اللَّهُ أَنْشَأَهُ مِنْكَ ، وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طِينًا^(٦)
أَرِ صَاغَهُ وَرِقًا مَحْضًا ، وَتَوَجَّهْ مِنْ نَاصِعِ الثَّبَرِ إِبْدَاءًا وَتَحْسِينًا^(٧)

(١) لم يرد هذا البيت في نسخ الديوان، وقد أثبتناه عن القلائد والخريدة .

(٢) في الذخيرة والقلائد والمغرب والخريدة (فاسق به) .

(٣) عَنَى : آلم وأتعب .

(٤) في نسخ الديوان (على القرب) وقد آثرنا رواية الذخيرة والقلائد والخريدة والمغرب والمعجب ونفع الطيب لأنها أنسب للمعنى ، فقد كان الشاعر بعيداً عن حبيبته يتمنى منها تحية على البعد ، ويأمل أن يظفر منها بخطاب كما في ختام القصيدة .

(٥) المعنى : طالما تقاضينا الوصال ، فهل يسمح الدهر به بعد طول الطال ؟
وفي النفع (من لا يرى الدهر . . . وإن لم يكن عنا يقاضينا) .

(٦) المعنى : سليل بيت ملكي كان الله خلق الوري من الطين وخلقته وحده من السك ، ورواية النفع (من بيت ملك . . . وقد أنشأ الله الوري طيناً) .

(٧) الورق : الدراهم الفضية ؛ والمعنى : أنه أبيض الوجه ذهبي الشعر .

إِذَا تَأَوَّدَ آدَتُهُ رَفَاهِيَّةٌ تُوْمُ الْعُقُودِ ، وَأُدْمَتُهُ الْبُرَى إِيْنَا^(١)
كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظِلًّا فِي أَكْلَتِهِ بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحَايِينَا^(٢)
كَأَنَّمَا أُثْبِتَتْ فِي صَحْنٍ وَجَنَّتِهِ زُهْرُ الْكُؤَاكِبِ تَمُودًا وَتَزِينَا^(٣)
مَا ضَرَّ أَنْ لَمْ تَكُنْ أَكْفَاهُ شَرَفًا وَفِي الْمَوَدَّةِ كَافٍ مِنْ تَبْكَافِينَا

* * *

بَارَوْضَةٍ طَالَمَا أُجِنْتُ لَوَاحِظَنَا وَرَدًا جَلَاهُ الصَّبَا غَضًا وَنِسْرِينَا^(٤)
وَيَا حَيَاةَ تَمَلِّينَا بِزَهْرِيهَا مُنَى ضُرُوبًا وَلَذَاتٍ أَفَانِينَا^(٥)
وَيَا نَعِيمًا خَطَرْنَا مِنْ غَضَارَتِهِ فِي وَشْيٍ نَعْمَى سَحْبِنَا ذَلِيلُهُ حِينَا^(٦)
لَسْنَا نُسَمِّكَ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً وَقَدْرُكَ الْمُتَلَبِّي عَنْ ذَاكَ يُغْنِينَا

(١) تَأَوَّدَ : تمايل ؛ آدَتُهُ : أُنْقَلَبَتْهُ ؛ تُوْمُ العقود : عقود مزدوجة من اللؤلؤ ؛ الْبُرَى : الخلاخيل ، جمع برة ؛ والمعنى : إذا تمايل لم يطاق حمل الحلي الكثيرة لرقته ولبنه .

(٢) الظُّرُ : الحاضنة ؛ أَكْلَةٌ : جمع كَلَّة ، وهي نسيج رقيق للوقاية من البموض ، وفي رواية النفع (تكلله) .

(٣) المعنى : كأنما أشرقت النجوم في محيَّاه لتقيه الحسد ، وتردَّ عنه العيون .

(٤) التسرُّين بكسر النون : زهر طيب الرائحة ، وفي المغرب والوافي بالوفيات (جناء الصبا) .

(٥) تَمَلِّينَا : تتمننا ، وفي المعجب (تملأنا) ، ضروبًا : صنوفًا ، والمعنى حينئذ من نعيم الحياة شتى التمتع واللذات .

(٦) التضرارة : السعة والخصب والنعمة ، وفي القلائد والمغرب (سحبنا ذيلها) .

(م — ١٠٠) ديوان ابن زيدون ورواه

إِذَا أَنْفَرَدْتِ وَمَا سُورِكْتِ فِي صِفَةٍ ، فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِضَاحًا وَتَذْيِينًا^(١)

* * *

يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبْدِلْنَا بِسِدْرَتِهَا وَالسَّكْوَتِ الْمَذْبِ زَقُومًا وَغِسَايِنًا^(٢)
[إِنْ كَانَ قَدْ عَزَّ فِي الدُّنْيَا اللَّقَاءُ فَنِي مَوَاقِفِ الْخَشْرِ تَلْقَاكُمْ ، وَيَكْفِينَا^(٣)]
كَأَنَّنَا لَمْ نَبِتْ ، وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا وَالسَّمْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَاشِينَا
سِرَّانِ فِي خَاطِرِ الظَّلَمَاءِ يَكْتُمُنَا حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصُّبْحِ يُفْشِينَا
لَا غَرْوُ فِي أَنْ ذَكَرْنَا الْحُزْنَ حِينَ نَهَتْ عَنْهُ النَّهْيُ ، وَتَرَكَنَا الصَّبْرَ نَاسِيًا
إِنَّا قَرَأْنَا الْأُسَى يَوْمَ النَّوَى سُورًا مَكْتُوبَةً ، وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَأْتِيًا^(٤)

(١) معنى البيتين : إننا نعصون اسمك عن التصريح به إكباراً لك وإجلالاً ،
فإن انفردك بالجمال والجلال لا يحدونا إلا إلى أدنى إشارة ، وقد أخذ هذا المعنى
البهاء زهير فقال :

أُشْرُفِي بِوصف واحد من صفاتها
تَكُنْ مِثْلَ مَنْ سَمِيَ وَكَتَبِي وَكَلَمًا
ستكفيك من ذاك السمى إشارة
ودعه مَصُونًا بِالْجَمَالِ مَعْجَبًا

(٢) السدر : شجر النبق ؛ والزقوم شجرة خبيثة ذات ثمر مر ؛ وقد ورد
في التنزيل أنها (شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنه رهوس الشياطين)
أما طعامها فهو (طعام الأثيم كالمُهْل يغلي في البطون كغلي الحميم) :
وفي الذخيرة والقلائد والخريدة والمغرب والمعجب والنفع والوافي بالوفيات
(بسلسلها) وقد آثرنا رواية الديوان لأن السدر يقابل الزقوم .

(٣) لم يرد البيت في الديوان ، وقد أثبتناه عن القلائد ، وإن كان موضع
في القلائد بعد البيت : (كأننا لم نبت . . .) وقد أثبتناه هنا لمناسبته للمقام .
(٤) في الوافي بالوفيات والكوكب الثاقب (واتخذنا) .

أَمَّا هَوَاكَ فَلَمْ تَعْدِكَ بِمَنْهَلِهِ شَرِبَاءُ، وَإِنْ كَانَ يُرْوِينَا فَيُظْمِينَا^(١)
لَمْ تَجِفْ أَفَقَ جَمَالِ أَنْتِ كَوْنُكَ سَالِينَ عَنْهُ، وَلَمْ تَهْجُرْهُ قَالِينَا^(٢)
وَلَا اخْتِيَاراً تَجَنَّبْنَاهُ عَنْ كَتَبِ لَكِنْ عَدْتْنَا عَلَى كَرْهِ عَوَادِينَا^(٣)

* * *

نَأْسَى بِعَلَيْكَ إِذَا حُشْتُ مُشْعَشَةً فِينَا الشَّمُولُ، وَغَنَانَا مُغْنِينَا^(٤)
لَا أَكُوسُ الرِّاحِ تُبْدِي مِنْ شَمَائِلِنَا سِيماً أَرْتِيحُ، وَلَا الْأَوْتَارُ تُنْهِينَا
دُومِي عَلَى الْعَهْدِ - مَا دُمْنَا - مُخَافِظَةً فَالْحُرُّ مَنْ دَانَ إِنْصَافاً، كَمَا دِينَا
فَمَا اسْتَعَضْنَا خَالِلاً مِنْكَ يَمُجِدُنَا وَلَا اسْتَعَدْنَا حَبِيباً عَنْكَ يَنْهِنُنَا^(٥)
وَأَوْ صَبَا نَحْوَنَا مِنْ عُلُوِّ مَطْلَعِهِ بَدْرُ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ حَاشَاكَ يُصْهِينَا^(٦)

(١) في النفع (بشربه) والمعنى : أننا نفضل منها لكم على أي منهل آخر ، وإن كان يزيدنا عطشاً كلما ازددنا منه شرباً .

(٢) في نسخة ب ، ت والقلايد (لم يحف) وهو تحريف ؛ قالين : كارهين .

(٣) كتب : قرب ؛ وفي القلايد والخريدة (تجنبناك) ، والمعنى : أنه اضطر إلى فرادها مرغماً ، على قرب دارها منه .

(٤) مشعشة : ممزوجة ؛ الشمول : الغمر ؛ وفي الذخيرة والوافي بالوفيات (وقد حُت) وفي الكوكب الثاقب (إذا صبت) .

(٥) في ب ، ت ، ز (فما استعضنا) وهو تصحيف ، وفي الذخيرة (فما استعدنا خليلاً عنك ... يسائنا) ، وفي القلايد :

(فما استعينا خليلاً منك بمحبينا ولا استعدنا حبيباً عنك يغنيننا)

وفي الخريدة (... ولا استعدنا حياً عنك يغنيننا) وفي النفع (فما استعضنا

خليلاً عنك ...) وفي بعض نسخ النفع (... حبيباً عنك يغنيننا) ، وفي الوافي بالوفيات

(٦) صبا : مال ، يصبيننا : يثير صبوتنا ويبتعث أشواقنا .

فما استعضنا خليلاً عنك بصرفنا ... ولا استعدنا حبيباً عنك يسلينا

ومثل هذا رواية الكوكب الثاقب ماعداً (ولا استعدنا) فقد جعلها ولا آتخذنا .

أُولَى وَفَاءٍ - وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صِلَةً - قَالَطِيفٌ يُقْنِعُنَا، وَالذِّكْرُ يَكْفِينَا^(١)
 وَفَى الْجَوَابِ مَتَاعٌ إِنْ شَفَعْتَ بِهِ بِيضَ الْأَيْدِي الَّتِي مَا زِلْتَ تُوَلِّينَا^(٢)
 عَلَيْكَ مِنَّا سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَتْ صَبَابَةٌ بِكَ تُخْفِيهَا فَتُخْفِينَا^(٣)

الأمل المشود^(٤)

يَا نَارِحًا، وَضَمِيرُ الْقَلْبِ مَشْوَاهُ أَنْسَتِكَ دُنْيَاكَ عَبْدًا أَنْتَ دُنْيَا^(٥)
 إِلَهَتِكَ عَنْهُ فَسَكَاهَاتٌ تَلْدُ بِهَا فَلَيْسَ يَجْرِي بِبَالٍ مِنْكَ ذِكْرَاهُ^(٦)
 عَلَ الْآتِيَالِي تَبْقِيَنِي إِلَى أَمَلٍ الدَّهْرُ يَعْلَمُ وَالْأَيَّامُ مَمْنَاهُ^(٧)

مقصود الجناح

إِلَيْكَ - مِنْ الْأَنْهَامِ - غَدَا أَرْتِيَا حِي ، وَأَنْتِ - عَلَى الزَّمَانِ - مَدَى قُتِرَا حِي^(٨)
 وَمَا أَعْتَرَضَتْ هُمُومُ النَّفْسِ إِلَّا - وَمِنْ ذِكْرَاكِ - رِيحَانِي وَرَا حِي

- (١) في أصول الديوان (أبلى) ، وفي إحدى نسخ الذخيرة والوافي (أبدى) وقد آثرنا رواية القلائد والمغرب ، وفي الوافي (فالد كرىقنمنا، والطيف يكفيننا).
- (٢) في القلائد والسكريب (فناء) ، فيهما وفي النفع والخريدة (لو شفعت).
- (٣) في الذخيرة والقلائد والخريدة والنفع والسكريب (عليك مني . . .) ، وفي القلائد والسكريب (صباية منك) .
- (٤) لم ترد الأبيات بالديوان . وقد نقلناها عن الذخيرة والقلائد والمغرب .
- (٥) في الذخيرة (أنت مولاه) .
- (٦) في الذخيرة (إلى أجل) ، وفي المغرب (إلى أمد) ، وفيه (الله يعلم) .
- (٧) في النفع (من الزمان) .

مَدَيْتُكَ : إِنْ صَبْرِي عَنْكَ صَبْرِي
وَلِي أَمَلٌ - لَوِ الْوَاشُونَ كَفُّوا -
وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَغْلِبُنِي عَدُوٌّ
وَلَمَّا أَنْ جَلَّتْكَ لِي - اخْتِلَاسًا
رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ نِقَابٍ ،
فَلَوْ أَسْطِيعُ طَرْتُ إِلَيْكَ شَوْقًا
[فَوَادِي - مِنْ أَسَى بِكَ - غَيْرُ خَالٍ
عَلَى حَالِي وَصَالٍ وَأَجْتَنَابٍ ،
وَحَسْبِي أَنْ تُطَالِعَكَ الْأُمَانِي
وَأَنْ تُهْدِيَ السَّلَامَ إِلَيَّ - غَيْبًا -
لَدَى عَطَشِي - عَلَى الْمَاءِ الْقَرَّاحِ -
لَا طَلَعَ غَرْمُهُ نَمَرَ النَّجَاحِ -
رِضَاكَ عَلَيَّ مِنْ أَمْضَى سِلَاحِي (١)
أَكُنْ الدَّهْرَ لِلْحَيْنِ الْمُنَاحِ -
وَعُصْنِ الْبَانِ يَرْفُلُ فِي وَشَاحٍ (٢)
وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ ؟
وَقَلْبِي - عَنْ هَوَى لَكَ - غَيْرُ صَاحٍ (٣)
وَفِي يَوْمِي دُنُوٌّ وَأَنْزَاحِ
بِأَقْدَمِكَ - فِي مَسَاءٍ أَوْ صَبَاحِ -
وَلَوْ فِي بَعْضِ أَنْفَاسِ الرِّيَّاحِ (٤)

(١) راحة وعذاب

مَتَى أَتَيْتُكَ مَا بِي ؟ يَا رَاحَتِي وَعَذَابِي (٥)

مَتَى : يَنْوِبُ إِسَانِي - فِي شَرْحِهِ - عَنْ كِتَابِي ؟

- (١) هكذا في الأصول والنفع ؛ ولعله (رضاك عليه أمضى من سلاحى) ، وقد يكون (من أمضى سلاح) ، والمعنى المقصود : إننى أعجب كيف يغلبنى عدو ولكن رضاك عنه أعطاه سلاحا ماضيا . (٢) في النفع (فى نقاب) .
- (٣) ورد هذا البيت فى الديوان والنفع قبل البيت الأخير من القصيدة ، ولعل موضعه هنا أنسب ، ورواية النفع (من هوى) .
- (٤) هذه رواية النفع ، وقد آثرنا إثباتها لأنها أنسب للمعنى ، وفى الديوان (وأن تبدي) ، وفى النفع (إلى شوقا) .
- (٥) رواية النفع (متى أتيتك) .

ابن خفاجة

مقيم وزاها

١ بعيشك هل تدري، أهوج' الجنائب،
 ٢ فما لجت' في أولى المشارق كوكبا،
 ٣ وحيدا تهاداني الفيا في، فأجتي
 ٤ ولا جار' إلا من حسام' مصمم،
 ٥ ولا أنيس' إلا أن أضاحك، ساعة،
 ٦ وليل، إذا ما قلت' قديدا، فانقضى،
 ٧ سحبت' الدياجي فيه سود' ذرائب،
 ٨ فمزقت' جيب' الليل عن شخص' أطلس،
 ٩ رأيت' به قِطعا من الفجر' أغبشا،

تَخَبُّ برَحلي، أم 'ظهور' النجائب؟
 فأشرق' حتى جئت' أخرى المغارب
 وحود' المنايا، في قناع' الغياهب
 ولا دار' إلا في فتود' الر' كائيب
 يُغور' الأما في وجوه' الخطاب
 تكشف' عن وعد' من الظن' كاذب
 لأعتق' الآمال' بيض' ترايب
 تطلع' وضاح' المضاحك قاطب
 تأمل' عن نجم، توقد'، ثاقب

- ١ هوج الجنائب : رياح الجنوب الهوجاء . النجائب ، واحدها نجية : الناقة الكريمة .
 ٢ تهاداني الفيا في : تهديني واحدة الى اخرى . اجتي : انظر . الغياهب : الظلمات ، واحدها غيب .
 ٣ المصمم : الماضي . فتود : اخشاب الرجال .
 ٤ الاطلس : الذئب الامط . وضاح : ايض . المضاحك ، واحدها مضحك : التفر . قاطب : عابس .

وأرعن طماح الذؤابة ، باذخ ،
يسد مسيب^١ الريح عن كل^٢ وجهة ،
وقور ، على ظهير الفلاة ، كأنه ،
يلوث^٣ عليه الغيم سوداً عماثمه ،
أصخت^٤ إليه ، وهو أخرس^٥ صامت ،
وقال : ألا كم كنت ملجأ قاتل ،
وكم مر^٦ بي من مدليج^٧ ومؤوب^٨ ،
ولا طم ، من نكب^٩ الرياح ، معاطفي ،
فما كان إلا أن تلوثهم^{١٠} يد^{١١} الردى ،
فما خفت^{١٢} أيكي غير رجفة أضلع ،
وما غيشت^{١٣} السلوان^{١٤} دمعي ، وإنما
فحشنى متى أبقي ، ويظن^{١٥} من^{١٦} صاحب^{١٧} ،
وحشنى متى أرعى الكواكيب^{١٨} ساهراً ،
يطاول^{١٩} أعنان^{٢٠} الساء بغارب^{٢١} ،
وبزحتم^{٢٢} ليلاً ، شبه^{٢٣} بالناكيب^{٢٤} ،
طوال^{٢٥} الليالي ، مفكر^{٢٦} في المواقب^{٢٧} ،
لها ، من وميض^{٢٨} البرق ، حمر^{٢٩} ذوائب^{٣٠} ،
فعدتني ليل^{٣١} الشرى بالعجائب^{٣٢} ،
ومتوطين^{٣٣} أواه^{٣٤} ، تبثل^{٣٥} ، تائب^{٣٦} ،
وقال بظلي من مطي^{٣٧} وراكب^{٣٨} ،
وزاحم^{٣٩} ، من خضر^{٤٠} البحار ، غواربي^{٤١} ،
وحارت^{٤٢} بهم ريح^{٤٣} الشوى والنوائب^{٤٤} ،
ولا نوح^{٤٥} ورقبي غير صرخة نادب^{٤٦} ،
نرقت^{٤٧} دموعي في فراق الصواحب^{٤٨} ،
أودع^{٤٩} منه راحلاً غير آيب^{٥٠} ؟
فمن طالع^{٥١} ، أخرى الليالي ، وغارب^{٥٢} ؟

١ الارعن : الجبل العلويل . الغارب : الظهر .

٢ يلوث : يعصب .

٣ تبثل : تنسك .

٤ المدليج : السائر في الليل . المؤوب : الراجع . قال : نام القبولة .

فرُّحماك يا مَولايَ، دَعْوَةُ ضارِعٍ، يُمُدُّ الى نَعْماك راحَةً راغِبٍ
فأَسْمَعَنِي، مِنْ وَعْظِهِ، كُلَّ عِبْرَةٍ، يَتَرَجِّمُهَا عَنْ لِسَانِ التَّجَارِبِ
فَسَلِّتْ بِمَا أَبْكِي، وَسَرِّتْ بِمَا سَجَا، وَكَانَ، عَلَى عَهْدِ الشَّرِيِّ، خَيْرَ صَاحِبٍ
وَقُلْتُ، وَقَدْ نَكَّبْتُ عَنْهُ لَطِيفَةً : سَلَامٌ، فَإِنِّيَا مِنْ مُقِيمٍ وَذَاهِبٍ^٢

صمت الاجداث

أَلَا صُمْتُ الْأَجْدَاثُ عَنِّي فَلَمْ تُجِيبْ، وَلَمْ يُغْنِنِي أَنْتِي رَفَعْتُ لَهَا صَوْتِي
فِيَا عَجَبًا لِي ! كَيْفَ آتَسُ بِالْمُنَى، وَغَايَةِ مَا أَدْرَكَتُ مِنْهَا إِلَى الْفَوْتِ؟^١
وَهَلْ مِنْ سُرُورٍ، أَوْ أَمَانٍ لِعَاقِلٍ، وَمَقْضَى عُبُورِ الْعَابِرِينَ إِلَى الْمَوْتِ؟^٣

١ سرى : ابعد المغموم .

٢ الطية : السفر .

٣ مقضى : غاية .

رحماك !

ألا قصرُ كلِّ بقاءٍ كَذهابٍ ، وعُمرانُ كلِّ حياةٍ خَرابٌ^١
وكلُّ يُدانُ بما كانَ دانَ ، فثمَّ الجزاءُ ، وثمَّ الحسابُ^٢
فلا تُجرِ كفتك ، من مُهرَقٍ ، بما لا يسرُّ ، هناك ، الكتابُ^٣
فإنَّك يوماً مُجازى به ، وإنَّ يَدًا كَتَبَتْهُ تُرابُ^٤
ولا خِطَّةٌ غيرَ إحدى اثنتينِ : إمَّا نعيمٌ ، وإمَّا عَذابُ^٥
فرُحماك ! يا مَنْ عليه الحسابُ ، وزُلفاك ! يا مَنْ إليه المآبُ^٦

١ القصر : النفاة .

٢ المهرق : القرطاس .

٣ زلفاك : قرابة اليك .

شراب الاماني سراب

قال يرثي الوزير أبا ربيعة :

شَرابُ الأمانِي ، لو عَلِمْتَ ، سَرابُ ،
إِذَا ارْتَجَعْتَ أَيْدِي اللَّيَالِي هَبَاتِهَا ،
وَهَلْ مُهْجَةٌ الْإِنْسَانِ بِلاَ طَيْرِيْدَةٍ ،
يَحْبُبُ بِهَا ، فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ،
وَكَيْفَ يَغِيضُ الدَّمْعُ أَوْ يَبْرُدُ الْحُشَا ،
فَمَا نَابَ ، عَنْ خَلِّ الصَّبَا ، خَلٌّ شَيْبَةٍ ،
أَلَا ظَلَعْنَا ، مِنْ صَاحِبِ وَشِيْبَةٍ ،
دَعَا بِهِمَا صَرْفُ اللَّيَالِي إِلَى الْبَيْلَى ،
فَهَا أَنَا أَبْكِي كُلَّ مَعْبَدٍ رَاحَةٍ ،
أَقْلَبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ لَيْلَةٍ ،
كَأَنِّي ، وَقَدْ طَارَ الصَّبَاحُ ، حَمَامَةٍ ،
وَعُتْبَى اللَّيَالِي ، لَوْ فَهِمْتَ ، عِتَابُ ،
فَتَايَةُ هَاتِيكَ الْمِيبَاتِ ذَهَابُ ،
تَحُومُ عَلَيْهَا ، لِلْحِمَامِ ، عِقَابُ ،
مَطَايَا إِلَى دَارِ الْبَيْلَى ، وَوِكَابُ ،
وَقَدْ بَادَ أَقْرَانُ ، وَفَاتَ شَبَابُ ،
وَلَا عَاضَ ، مِنْ شَرِّ الشَّبَابِ ، خَضَابُ ،
فَهَلْ لَهَا مِنْ ظَاعِنِينَ إِيَابُ ؟
فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ ،
تَضَاحَكَ أَحِبَابُ بِهِ وَصِحَابُ ،
وَقَدْ حُطَّ عَنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ نِقَابُ ،
بِمُدُّ جَنَاحِيهِ عَلَيَّ غُرَابُ ،

١ النبی : الرضا .

على حين ، لا غير اعتباري خطابة ،
وقد جاش بحر ، بين جنبتي ، مانع ،
فيا لهم من ركب صحب تتابعوا ،
دعا بهم داعي الردى ، فكانما
فها هم ، وسلم الدهر حرب ، كانما
هجوذ ، ولا غير التراب حشية ،
فحتى متى تبرى الليالي سهامها ،
وحتى متى ألقى الردايا مفضة ،
فإما كنا تعدو الضراغيم عنوة ،
ففي كل يوم فتكة ليلية ،
وربع خلا من خليل ، وإنما
يذكرني ، كل حين ، جوارده ،
قلست بناس صاحباً من ربيعة ،
أجأت طباعي فيه ، فالألى وحشة ،
وهيات لا أغنى خليل غناءه ؛

فتوعى ، ولا غير العويل جواب
له زخرة ، في وجنتي ، وعباب
فترادى ، وهم ملند الفصون شباب
تبارت بهم تخيل ، هناك ، عراب
جشا بينهم ظعن لهم وخراب
ليجنب ، ولا غير القبور قباب
وحتى متى أرمى بها فأصاب ؟
كما كترعت ، بين الضلوع ، حراب
وإما كما تشي الضراء ذئاب
يمزق جيب ، تحتها ، وإهاب
تجافى حسام منها وقراب
فيحزني رزة به ومحاب
إذا نسيث رسم الوفاء صباب
طوال الليالي ، والنعيم عذاب
وهل عدل العذب القرات سراب ؟

وميماً شجاني أن قضى حَتَفَ أنفه ، وما اندَقَ رُمحٌ ، دُونَهُ ، وذُبابٌ^١
 وأنا تجارينا ثلاثين حَقَبَةً^٢ ، فَفَاتَ سِيفاً ، والجِسامُ قِصَابٌ^٣
 وكيف تهاجرنا كهولاً ، وإنما كأن لم نَبِتْ في مَنْزِلِ الْقَصْفِ لَيْلَةً ،
 إذا قامَ مِنَّا قائِمٌ ، هَزْ عِطْفَهُ جَمَعْنَا بِمِيدَانِ الْحَبَا ، ثُمَّ إِنَّمَا
 وَلَمَّا تَرَأَتْ لِلْمَشِيبِ بُرَيْقَةً^٤ ، وَأَقْشَعَ مِنْ ظِلِّ الشَّبَابِ سَحَابٌ
 نَهَضْنَا بِأَعْيَامِ اللَّيَالِي جَزَالَةً^٥ ، وَأُرْسَتْ يَدَا فِي النَّائِبَاتِ هِضَابٌ
 فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ كَيْفَ سَطَا بِهِ ، وَقَدْ كَانَ يُرْجَى ، تَارَةً^٦ ، وَيُهَابٌ
 وكيف استلانت صَوْلَةُ الْمَوْتِ عُودَهُ ، فَلَمْ يَنْبُ عَنْهُ لِلنِّبَةِ نَابٌ؟
 وَلَا عَجَباً أَنَا ذَلَّلْنَا لِحَادِثٍ ، تَذِلُّ لَهُ الْآسَادُ ، وَهِيَ غِيضَابٌ
 وَأَنَا خَضَعْنَا لِلْمَقَادِيرِ عَنُودَةً^٧ ، كَمَا خَضَعْتَ ، تَحْتَ السَّيْفِ ، رِقَابٌ
 وَلَوْ أَنِّ غَيْرَ اللَّهِ كَانَ أَصَابَهُ ، جَلَسَتْ نَفُوسٌ ، لَا تُفَادُ ، صِعَابٌ^٨

١ مات حَتَفَ أَنفَهُ : أَي عَلَى فَرَّاشِهِ مِنْ غَيْرِ قَتْلِ وَلَا ضَرْبٍ . الذُّبَابُ مِنَ السَّيْفِ : طَارِفُهُ الَّذِي
 يَضْرِبُ بِهِ .
 ٢ الْقَصَابُ : لَمْلَمُهُ أَرَادَ بِهِ الْقَطْعَ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ الْجَسَامَ ، الْمَوْتِ ، يَقْلَعُ بَيْنَ الرِّفَاقِ وَيُفَرِّقُهُمْ .
 ٣ تَفَادُ : تَمَات ، تَهْلَتْ .

فَمَا ظَاعِنًا قَدْ حُطَّ ، مِنْ سَاحَةِ الْبَيْلَى ،
 كَفَى حَزَنًا أَنْ لَمْ يَرِدْنِي ، عَلَى النَّوَى ،
 وَأَنْتِي ، إِذَا يُمُتُّ قَبْرُكَ زَائِرًا ،
 فَأُظْلَمَ قَتْرُنُ الشَّمْسِ ، وَهِيَ مُنِيرَةٌ ،
 وَرَقَرَقْتُ ، بَيْنَ الْحُزَنِ وَالصَّبْرِ ، عِبْرَةٌ ،
 وَلَوْ أَنَّ حَيًّا كَانَ حَاوِرَ مَيِّتًا ،
 وَأَعْرَبَ عَمَّا عِنْدَهُ مِنْ جَلِيَّةٍ ،
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ صَاحِبِ قَضَى ،
 تَوَلَّى حَبِيدَ الذِّكْرِ ، لَمْ يَأْتِ وَصَّةٌ ،
 أَغْرُ طَلِيقُ الصَّفَحَتَيْنِ ، كَأَنَّمَا
 أَلَا إِنَّ جِسْمًا يَسْتَعِيلُ لَتُرْبَةٍ ،
 فَلَا تَسْمِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَأَجَلٍ ؛
 بِمَنْزِلِ بَيْنٍ ، لَيْسَ عَنْهُ إِيَابُ
 رَسُولٍ ، وَلَمْ يَنْفُذْ ، إِلَيْكَ ، كِتَابُ
 وَقَفْتُ وَدُونِي ، لِلتُّرَابِ ، حِجَابُ
 رَضِيقَتِ بِلَادُ اللَّهِ ، وَهِيَ رِحَابُ
 لَهَا جَيْشَةٌ ، فِي مُقَلَّتِي ، وَذَهَابُ
 اطَّالَ كَلَامٌ ، بَيْنَنَا ، وَخِطَابُ
 فَأَقْلَعَ عَنْ شَمْسٍ ، هُنَاكَ ، ضَبَابُ
 فَأَجْشَ رَبِيعٌ ، بَعْدَهُ ، وَجَنَابُ
 فَتَبَقَى ، وَلَمْ تَدْنَسْ عَلَيْهِ ثِيَابُ
 وَرَاءَ تُرَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ شِهَابُ
 وَإِنْ حَيَاةٌ تَنْتَهِي ، لَتُخْرَابُ
 وَلَا تُذْخِرَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَوَابُ

١ أجش : تبا للبكاء .

متوى الحبيب

قال يرثي محمداً ابن اخته
وقد مات في اغمات :

أرقتُ أكْفَ الدَّمعِ، طَوْرًا، وأسْفَحُ،
ودونك طَلْحًا، من الماءِ، ما تَبِجُ،
وإنِّي، إذا ما اللَّيْلُ جاءَ بِفِجْجَةٍ،
وأَتْبِعُ طَيْبَ الذِّكْرِ أَنْتَ مُوجِّعُ،
وألقى بياضَ الصَّبْرِ يَسْرَدُ وَحْشَةً،
ويُوحِشُنِي نَاعٍ، من اللَّيْلِ، نَاعِبُ،
وأَسْتَقْبِلُ الدُّنْيَا بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ،
وأُشْفِقُ مِنْ مَوْتِ الصَّبَا، ثُمَّ إِنِّي
غَلَامٌ، كما اسْتَخْشَنْتَ جَانِبَ هَضْبَةٍ،
وَأَنْضَحُ خَدَّيْ، تَارَةً، ثُمَّ أَمْسَحُ
يَعْبُ، وَمُعْبَرٌ، مِنْ التَّشْرِيبِ، أَفِيحُ^١
لأوري زِنَادَ اهِمَّ فِيهَا، فَأَقْدَحُ
فَيَنْفَحُ هَذَا حَيْثُ هَاتِيكَ تَلْفَحُ
فَأَحْسِبُنِي أُمِّي عَلَى حِينٍ أَصْبَحُ
فَأَزْجُرُ مِنْهُ بَارِحًا لَيْسَ يَبْرَحُ
فَيَقْبَحُ فِي عَيْنِي مَا كَانَ يَمْلَحُ
لَأَمْلُ أَنْ اللَّهَ يَعْفُو، وَيَصْفَحُ
ولانَ عَلَى طَشٍ^٢، مِنَ الْمُزْنِ، أَبْطَحُ

١ دونك : أي حاجر دونك . طلاح : أراد به البحر . الافيح : الواسع .

٢ الطش : المطر الغفيف .

أَقُولُ ، وَقَدْ رَأَى كِتَابُ نَعِيمِهِ ،
أَرَامٍ بِأَغْمَاسٍ يُسَدِّدُ سَهْمَهُ ،
فِيَا لَغَرِيبٍ ، وَاجِدَانَهُ مَنِيَّةً ،
كَأَنَّ لَهِيْبًا ، بَيْنَ جَنْبَيَّ ، وَاقِدًا ،
جَلَسْتُ أَسْوَمُ الدَّهْرَ فِيهِ مَلَامَةً ،
تَرَانِي ، إِذَا أَعْتَلْتُ حُزْنًا ، حَمَامَةً
غَرِيقًا بِبَحْرِ الدَّمْعِ وَالْهَمِّ وَالْدُّجَى ،
أَحْمِلُ أَنْفَاسَ الشَّمَالِ نَحِيَّةً ،
فِي نَظْرَةٍ ، نَحْوَ السَّارِ ، وَلَوْعَةً ،
فَرَادَعْتُ عَنْهَا النَّفْسَ ، وَالنَّفْسُ حَبِيَّةً ؛
فَتَمَّ ، بِأَسْرَارِ الصَّبَابَةِ ، مَدْمَعِي ؛
وَأَيَّاسْتُ قَلْبًا ، كَانَ يَخْفِقُ ، تَارَةً ،
يُجَمِّعُهُ ، فِي الْفَاطِمَةِ ، فَيُصْرَحُ
فَيَرْمِي ، وَقَلْبُ بِالْجَزِيرَةِ يُجْرَحُ ١
أَتَتْهُ عَلَى عَهْدِ الشُّبَابِ تَلَحُّجُ ٢
بِهِ ، وَرَكَابًا ، بَيْنَ جَفْنَيْ ، تَمْنَعُ ٣
وَكُنْتُ ، كَمَا قَدْ كُنْتُ ، أَثْبِي وَأَمْدُخُ
تُرْنِي ، وَطَوْرًا ، أَيْكَةً تَنْرَشِحُ
وَلَوْ كَانَ بَحْرًا وَاحِدًا كُنْتُ أَسْبَحُ
يَسْوُهُ بِهَا مِنْ مَاءِ جَفْنِي ، فَيَرْزَحُ
تَلْدُدُ ٤ بِي ، نَحْوَ الْجَنُوبِ ، فَأَجْنَحُ ؛
وَرَاوَعْتُ ٥ حَسَنَ الصَّبْرِ ، وَالصَّبْرُ أَرْجَحُ
وَكُلُّ إِنَاءٍ ، بِالَّذِي فِيهِ ، يَوْشِحُ
وَتَنْزُرُ بِهِ الْآمَالُ ، طَوْرًا ، فَيَطْمَحُ

١ اغمات : بلدة في المغرب .

٢ تلحج : لا تبرح .

٣ الركابا ، واحدها الركبة : البئر . تمنع : يستخرج ماؤها .

٤ تلدد بي أصلها تلدد بي : تناهت بي . اجنح : أميل .

٥ رادعت : كفت . راوغت : خادعت .

فما أَتَلَقَّى الرَّكْبَ ، أَرْجُو تَحِيَّةً
 ففِي نَظَرِي ، لِلَّيْلِ ، مَرِيطٌ أَدْهَمٌ ،
 إِذَا كَانَ قَصْرُ الْأَنْسِ ، بِالْإِلْفِ ، وَحِثَّةً ،
 فَيَا عَارِضاً ، يَسْتَقْبِلُ اللَّيْلَ وَكِفًا ،
 تَحْمِلُ إِلَى قَبْرِ الْغَرِيبِ مَزَادَةً ،
 وَأَحْفَى سَلامٍ ، يَعْبرُ الْبَحْرَ دُونَهُ ،
 وَعَرَجٌ ، عَلَى مَشْيِ الْحَبِيبِ ، بِنَظَرَةٍ ،
 تُوَافِي لَهُ ، أَوْ رُفْعَةً تُصَفِّحُ
 وَفِي وَجَنَّتِي ، لِلدَّمْعِ ، أَشْهَبُ يَجْمَعُ
 فَمَا أَشْتَهِي أَنْسِي أَمْرٌ ، فَأَفْرَحُ^١
 وَيَسْرِي ، فَيَطْوِي الْأَطْوَالَينَ ، وَيَمْسَحُ
 مِنَ الدَّمْعِ ، تَنْدِي حَيْثُ سَرَتْ ، وَتَنْضَعُ
 فَيَنْدِي ، وَأَزْهَارَ الْبَيْطَاحِ ، فَتَنْفَعُ^٢
 تَرَاهُ بِهَا عَيْنِي ، هُنَاكَ ، وَتَلْمَحُ

١ قصر الانس : غايته .

٢ أحفى سلام : أكرمته .

حَتَامُ اَنْدَبُ ؟

قال يرثي الوزير
أبا محمد بن ربيعة :

رَفَعْتَ عَلَيْكَ ، عَوِيلَهَا ، الْأَمْجَادُ ، وَجَفَّتْ ، كَرِيمَ تَجَنُّبِكَ ، الْعُرَادُ
وَتَكَنَّفَتْ شُكْرَاكَ عَنْ تَخْطِبِ دَهَى ، هَدَّتْ لَهُ ، أَرْكَانَهَا ، الْأَطْوَادُ
سَلَّتْ عَنَادَ الصَّبْرِ فِيهِ ، صَبَابَةً ، مَا لِي بِهَا ، غَيْرَ الدُّمُوعِ ، عَنَادُ
لِلَّهِ أَيُّ خَلِيلٍ صَدَقَ مُخْلِصٍ ، أَهْوَى بِهِ رُكْنٌ ، وَمَالَ عِبَادُ !
تَخَطَّمَ الْقَضَاءُ بِهِ قَرِيباً مُصْعَباً ، فَانْقَادَ يَصْحَبُ ، وَالْحِمَامُ قِيَادُ
جَارَيْتُهُ طَلَّقَ الْحَيَاةَ إِلَى الرَّدَى ، فَحَوَى بِهِ ، قَصَبَ السَّبَاقِ ، جَوَادُ
كُنَّا اصْطَحَبْنَا ، وَالتَّشَاكُلُ نِسْبَةً ، حَتَّى كَانَا عَاتِقٌ وَنِجَادُ
بِثَمِّ افْتِرَاقِنَا ، لَا لِعَوْدَةٍ مُصْحَبَةٍ ، حَتَّى كَانَا شُعْلَةٌ وَزِنَادُ

١ خطم : اسكت وقهر . القريع : السيد . المعصب : الصعب . استعار في هذا البيت صفات
فعل الجمال للمرثي ، وهو امر كان مأنوساً عند العرب .

٢ طلق : شوط .

٣ التشاكل : المناسبة . العاتق : الكتف . النجاد : علاقة السيف .

يا أيُّها النَّائي ، ولستَ بِمُجِيعٍ
 ما تفعلُ النَّفسُ النَّفيسةُ ، عندما
 كُشفَ الغِطاءُ إلبك عن سرِّ الرُّدى ،
 فوَرَأَ يَسْتَرِ الليلُ مُضْطَرِمْ الحِشَاءِ ،
 لم يدْرِ ، إلَّا "يومَ موتِكَ" ، ما الأسى ،
 وكفاهَ مجدًّا أن يقولَ ، وللدُّجى
 حُتَّامَ أندُبُ صاحباً وشيبةً ،
 أقصرَ ، فلا ذاك الحليلُ بآيبٍ ،
 فقصارُ مجتَمِعِ الأصحابِ فِرقةٌ ،
 فيمَ السُّلُو ، وقد تحمَّلَ صاحبٌ ،
 أتبعتهُ قلباً له ، من لوعةٍ ،
 فذٌ ، تبسَّمَ عنه صدرُ المتدى ،
 وأخُ لودٍ ، لا أخُ لولادةٍ ،
 ملكتهُ غُشْبَةُ نومةٍ لا تنجلي ؛
 سَكَنَ القبورِ ، وبيننا أسداد^١
 تهـاجِرُ الأرواحُ والأجـاد ؟
 فأجِبْ بما تَندى به الأكباد
 لا يَسْتَقِرُّ به ، هناك ، مِهَاد
 فكأنَّ مَوْتَكَ للأسى مِيلاد
 فبجَرَّ له ، من دَمْعِهِ ، أمداد
 فتَفِيضَ عَيْنٍ ، أو يَعِينُ فؤاد ؟
 يوماً ، ولا ذاك الشَّبابُ يُعاد
 ومَحَارُ أنوارِ الشَّبابِ رَماد^٢
 شَطَّتْ به ، دارٌ ، وطالَ بُعاد ؟
 زادٌ ، ومن عَيْنٍ تَفِيضُ ، مَزاد
 طرباً به ، واهتَزَّتِ الأنداد^٣
 وأَمْسُ من نَسَبِ الولادِ وِداد
 ولكلِّ عَيْنٍ نومةٌ وسُهَاد

١ الاسداد ، واحدها سد : الحاجز .

٢ محار : مرجع .

٣ الفذ : الفرد الذي لا مثل له . الانداد ، واحدها ند : المثل .

ودُعُتْهُ توديعَ مكتئبٍ ولا ، غيرَ المَعَادِ ، للثِقَةِ ، مِيعَادِ
 ونَفَضَتْ مِنْهُ يَدِي بِعِلْقِ مَضْنَةٍ ، فَتَتْ بِهِ الْأَكْبَادُ والأَعْضَادِ
 وترَكْتُهُ ، والمَجْدُ يُرْغِمُ أَنْفَهُ ، متوسِّداً ، حَيْثُ الشَّرَابُ رِيسَادِ
 فِي مَوْطِنٍ نَزَلْتَهُ جَرَهُمْ قَبْلَتَهُ ، وتَحَوَّلَتْ إِرَمٌ إِلَيْهِ ، وَعَادَا
 أُمَمٌ ، يَغْصُ بِهَا الْفَخَاءُ ، طَوَّاتِهِمْ ، كَفُّ الرَّدَى طَيُّ الرَّدَاءِ ، فَبَادُوا
 سَادُوا وقَادُوا ، ثُمَّ أَجَلَى جَمْعُهُمْ ، عَنْ وَحْدَةٍ ، فَكَانَتْهُمْ مَا قَادُوا
 عَفَّتِ الْبُنَاةُ ، عَلَى اللَّيَالِي ، وَالْبَنَى ، وتَلَا حَقَّ الْأَمْجَادِ والأَوْغَادِ
 وَلَرُبَّمَا ذَبُّوا ، وَذَادُوا عَنْ نَحْيٍ ، مَلِكٍ هَوَى ، فَكَانَتْهُمْ مَا ذَادُوا^١
 فَاصِخَ طَوِيلًا ! هَلْ تَعْيِي مِنْ مَنْطِقٍ ؛ وانْظُرْ مَلِيًّا ، هَلْ تَرَى مَا شَادُوا؟
 'زَمَرٌ' يُعَدُّ بِهَا الْحَصَى مِنْ كَثَرَةٍ ، وَلَرُبَّمَا فَنِيَتْ بِهَا الْأَعْدَادِ
 أَلَوِي بِهِمْ ، وَلِكُلِّ رَكْبٍ سَائِقٌ ، زَمَنٌ أَحَدًا بِرُكَابِهِمْ ، يَقْتَادِ
 وَرَمَى رَبِيعَةً بِالْحُمُولِ ، وَإِنَّمَا كَانُوا بِعَبْدِ اللَّهِ فِيهِمْ سَادُوا
 بَاغَرٌ وَضَّاحِ الْجَبِينِ ، كَانَتْهُ ، تَعَتِ الدُّجْنَةُ ، كَوَكَبٌ وَقَّادِ
 مُتَبَسِّمٌ فِي هَزَّةٍ ، فَكَانَتْهُ غَضَنٌ تَفْتَقُ نَوْرُهُ ، مِشَادِ

١ جرهم ، وارم ، وعاد : قبائل عربية قديمة ، من العرب البائدة .

٢ البناة ، واحدها بان . البنى ، واحدها بنية : ما بنى .

٣ ذادوا : دافعوا .

وَطِيءَ السَّيَّالُ بِهِ التَّوَّاضِعُ، رِفْعَةً،
أَلْقَى الْحِمَامُ بِرَحْلِهِ، فِي مَنْزِلٍ،
يَعْلُو بِهِ نَفْسٌ، وَتَدْمَعُ مُقْلَةٌ،
فَوَقَفَتْ أَنْدُبٌ مِنْهُ سَلَوًا دَائِرًا،
تَمَحُّو صَحِيفَةً صَفْحَتَيْهِ يَدُ الْبَلِي،
فَخَلَا، بِرُغْمِ الْمَجْدِ، مِنْهُ مَنْزِلٌ،
لَوَتْ الضُّلُوعُ بِهِ، الْأَصَادِقُ، لَوْعَةً،
مُتَقَلِّدَةً بِالْأَمْعِ حَلِيًّا، كُلُّهَا
يَبْيَضُ مُلْتَحِمًا، وَيُظْلِمُ رَحْشَةً،
فَبَكَكَ، مِنْ قَبْرِ كَرِيمٍ، عَارِضٌ
تُعْرِى الْعَزَاءُ عَلَيْهِ، لَمْ تُنْعَرْ بِهِ
وَسَقَاكَ وَابِلٌ رَحْمَةً، يَغْشَى بِهَا
تَهْفُو الْبُرُوقُ بِجَانِبَيْهِ، كَأَنَّمَا

فَكَأَنَّمَا إِيْتَامُهُ إِنْجَادُ
نَزَلَتْ بِهِ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ
فِيْرَاحُ، تَطَوَّرَ، تَرْبُهُ، وَيُجَادُ^١
مَا إِنْ يُحْسِ، وَهَلْ يُحْسِ جَمَادُ؟
عَبَثًا، وَتَطَوَّرِي، ذَكَرَهُ، الْآبَادُ
مَلَأَتْ، مَدَامِعَهَا، بِهِ الْأَنْجَادُ
وَلَرُبَّمَا رَقَّتْ بِهِ الْحُمَادُ
عَطِلَتْ بِهِ، مِنْ حَلِيَّهَا، الْأَجْيَادُ
فَكَأَنَّمَا ذَاكَ الْبَيَاضُ حِدَادُ
زَجِيلٌ، لَهُ مِنْ رَنْثَةٍ إِرْعَادُ
إِبِلٌ، وَلَمْ تُعْقَرْ عَلَيْهِ رِجَادُ^٢
جَنَابَتِكَ الْوُرَادُ وَالرُّوَادُ
عُقِرَتْ بِهَا تَخِيلٌ، عَلَيْكَ وَرَادُ^٣

١ - يَراح، من رَبع: أصابته الريح. يَجَاد، من جَدَّت الأرض: أصابها المطر.

٢ - إشارة إلى عادة العرب من عُقر النباذ حزنًا على الميت: وانْعَمًا له.

٣ - عُرِرَتْ: رَحِمَتْ وَرَبَّتْ. ذُخِيلٌ: ذُخْرٌ.

فبطيب ثربك، أيُّ بيتٍ قصيدة، لو أنْ ذاكَ البيتَ كانَ يُعاد
لا تلتقي عينٌ عليه وثومةٌ ليلاً، ولا تجنبُ به ومهاد
والليلُ فسطاطٌ، هناك، مُطنَّبٌ، ضربتُ له، من أنجُسمٍ، أوتاد
وكفى تمعاداً للتلاقي في الكرى، لو كان يسحُ بالخيالِ رقاد

كفاني شكوى

قال يرثي بعض اخوانه ويندب ما تقف
من زمانه ويمدح الوزير أبا الملاء بن
زهر في سنة ٥١٢ هـ (١١٢٠ م):

كفاني شكوى أن أرى المجد شاكيا،
أداري فؤادا، يصدع الصدر زفرة،
وكيف أوارى من أوار وجدتي
وما أنا تلقائي الليالي، يملئها
وتطوي، على وخز الأسافي، جوانحي،
ضمان عليها أن ترى القلب خافقا،
وإن صفاة الود، والعهد بيننا،
وكم قد لحتني العاذلات جهالة،
فقلت لها: إن البكاء لراحة،
وحسب الرزايا أنه تراني باكيا
ورجع أنين، يحلب الدمع ساجيا
له صادرا، عن منهل الماء، صاديا
خطوبا، وألقى بالعويل الليالي
توالي رزايا لا ترى الدمع شافيا
طوال الليالي، أو ترى الطرف داميا
ليكره لي أن أشرب الماء صافيا
ويتأني المعنى أن يطيع اللواحيا
به يشتفي من ظن أن لا تلاقيا

١ الاشافي، واحدا الاشافي: المتعب، والمخز.

ألا إن دهرًا قد تقاضى شبيبتي وصحبي لدهرٍ قد تقاضى المرازيا^١
وقد كنت أهدي المدح، والدار غربةً، فكيف بإهدائي إليه المرائيا!
أحبابنا بالعدوتين صمتم، يحكم الليالي أن تجيبوا المناديا^٢
فقيدت من شكوى، وأطلقت عبوتي، وخففت من صوتي، هنالك، شاكيا
وأكبرت خطباً أن أرى الصبر بالياً، وراء ظلام الليل، والشجم ثوريا
وان عطل النادي به من حلاكُم، وكان على عهد التفاوض حاليا
وما كان أحلى مقتضى ذلك الجنى، وأحسن. هانبك المرامي مراميا
وأندى معي ذلك العصر مطلقاً، وأكرم نادي ذلك المتعب ناديا
زمان تولّى بالمعاسين عاطرٌ، تكاد ليليه نيل غواليبا
تقضى، وألقى بين جنبتي لوعةً، أبأكي بها، أخرى الليالي، البواكيا
كانني لم أنس إلى اللهو ليلةً، ولم أتصفع صفة الدهر راضيا
ولم أتلق الرّيح تتدى على الحشى، سذاءً، ولم أطرب إلى الطير شاديا
وكانت تحايانا، على القرب والنوى، تطيب على مرّ الليالي تعاطيا
فهل من لقاء معرضٍ، أو تحيةٍ مع الركب يغشى، أو مع الطيف هاريا!

١ المرازى ، واحدها المرازنة : المعية العظمى .

٢ العدوتين ، متى العدو : شاطئ الوادي وجانبه ، وكان أهل الاندلس يسمون بالعدوة

أرض المغرب ، وأهل المغرب يسمون بها أرض الاندلس .

فيها أنا، والأرزاءُ تفرّعُ مروءة^١
 أحين^٢، إذا ما عسعسَ الليلُ، حنة^٣
 وأرخيصُ أعلاقِ الدُموعِ صباية^٤،
 فما بنتُ أليكِ، بالعراءِ، مرنئة^٥،
 وتندُبُ عهداً قد تقضى برامة^٦،
 بأخفتِ أحشاء^٧، وأنا حشيدة^٨،
 فهل قائلٌ عني لواءِ يذي الغضا :
 وعللُ برياً الرندِ نفساً عليلة^٩،
 فكُم شاقتي من منظرٍ، فيك، رائق^{١٠}،
 وضاعكني تفرُّ الأقاحِ ومبسم^{١١}،
 ودونَ حلي تلكَ الشبيبةِ شيبة^{١٢}،
 وإن أجدَ الوجدِ وجدً بأشطر^{١٣}،
 بصدري، وقلباً بينَ جنبَي حانيا^{١٤}
 تذيبُ الحوايا أو تفضُّ الترافيا^{١٥}
 وعهدي بأعلاقِ الدُموعِ غواليا^{١٦}
 تنادي هديلاً، قد أضلته نائيا^{١٧}
 وكرأ بأكنافِ المشتَرِ خاليا^{١٨}
 وأضرمَ أنفاساً، وأندى ماقيا^{١٩}
 تارُجُ معَ الأسماءِ حبيبتَ واديا^{٢٠}
 معَ الصبحِ يندى، أو معَ الليلِ هاديا^{٢١}
 هزّزتُ له من معطفِ الشكرِ صاحباً^{٢٢}
 فلم أدرِ أيّ بان ثم أقاحياً^{٢٣}
 جلبتُ بها غماً ولم أكن خاليا^{٢٤}
 تلددَ يستقرِّي الرؤومَ الحوايا^{٢٥}

١ المروءة : القطعة من الصوان . وقرع مروءة : أنزل به البلاء .

٢ عسعس الليل : اظلم .

٣ الحشة : الفراش . وأنا حشة : أي ان فراشها ينوبها ، فلا تعلمن إليه .

٤ الشطر الثاني . ممد ، غامض ، ولعل فيه تحريفاً .

٥ تلدد : تلفت يمينا وشمالا .

وتَهْفُو صَبَا تَجِدُ بِهِ طِيبَ نَفْعَةٍ ،
فَقُلْ لِلْبَالِي الْحَيْفِ : هَلْ مِنْ مُعْرِجٍ
وَرَدَّذُ بِبِهَاتِكَ الْأَبَاطِيعِ وَالرُّهَى
فَمَا أَسْتَسِيغُ الْمَاءَ ، يُعَذِّبُ ، ظَامِئًا ،
وَلَوْ لَا أَمَانٌ عَلَّمْتَنِي ، عَلَى النَّوَى ،
أَخُو الْمَجْدِ لَمْ يَعْدُلْ عَنِ التَّجْدِ ، نَازِلًا
تَلَوْدُ بَيْرُ كُنِّي حَالِقٍ مِنْهُ شَاهِقٍ ،
يُسَاجِلُ طَوْرًا كَفَّهُ الْغَيْثُ غَادِيًا ،
وَتَبَايَ الْعُلَى مِنْهُ بِأَبْيَضٍ مَاجِدٍ ،
وَيَعْطِيهِ مَا بَيْنَ دِرْعٍ وَمِغْفَرٍ ،
شَرِيفٌ لَأَبَاءٍ ، نَمَتْهُ ، شَرِيفَةٌ ،
يُنَاسِقُ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ سَاحَةً ،
إِذَا نَحْنُ اثْنَيْنَا عَلَيْهَا وَجَدْتُنَا
كَفَى قَوْمَهُ عُلْيَاءَ أَنْ كَانَ غَايَةً

فَيَلْقَى صَبَا تَجِدُ بِمَا كَانَ لَا قِيَا
عَلَيْنَا ، وَلَوْ طَيفًا سَقِيتَ لَبَالِيَا
تَعِيجَةً صَبَّ لَيْسَ يَرْجُو التَّلَاقِيَا
وَلَا أَسْتَطِيبُ الظِّلَّ ، يَهْرُدُ ، ضَاحِيَا
بِلُقْيَا ابْنِ زَهْرٍ مَا عَرَفْتَ الْأَمَانِيَا
بَارِضٍ ، وَلَمْ يَشْتَخْ مَعَ الْعِزِّ ثَاوِيَا
فَتَغْشَى كَرِيمًا حَامِلًا عَنْكَ حَامِيَا
وَيَحْمِلُ طَوْرًا دِرْعُهُ الْلَيْثُ عَادِيَا
'يَهْرُدُ' دُونَ الْمَجْدِ أَيْضًا مَاضِيَا
وَأِنْ كَانَ عَضْبُ الشُّفْرَتَيْنِ يَمَانِيَا
يَطُولُ الْعَوَالِي بَسْطَةً وَالْمَعَالِيَا
وَيَحْمِلُ أَوْضَاحَ الْفُصَّاحِ مَسَاعِيَا
نُعَلِّي صُدُورًا لِلْعُلَى ، وَهَوَادِيَا
لَهُمْ ، وَكَفَاءُ أَنْ يَكُونُوا مَبَادِيَا

١ تبأى : تفخر ، وتنكبر .

٢ الهوادي : الاعتاق ، واحداً هاد .

تَبَوُّأُ مِنْ رَسْمِ الْوِزَارَةِ رُتْبَةً تَمْنَى ، مَرَاقِبَهَا ، النُّجُومُ ، مَرَد
وَأَحْزَنَ فِي أُخْرَى السَّالِ فَتَلَا شُعْطَةً فِي نَسْرِ السَّيْرِ
سَرِيحَ سَمْعِي بِسَ سَتَرِ سَرِيبٍ ، وَخَسْفِي بَعْدَ قِيَدِي
سَبَبٌ بِسَبَبٍ - يَتِي سَبِيحٍ - حَمِيرٍ - حَتَّى رَأَيْتُ رَمِيحِي
وَأَرَوَّعَ يَنْدَى لَلطَّلَافَةِ صَفْحَةً ، وَيَقْدَحُ زَنْدًا لِلشَّبَاهَةِ وَارِيَا
فَيَجْمَعُ بَيْنَ الْمَاءِ أَيْضَ سَلْسَلَا ، يَسُحُّ ، وَبَيْنَ الْجَمْرِ أَحْمَرَ حَامِيَا
أَحْنُ إِلَى حَنَّةِ النَّيْبِ هَجَّرَتْ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ مَاءَ الْعُضَاهِ صَوَادِيَا
فِيَا أَيُّهَا النَّاسِي مَعَ التَّجَمُّعِ هَمَّةٌ ، وَمَرَقَى خِيَالِي فِي الْوِزَارَةِ سَامِيَا
تَرَى فَرَقْدَةَ اللَّيْلِ الشَّرَى مِنْهُ ثَالِثَا ، وَتَرَعَى بِهِ بَدْرَ الدُّجْنَةِ ثَانِيَا
حَنَانِيكَ فِي نَائٍ شَكَا مَسٍ لَوْعَةٍ ، فَسَفَّرَ ، مِنْ شَوْقٍ إِلَيْكَ ، الْقَوَافِيَا
وَحَيَّا بِهَا أَذْكَى مِنَ الرُّوضِ نَفْحَةً ، وَأَرْهَفَ مِنْ لَدُنِ النَّسِيمِ حَوَاشِيَا
وَقَدْ تَدَبَّتْ ، مِنْ حَيْثُ لَمْ أَدْرِ ، رُبْعَةً ، أُنَمِّقُ ، أُمُّ دَمْعًا أَرْفَرِقُ جَارِيَا
وَلَا نِكَ لَلْعَذَابِ الْفُرَاتِ عَلَى الصَّدَى ، وَإِنْ بِنْتُ ، وَالْبَرُّ الْكَرِيمُ أَيَادِيَا
شَقِيقُ النَّدَى وَابْنُ النَّهْيِ وَأَبُو الْعُلَا ، وَحَسْبُكَ بَيْتًا فِي الْمَكَارِمِ عَالِيَا

١ النيب ، واحدها الناب : الناقة المسنة .

الأعمى التنظيمى

حرف الالف

- ١ -

[قال يحرض أهل اشبيلية على رجل عسوف]

- | | | |
|----|----------------------------|---|
| ١ | الى الله أشكو الذي نحن فيه | أسى لا يُتَنَهيه منه' الأسى |
| ٢ | على مثلها فلتشق' القلوب' | مكان' الجيوب' وإلا فلا |
| ٣ | فشا الظلم' واغتر' أشياعه' | ولا 'مستغاث' ولا 'مشتكى |
| ٤ | وساد الطغّام' يتمويههم' | وهل 'يفدح' الرزء' إلا كذا / ٢ظ |
| ٥ | وطالت 'خطاهم' الى الترهات | إلا قصر' الله تلك الخطا |
| ٦ | وأعجب' كيف' نضل' السبيل' | ولم نأينه' ، واهتدته القطا ^(١) |
| ٧ | وكيف 'نضاحك' هذى الرياض' | وكيف بصوب' الغمام' الحصى |
| ٨ | وهيات لم يعتمد' أن يهود' | ولكن لما نحن فيه بكى |
| ٩ | وماذا يمحصر من المضحكات | ولكنه' ضحك' كالبكا ، ^(٢) |
| ١٠ | وذا اليوم' حملنا فادحاً | تخصعتنا له وانتظرنا غدا |

١ - د : أشكو ما

(١) يضرب المثل بالقطا في الامتداء فيقال : « أهدى من القطا » .

(٢) استعار هنا بيت الكني :

وماذا يمحصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا
ومحصر هي اشبيلية .

١١ وَتَغْضِي عَلَى حُكْمِ صَرْفِ الزَّمَانِ
 ١٢ وَيَا رَبُّ إِبِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
 ١٣ هُوَ الْكَلْبُ أَسَدُهُ جَهْلُهُ
 ١٤ وَرَاعَهُمْ زَارُهُ فِيهِمْ
 ١٥ كَفَاهُ الْهَوَانُ احْتِقَارُ الْهَوَانِ
 ١٦ تَهَانُ بِاللَّهِ وَالْمُسْلِمِينَ
 ١٧ وَقَدْ نَخَلَ الدِّينَ نَخْلُ الشُّجَادِ
 ١٨ فَرَأَاهُ فِي كُلِّ عَيْنٍ قَلْبِي
 ١٩ إِذَا سُئِلَ الْعَسْفُ بِالْمُسْلِمِينَ
 ٢٠ وَإِنْ أَمَكْتُ مِنْهُمْ فُرْصَةً
 ٢١ وَلَا يَدُ لِلْحَقِّ مِنْ دَوْلَةٍ
 ٢٢ فَيَا سَحَرَ فِرْعَوْنَ مَبَادِئَ تَقُولُ
 ٢٣ وَقَدْ عَزَّ فِي تَمَنُّعِ سُلْطَانِهِ
 ٢٤ وَإِنْ أَمَامَكَ ، لَوْ قَدْ عَلِمْتَ ،
 ٢٥ قَاتِلَ غَقِيلَ اللَّهِ عَنْ أُمَّةٍ
 ٢٦ وَعَارِقَةُ الظُّلْمِ مَا قَدْ سَمِعْتَ

وبين الجوانح جمر الغصا
 زوى الحق عن أهله فأنزوى
 وطال فخالوه ليث الشرى
 ولو كان في غيرهم ما هوى
 فسن الأذى باحتمال الأذى
 وقد كان في واحد ما كفى
 وقد أكل الدين أكل الربا/٣
 وذكراه في كل خلق شجرا
 فأجود من حاتم القرى
 فأنتك من خالد بالعدا
 نمت الضلال ونحى الهدى
 إذا جاء موسى وألقى العصا
 كليب ، فكيف رأيت الحمى
 أشياء أسرهن الردى
 ولا ترك الله شيئا سدى
 وعابست لو نهنتك النهى

١٢ - الالب : القوم يجتمعون على عداوة شخص وفي الحديث : إن الناس كانوا إلبا واحدا .

١٣ - أسده : صيره أسدا ، وبالماء أسده : أي أثاره وهيجه وأهواه .

٢٠ - خالد : يعني سيف الاسلام خالد بن الوليد .

٢٢ - إشارة إلى كليب وائل وكيف حوى الحمى ثم كان صيره القتل لتجبره ومصله .

٢٧ أبا أهل حصي وقد ما دهوت
 ٢٨ يقل لأقداركم كل شيء
 ٢٩ ألا قد لحت لكم فاسمعوا
 وهل تسمعون إلى من دعا
 فكيف رضيتم بدون الرضى
 وحاجيت إن كان يعني الحجا

٢٩ - لحت : عرضت وكنت ، وفي شعر القتال الكلابي :
 ولقد لحت لكم لكي تفقهوا رويح وحيماً ليس بالمرتاب

حرف الباء الموحدة

- ٢ -

[قال يمدح ابن حدين]

- ١ أَغْمَزُ هَيْوَنٍ وَأَنْكَمَارُ حَوَاجِبِ
أَمِ الْبَرْقُ فِي جُنُوحٍ مِنَ اللَّيْلِ دَالِبِ
- ٢ سَرَى وَسَرَى طَيْفُ الْخِيَالِ كِلَاهِمَا
يُودُ لَوْ أَنَّ اللَّيْلَ حَرَبٌ لَزَبِ
- ٣ وَفِي مَضْجَعِي أَخْفَى عَلَى الْعَيْنِ مِنْهَا
وَأَثْقَبُ فِي أَجْوَاثِ تِلْكَ الْغِيَاهِبِ
- ٤ لَقَى ، غَيْرَ نَفْسٍ حُرَّةٍ نَازَعَتْ بِهِ
نَجْمٌ الدَّجَى مَا بَيْنَ سَارٍ وَسَارِبِ
- ٥ مَعْدُودَةٍ إِلَّا تَطْبُقَ رَوْعَةٌ
بِهَا مَذْهَبٌ ، وَالْمَوْتُ شَيْءٌ الْمَذَاهِبِ
- ٦ إِلَيْكَ ابْنُ حَدِينٍ وَإِنْ تَبَعْدَ الْمَسَدَى
وَإِنْ غُرِّبْتَ بِي حَنْكَ إِحْدَى الْمَغَارِبِ (١)

١ - م : لا ص .

٢ - د : أحوال .

٦ - في هامش د : الفوارب ، نقلا من نسخة أخرى .

(١) ابن حدين : هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حدين النخلي قاضي الجماعة بقرطبة تقلد فيها القضاء مرتين وكانت أعدامها سنة ١١٣ هـ بعد عزل أبي الوليد بن رشد من قضاء قرطبة ، وكان نافذا في أحكامه جزلا في أعماله . توفي سنة ٥٢١ هـ . (انظر الصلة : ٨١ والنهاية : ١٠٣) ، واخطأ صاحب الاستقصا بقده القائم بالثورة حل المشين عند ضعف سلطانهم سنة ٥٣٩ هـ (الاستقصا ٢ : ٧٧) وإنما القائم عليهم هو حدين بن محمد .

- ٧ صباية ودلم يكدر جمآمه
 ٨ وذكرى عساها أن تكون مهززة
 ٩ بآية ما كان الهوى متقارباً
 ١٠ أمخلفة تلك الوسائل بعدما
 ١١ وم غدوة لي في رضاك وروحة
 على منهج من سنية البير لازب
 ١٢ ليالي لم تمش الأخابيث بيننا
 ١٣ ولم يرجفوا في []
 ١٤ وأيام لم يجن الدلال على الهوى
 ١٥ أفلان لما كنت أحكم قاصد
 ١٦ ولم يبق إلا نزغة ترتقي بها
 شياطين تخشى القذف من كل جانب
 ١٧ أضعت حقوقي أو حقوق مودتي
 ١٨ وفجعت بي حياء نواذب كلها
 مرور الليالي وازدحام الشوائب^(١)
 ترد على أعقابيه كل شاغب
 وخطوي فيه ليس بالمتقارب
 شدنا قواها بالنجوم الشواقب^(٢)
 بما كاد يستهوي حلوم الأطايب
 بصانة ينمونها وأشائب
 هنات جنت عتبي على غير عائب/و
 وسر لك أني جئت أصدق نائب
 فدونكها أعجوبة في الأعساجب
 تذكرني أسعدن غير نواذب^(٣)

٧ - د : تكدر .

١٢ - جاء صدر البيت الثاني عشر مع عجز البيت الذي يليه في النسخة : م .

١٦ - م د : نزعة .

١٨ - د : ذكرتني .

(١) الجاهم : مجتمع الماء ، الشوائب : الأكار .

(٢) الوسائل : الأسباب ، القوى : طاقات الجبل .

(٣) أسعدن : أسفن بالبكاء .

١٤ وقال العدا : ليلُ الحولِ أجنُّهُ

على رِسلِهِم إني هياضُ بنُ ناشب (١)

٢٠ فلا تباهى بي صدورَ مجالسِ أسركَ فيها أو صدورَ مواكبِ

٢١ وأصبحتُ لا يرتاعُ من خوفِ سَطَوَتِي

عدُوِّي ولا يرجو غَسائِي صاحبي

٢١ ولا يَتَلَقَّاني العُفَاةُ كأنما

٢٢ ولا أمرِي أخلافَ كلِّ مُرَّةٍ

٢٢ أحيانِبُ إدلالٍ وأحيانِبُ طاعةٍ

٢٢ أبوءُ بذنبي ليس شعري بمقتضى

٢٢ ولكنَّهُ ما أستطيعُ وعودَةً

٢١ ويحدُّك الحسادُ أنكَ سَدَّتَهُمُ

٢٢ وقد وقفوا دون الذي عزَّ شأوه

٢٢ غضاباً على مَنْ ناكِرَ الدهرِ بينهم

أهلُّوا بمنهلٍ من الغيثِ ساكِبِ
بأيدي صَبَا من عزمي وَجَدَّالِبِ (٢)
وحسبكَ بي من مُعْتَبٍ ومُعَاتِبِ
علاكَ ولو قَفَّيْتُهُ بالكواكِبِ
لِفَضْلِكَ ، إلا تَمَحُّ ذنبي تُقَارِبِ
على شاهدٍ مما انتحيت وغائب / ظ
بأنفسهم أو بالظنون الكواذب
وقد عرَّفوه بين راضٍ وغاضِبِ

٢٢ - م : كأنما .

٢٦ - م د : بفطرك لا م : يمج ... تاري .

٢٧ - م د : انتحيت .

٢٨ - د : وما دون الهوى غير جلوه ، وفي حاشية د : دون الذي من (نغلا من

نسخة أخرى) .

٢٩ - ناكِر : غير منقوطة في م .

(١) هياض بن ناشب : ذكره دريد بن الصمة في شعره وأنه نجما منه يوم القدير - وهو

اليوم الذي أجاز فيه دريد حل لطفان ليثار لأخيه - فقال :

جزينا بني عيس جزاء مولراً بمقتل عبد الله يوم اللاتاب

ولولا سواد الليل أهدرك وكفتا بلي الرمث والأوطى هياض بن ناشب

(اللائاني ١٠ : ١٢)

(٢) امرئ : حلب ، أخلاف : خروج ، المرة : السحابة .

٣٠ سراعاً الى الدنيا وحيثُ يسدا لهم ولو أنه بين الظبا والضرائب (١)

٣١ إذا المرء لم يكتسب سوى المال [وحده]

فالأم مكسوب لآل كاسب

٣٢ عجبت لمن لم يقدر الترب قدّره

وقسد تاه في نقد النجوم الدواقب (٢)

وقد لجّ في تعريضها للنوائب

وإن لم يُعيدوا نظرة في العواقب

نكن هذه إحدى علاك العجائب

ومتجدّدك أولى بارتقاء المراتب

إلى المقصد الأدنى وغير لواغب

وزال سهيل وهي غير ثواب

بهم بين مجنوب اليك وجانب

ضائر مكذوب المنى والتجارب/٥

من الناس من لا يتقي بأس غالب

تنحلّها أثناء تلك النوائب

٣٣ ومن [لم] يوطن للنوائب نفسه

٣٤ أصد نظراً فيهم وفي حرمانهم

٣٥ وكن بهم أدنى إلى الرشده منهم

٣٦ لعلمهم ، والدهر شئ صروفه

٣٧ قد انصرفت تلك الموم لواغباً

٣٨ وثابت حلوم ربما زال يذبل

٣٩ وأيقن قوم أنها هي ترني

٤٠ وألقوا بأيدي صاهرين وأختصوا

٤١ وأهون مغلوب على أمر نفسه

٤٢ إليك ابن حدين نصيحة مشفق

٣١ - وحده : بياض في د .

٣٢ - لم : ساقطة في د .

٣٨ - د : زل يذبل .

(١) الضرائب : جمع ضريبة ، وهي - هنا - حد السيف .

(٢) من هذا البيت حتى آخر القصيدة يميل الشاعر إلى الاحتذار من قوم أخطأوا في حق ابن

حدين ، ويخلص لهم المنقذ .

برغمي ورغم المكرمات تَقْضِيَّتْ
ورغم رجال عِلْمَتِهِمْ ذُنُوبُهُمْ
قَضَوْا نَجْبَهُمْ إِلَّا أَسَى غَيْرَ نَافِعٍ
يلوذون منه بالخضوع مُرَدِّدًا
فإن تَنَقُّصِيَّ مِنْهُمْ فَأَعْدَرُ أَخْلِي
حِبَالُ بِأَيْدِي الْحَادِثَاتِ الْقَوَاضِبِ
حَدَّارِ الْأَعَادِي وَاحْتِقَارِ الْمَصَائِبِ
على ذَاهِبٍ مِنْ أَمْرِ هَيْمٍ غَيْرِ ذَاهِبٍ
إذا عَزَّاهُمْ فَيُضْ الدَّمُوعِ السَّوَاطِبِ
وإن تَنَادَرَكْتُهُمْ فَأَكْرَمُ صَاحِبِ

- ٣ -

وقال أيضا [يمدح محمد بن عيسى الحضرمي]

عَنَابٌ عَلَى الدُّنْيَا وَقَلَّ عَنَابٌ
وَقَالَتْ وَأَصْغَيْنَا إِلَى زُورٍ قَوْلَهَا
وَعَطَّتْ عَلَى أَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا
وَدَانَتْ لَهَا أَفْوَاهُنَا وَعَقُولُنَا
وَقُلْكَ لِعَمْرِ اللَّهِ ، أَمَا رَكُوبُهَا
لِللَّهِ وَلِلْهَوِ وَالْأَهْزَةِ حَوْلَهَا
وَتَخَذَعُنَا عَمَّا يُرَادُ بِنَا مِنْهُ
وَنَقْتُمُ الْأَيَّامَ وَهِيَ مَصَائِبُ
بَكَتْ هَنْدٌ مِنْ ضِحْكِ الْمَشِيبِ بِمُفْرَقِ
أَمَّا عَلِمَتْ أَنَّ الشَّبَابَ خَضَابُ
رَضِينَا بِمَا تَرْضَى وَنَحْنُ غَضَابُ
وَقَدْ يَسْتَفِيزُ الْقَوْلُ وَهُوَ كَذَابُ
فَطَالَ عَلَيْهَا الْحَرَمُ وَهِيَ سَرَّابُ
وَهَلْ عِنْدَهُمَا إِلَّا الْفَنَاءُ ثَوَابُ
لَهْلُوكُ ، وَأَمَّا حُكْمُهُمَا فَغِيْلَابُ ٥ ظ
[رُقَاتُ] ، وَنَبِيّ وَالدِّيَارُ خَرَابُ
لِبَحْرِ الْمُنَايَا دُونَهُنَّ صَبَابُ
لَهُنَّ عَلَيْنَا جِيَّةٌ وَذَهَابُ

١٦ - د م : يَكُولُونَ .

١ - م : أَهْوَاؤُنَا . . . الْعَنَاءُ .

٥ - د : فَلَكَ .

٦ - رُقَاتُ : سَاقِلَةٌ مِنْ د .

- ١٠ وقالت 'غبار' ما أرى وثجا هلت وليس على وجه النهار نقاب
١١ هل الشيب إلا الرشد جلى غوايتي فأصبحت لا يخفى على صواب
١٢ وأصبح شيطاني يعض بناه وقد لاح دوني للقنير شهاب
١٣ أأفرو لصرف الدهر عن هفواته على حين لا يأتي علي عتاب
١٤ وأزكه يمضي على غاياته وقد قل إعتاب وطال عتاب
١٥ برئت من العلياء إن لم أردّه ولي ظفر قد عاث فيه وناب
١٦ وإن لم أننيه من شباه بعزّة تدل لها الأشياء وهي صعب
١٧ وقائلة ما بال حصن نبت به ورّب سؤال ليس عنه جواب
١٨ نبت بي فكنت العرف في غير أهله يعود على أهليه وهو تباب/٦
١٩ فبالله ما استوطنتها قانعا بها ولكنني سيف حواه قراب
٢٠ أبغضيب حسادي قيامي إلى العلا وقد قعدوا لما ظفرت وخابوا

...

- ٢١ وأروع لا بناء على عزّ ماته مرام ولا يخفي سنّاه حجاب
٢٢ من الحضرميين الأولى أحرزوا العلا بنوا فأطالوا ، أو رموا فأصابوا
٢٣ من المانعين بالدهر حوزة جارهم وأشلاؤه بين الخطوب نهاب
٢٤ هم عرّضوا دون المعالي فأصبحت مطالب لا يدنو كهن طلاب

١١ - د : ولاصحت لا يخشى .

١٨ - المالك : هل بوله .

١٩ - المالك : وثاقه || م : وراقه .

٢٥ وهم "جَنُّحُوا بِالْمَعْتَفِينَ إِلَى نَدَى"
 ٢٦ سَجَايَا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي كَأَنَّمَا
 ٢٧ مَوَارِدُ فِيهَا تَسْمُ كُلُّ مَعَانِدٍ
 ٢٨ نَحْوُ قَتْنِي صَرَفَ الزَّمَانِ وَقَدْ تَحَدَّثَ

برحلي إلى ابنِ الحَفْصَرَمِيِّ رَكَّابُ
 ٢٩ إِذَا اللَّهُ سَنَى لِي لِقَاءَ مُحَمَّدٍ
 ٣٠ فَتَى لَمْ تُسَافِرْ عَنْهُ آمَالُ أَمَلٍ
 ٣١ وَلَا ظَمِيسُ الْعِلْمِ الْمُفْتَبِّحُ أَهْلُهُ
 ٣٢ لَهُ هَيْمَمٌ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ وَالنَّدَى
 ٣٣ وَأَقْسِمُ لَوْلَا مَا لَهُ مِنْ مَآثِرٍ
 ٣٤ مَآثِرُ هُنَّ الْمَجْدُ لَا كَسْبُ دَرَاهِمٍ
 ٣٥ يَغِيظُ الْعَدَا مِنْهُ أَغْرُ حَلَاخِيلٍ

هو الْقَطْرُ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ حِسَابُ
 هِيَ الْمُزْنُ فِيهِ رَحْمَةٌ وَعَذَابُ
 وَلَكِنَّهَا لِلْمُسْتَقِيدِ عَذَابُ (١)
 تَفْتَحُ دُونِي لِلْسَّاحَةِ بَابُ (٢)
 وَكَانَ لَهَا إِلَّا إِلَيْهِ إِيَابُ
 فَسَاغَ لَهُ إِلَّا لَدَيْهِ شَرَابُ
 لَهَا فَوْقَ أَثْبَاجِ النُّجُومِ قَبَابُ (٣)
 لِأَصْبَحَ رَبَّنَا الْمَجْدُ وَهُوَ يَتَابُ
 وَهَنْ الْمَعَالِي لَا تُحَلُّ وَثِيَابُ
 أَشْمُ طَوَالُ السَّاعِدِينَ كِبَابُ (٤)

٢٥ - د : بالمعتفين ، المسالك ، وهم جاجاروا .
 ٢٨ - د : ينحوتني والتصويب من المسالك ، وفي م : يحولني .
 ٣٠ - د : يسافر .
 ٣١ - م : إليه .

(١) المستفيد : المتأضع .
 (٢) سنى : يسر .
 (٣) حلاخيل : سيد في عشيرته شجاع ركين ، الطوال : المفرط الطول ، وقوله طوال الساعدين من قول طفيل الغنوي :
 طوال الساعدين يهز لدنا يلوح سنامه مثل الشهاب
 الباب : التأمل من كل شيء ، ويقال في الرجل : هو لباب قومه .

٣٦ ولا عَيْبَ فيه لأمري غير أنه 'نَعَابُ' له الدنيا وليس 'بُعَابُ'

٣٧ هو الأسدُ الوَرْدُ الذي سار ذِكْرُهُ

وليس له إلا البَسَالَةُ غاب

٣٨ تَبَوَّأَ من دارِ الخِلافةِ مَقْعَدًا

٣٩ تَبَاهَتْ به مندُ استقلِّ بأمرها

٤٠ تسلَّ الدينَ والدنيا هل ابتهجا به

٤١ نَفْسَاهُ اميرُ المؤمنين مُهَنْدًا

٣٢ له المثلُ الأعلى معادًا ومبدأ

٤٣ ألانتُ لك الاشياءَ ، وهي صليبةٌ ،

٤٤ إليك أبيتانَا من الشعرِ قُلْتُهُمَا

٤٥ فان تَقَبَّلْتُهُمَا ، وتلك مطيتي ،

٤٦ وهل أنا إلا الروضُ حيَّاكَ عَرَفُهُ

٤٧ ومن يُثْنِ بالصَّنْعِ الجميلِ فإنه

له فيه عن 'حَكْمِ' القضاءِ مَثَابُ

كما تنهادي للْجَلَامِ كَمَعَابُ

كما انجَابَ عن ضوءِ النهارِ ضِيَابُ

له الحِلْمُ مَثْنٌ والمضاءُ ذَبَابُ (١)

وللحاسدِ العاوي حصى وثرابُ (٢)

عزائمُ في ذاتِ الإلهِ صِلاَبُ

'بودي' لَوِ أنيُ لهنُ كَتَابُ

فيا مَن رأى خطباً ثناءً خطابُ / ٧و

وقد بَاكَرَتْهُ من نَدَاكَ سَحَابُ

شكُورٌ ولا مثلَ المَزِيدِ ثَوَابُ

بديع

٣٩ - د : تنامت ؛ م : وثامت || د : تنهادي .

٤٢ - م : د : الفاري .

٤٤ - في هامش د : نسخة ه صفتها ه وكذلك في م .

٤٥ - م : طوييني .

٤٧ - د : بين .

(١) ذهاب السيف : حد طرفه .

(٢) حصى وثراب : دماء عليه ، وفي شرايي فراس الحمداي :

تغاييت من تومي فظنوا غياولي بمفرق أهبانا حصى وثراب

٤٨. فَوَيْلٌ لِّأَنفُسِنَا إِنَّا لَعَبِيدٌ أَنْعَمَ عَلَيْكَ الَّتِي
 ٤٩. وَمَا شَهِدَ الْمَجْدُ الَّذِي أَنْتَ سِرُّهُ
 ٥٠. وَمَا أَنَا يَا رِضْوَانُ بِاسْمِكَ هَاتِفٌ
 ٥١. سَوْهَلٌ يُنْدِرِكَ الْحَسَادُ غُورَكَ فِي الْعَلَا
 ٥٢. إِذَا نَافَسُوكَ الْمَجْدَ كُنْتَ غَضِيفًا
 ٥٣. وَمَا أَجْرُ إِلَّا مِنْ صِبَالِكَ مَعْرَكٌ
 ٥٤. طَسَالٌ مَكْرٌ مِنْهُمْ وَخِيَلَابٌ
 ٥٥. إِذَا زَارَ لَمْ تَتُبْتُ عَلَيْهِ ذَنَابٌ
 ٥٦. وَلَا أَخْفَرُ إِلَّا مِنْ تَدَاكَ جَنَابٌ

٤٨ - د : صابوا .

٥٢ - د : دار ٤ د : ذباب .

(١) الأري : الميل ، الصاب : الطقم .

(٢) دار المقامة : دار الإقامة الدائمة والمخلود ، وقد شبه المملوح برضوان خازن الجنة .

وكتب الى [ابي] عبدالله مالك بن وهيب * [يذكره امره ويرجو
قيامه بشانه لدى امير المسلمين]

- ١ إليك أبا عبد الإله على النوى مطالعة كادت تنوب عن القرب
- ٢ وطيب سلام ودت الروض أنه شداها بما فيها من الماء والعشب
- ٣ بعثت به طيف الخيال ولم يكن ليسلك بين المضرب ، والموح كالهضب
- ٤ وهبه مضي قدماً ولم يثن عزمه^(١) غوارب خضر تنقى بذرى شهب | ٧ ط
- ٥ وبيد كأيام الصدود ترى الضحى بها شاحباً لا من شكاة ولا حب^(٢)

١ - د : تبقى .

* مالك بن وهيب : يمد صنواً لمصره ابن باجة في النظر في العلوم العقلية ، غير أنه
أضرب عن النظر فيها لما لحقه من المطالبات في دمه بسببها ، وأقبل على العلوم الشرعية
فأرأس فيها (ابن أبي أصيبعة ٢ : ٦٣) .

- (١) هـ : بني طيف الخيال ، الغوارب الخضر : الأمواج ، والشهب : صفة الخيل .
(٢) كأيام الصدود : مرفة في طولها واتساعها .

ابن هانيء

هذا امين الله

قال يلدح الخليفة المزمّل لدين
الله ويهتته بشهر رمضان :

الحبُّ حيثُ المعشرُ الأعْداءُ ؛ والصبرُ حيثُ الكِلَّةُ السَّيراءُ^١
ما للمهاري الناجياتِ ، كأنَّها حتمٌ عليها البينُ والعُدواءُ^٢
ليس العجيبُ بأنَّ يبارينَ الصَّبا ، والعذلُ ، في أسْماعينَ ، حِداءُ^٣
تَدْنُو مَنالَ يدِ المحبِّ ، وفوقها شمسُ الظَّهيرةِ ، خِذْرُها الجوزاءُ^٤
بانت مُودَعَةٌ ، فعييدُ مُعْرِضُ^٥ يومَ الوداعِ ، ونظرةُ شَرْراءِ^٥
وغدتُ مَمْنَعَةُ القِيَابِ ، كأنَّها ، بينَ الحِجَالِ ، فريسةُ عصاة^٦

١ الحب : الحبيب . الكلة : التمر (التامسية) . السراء : قوب فيه خطوط صفراء .
٢ المهاري : الواحدة مهرية : ابل منسوبة الى مهرة بن حيدان ، حي من قضاة من عرب اليمن . الناجيات : الواحدة الناجية : السريمة . حتم عليها : موجب عليها . العدواء : بعد الدار .

٣ يارين : يمارضن . الصبا : الريح الشرقية . الحداء : الفناء للابل عند سوقها .
٤ تدنو ، من الدنو : القرب . والضمير عائد الى الابل . منال يد المحب : اني مقدار ما تنال يد المحب . شمس الظهيرة : كتابه عن المرأة المنقول بها . الجوزاء : برج في السماء .
٥ الشراء : نظرة يؤخر العين .

٦ الفريسة : اراد بها الظبية المنردة . العصاة : التي في ذراعيها او في احداها ياض وسائر اسود او احمر .

'عَجِبْتُ' ، وَيُعْجِبُ طِفْئُهَا ، فَكَأَنَّمَا مِنْهُمْ ، عَلَى لِحَظَاتِهَا ، رُقَبَاءُ^١
 مَا بَانَهُ الْوَادِي تَلْتَنِي خُوطُهَا ، لَكُنْهَا الْيَزْنِيَّةُ السَّرَاءُ^٢
 لَمْ يَبْقَ طَيْرٌ أَجْرَدٌ ، إِلَّا أَقَى مِنْ دُونِهَا ، وَطَيْرَةٌ بَجَرْدَاءُ^٣
 وَمُفَاضَّةٌ مَسْرُودَةٌ ، وَكُتَيْبَةٌ مَلُومَةٌ ، وَعَبَاجَةٌ شَبَاءُ^٤
 مَاذَا أُسَائِلُ عَنْ مَغَانِي أَهْلِهَا ، وَضِيْرِي الْمَاهُولُ ، وَهِيَ تَغْلَاهُ^٥
 لِلَّهِ إِحْدَى الدُّوَحِ ، فَارْدَةٌ ، وَلَا ، لِلَّهِ ، تَحْنِيَّةٌ ، وَلَا تَجْرَعَاءُ^٦
 بَانَتْ تَلْتَنِي ، لَا الرِّيحُ تَهْزُهَا دُونِي ، وَلَا أَنْفَاسِي الصُّعْدَاءُ^٧
 فَكَأَنَّمَا كَانَتْ تَذَكَّرُ بَيْنَكُمْ ، فَتَسِيدُ فِي أَعْطَافِهَا الْبُرَحَاءُ^٨

-
- ١ الطيف : الخيال الطامث في النوم .
 ٢ البانة : واحدة البنان : شجر متمدل القوام ليتن ، ورقه كورق الصمصاف ، تشبه به القدود . خوطها : غصنها . اليزنية : الرماح المنسوبة الى ذي يزن احد ملوك حمير .
 ٣ الطرف : الكريم من الخيل . الاجرد : اللعير الشمر . الطيرة : اتى الطمر : الغرس الجواد .
 ٤ المفاضة : الدرع الواسعة . المسرودة : المنسوجة في صورة يتداخل بها حلقها . الكتيبة : القطعة من الجيش . الملومة : المجتمعة . العباجة : النار . الشباء : البيضاء يتخلل بياضها سواد .
 ٥ المنال : المنازل ، الواحد منى .
 ٦ الدوح : الواحدة دوحة : الشجرة الظليلة . الحية : منرج الوادي . الجرعاء : رمة مستوية لا تثبت شيئا .
 ٧ الصعداء : التمس الطويل .
 ٨ البرحاء : المشقة .

كلَّ عِيجٍ هَوَاكَ ، إِمَّا أَيْكَنَ ١ تَخْضَرَاءُ ، أَوْ أَيْكَبَ ٢ وَرَقَاءُ ١
فَانْظُرْ ! أَنَارَ ٣ بِاللَّوَى ، أَمْ بَارِقَ ٤ مُتَالِقَ ٥ ، أَمْ رَايَ ٦ حَمْرَاءَ ٧
بِالنُّورِ تَخْبُو ٨ ، تَارَةً ٩ ، وَيَشْبُهَا ١٠ نَحْتِ الدُّجْنَةِ ١١ ، مَنَدَلٌ ١٢ وَكِبَاءُ ١٣
ذُمَّ ١٤ اللَّيَالِي ، بَعْدَ لَيْلِنَا ١٥ الَّتِي
لَيْسَتْ ١٦ بِيَاضَ الصُّبْحِ ، حَتَّى خَلَّتْهَا ١٧ فِيهِ تَنْجَاشِيًا ١٨ ، عَلَيْهِ قَبَاءُ ١٩
حَتَّى بَدَتْ ٢٠ ، وَالبَدْرُ ٢١ فِي سِرْبَاهَا ٢٢ ، فَكَأَنَّهَا خِيفَانَةٌ ٢٣ صَدْرَاءُ ٢٤
ثُمَّ انْتَمَى ٢٥ فِيهَا الصَّدِيعُ ٢٦ ، فَادْبَرَتْ ٢٧ فَكَأَنَّهَا وَحْشِيَّةٌ ٢٨ عَفْرَاءُ ٢٩
طَوِيَّتْ ٣٠ لِي الْأَيْتَامُ ٣١ ، فَوْقَ مَكَائِدِ ٣٢ مَا تَنْطَوِي لِي فَوْقَهَا الْأَعْدَاءُ ٣٣
مَا كَانَ أَحْسَنَ ٣٤ مِنْ أَيْادِيهَا ٣٥ ، الَّتِي تُؤَلِّيكُ ٣٦ ، إِلَّا أَنَّهَا حَسَنَاءُ ٣٧

-
- ١ الأيكة ، واحدة الأيك : الشجر الملقب : الأيكة : الحماة تأوي إلى الأيك . الورداء :
ما كان لونها بين السواد والنبرة .
٢ اللوى : مستدق الرمل . المتألق : التلال .
٣ النور : ما المشرق واطمان من الأرض . الدجنة : الظلمة . المندل : عود الطيب . الكباء :
البنور .
٤ النجاشي : لقب ملك الحبش . القباء : الثوب يُلبس فوق الثياب (النياز) .
٥ السربال : القميص . الخيفانة : الجرادة . وأراد هنا الفرس السريعة كأنها الجرادة .
٦ الصدراء : البيضاء الصدر . واليت وصف ليلة التي سلفت ، وسرعة انقضاءها .
٧ انتهى : قصد . الصديق : الفجر المصدم أي المنشق . ادبرت : ولت . العفراء : الظبية
تملأ بياضها حمرة .
٨ الأيادي : النعم . تؤليك : تحطيك .

ما تُعِينُ الدُّنْيَا ثَدِيمُ نَعِيمِهَا ، فِي الصَّنَاعِ ، وَكَفَى الْحَرَقَاءُ ١
 تَشَى السَّجَاذَ عَلِيٍّ ، وَهِيَ بَفَتْكِهَا ، خِرْغَامَةٌ ، وَبِلُونِيَا حِرْبَاءُ ٢
 إِنَّ الْمَكَارِمَ كُنَّ سِرْبًا رَائِدًا ، حَتَّى كَنَسْنِ ، كَانْتِهْنِ غِيَابُ ٣
 وَطَفِئْتُ إِشْثَالُ عَنْ أَغْرٍ مُجْجِلٍ ، فَإِذَا الْأَنَامُ جَبِيلَةٌ دَهْمَاءُ ٤
 حَتَّى دُفِعْتُ إِلَى الْمَعَزِ ، خَلِيفَةٌ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَطْلَبَ الْخُلَفَاءُ ٥
 جُودٌ ، كَانَ الِئِمُّ فِيهِ ثَفَاةٌ ، وَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا عَلَيْهِ غُشَاءُ ٦
 مَلِكٌ ، إِذَا نَطَقَتْ عُلَاهُ بِمَدْحِهِ تَحْرِيسَ الْوَفُودِ ، وَأَفْهِمَ الْخُطْبَاءُ
 هُوَ عِلَّةُ الدُّنْيَا ، وَمَنْ خُلِقَتْ لَهُ ، وَلِعَلَّ مَا كَانَتْ الْأَشْيَاءُ
 مِنْ صَفْوِ بَاءِ الْوَحْيِ ، وَهُوَ مُجَابَةٌ مِنْ تَحْوِضِ الْيَبْرُوعِ ، وَهُوَ شَلَاءُ ٧
 مِنْ أَيْكَةِ الْفِرْدَوْسِ ، حَيْثُ تَلَفَّتْ تَمَرَاتُهَا ، وَتَفِيئًا الْأَفْيَاءُ

- ١ الصَّنَاعُ : الْحَاذِقَةُ . الْحَرَقَاءُ : الْحَمَاءُ .
 ٢ تَشَى : لَسِبَ . السَّجَاذُ : الْقَتَالُ . الْفَتْكَ : الْقَتْلُ . الْخِرْغَامَةُ : مِنْ مَفَاتِ الْأَسَدِ . الْحِرْبَاءُ :
 الْعَبْوِيَّةُ الْمَعْرُوفَةُ بِتَلَوْنِهَا .
 ٣ السَّرْبُ : الْقَطِيعُ . الرَّائِدُ : فَاعِلٌ مِنْ رَادٍ : دَارٌ وَذَهَبَ وَجَاءَ فِي طَلَبِ الشَّيْءِ . كَنَسْنِ :
 دَخَلْنَ كَنَاسِنَ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ فِي الشَّجَرِ يَسْتَوْنُ فِيهِ .
 ٤ الْأَغْرُ الْمَجْجِلُ : أَرَادَ بِهِ الرَّجُلَ الْكَرِيمَ الْوَاضِحَ كَرَمَهُ ، عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْفَرَسِ ذِي الْفَرَّةِ ،
 أَيْ ذِي الْبَيَاضِ فِي جَبْهَتِهِ ، الَّذِي فِي قَوَائِمِهِ تَجْبِيلٌ ، أَيْ بَيَاضٌ وَاضِحٌ .
 ٥ الثَّفَاةُ : مِنَ الثَّفَثِ : وَهُوَ كَالنَّفْخِ يَرْمِي بِهِ الرِّيقُ مِنَ الثَّقَتَيْنِ . الثَّنَاءُ : مَا يَمْلِكُ السَّيْلُ مِنَ
 الرِّبْدِ وَالْوَسْخِ .
 ٦ الْمَجَابَةُ : الرِّيقُ . الْحَوْضُ : مَجْتَمِعُ الْمَاءِ . الْيَبْرُوعُ : أَرَادَ بِهِ الْمَتَدَلِّقَ مَاءً .

مِنْ شُعْلَةِ الْقَبَسِ، الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى
 مِنْ مَعْدِنِ التَّقْدِيسِ، وَهِيَ سُلَالَةٌ
 مِنْ حَيْثُ يُقْتَبَسُ النَّهَارُ لِمُبْصِرٍ،
 فَتَبْقَظُوا مِنْ عَقْلَةٍ، وَتَنْبَهُوا،
 لَيْسَتْ سَاءُ اللَّهِ مَا تَرَاوْنَهَا،
 أَمَّا كَوَاكِبُهَا لَهُ، فَخَوَاضِعٌ،
 وَالشَّمْسُ تَرْجِعُ عَنْ سَنَاهُ بُجُوفُهَا،
 هَذَا الشَّفِيعُ لَأُمَّةٍ يَأْتِي بِهَا،
 هَذَا أَمِينُ اللَّهِ، بَيْنَ عِبَادِهِ،
 هَذَا الَّذِي عَطَفَتْ عَلَيْهِ مَكَّةٌ،
 هَذَا الْأَغْرُ الْأَزْهَرُ الْمَالِقُ ١

مُوسَى، وَقَدْ حَارَتْ بِهِ الظُّلُمَاءُ ١
 مِنْ جَوْهَرِ الْمَلَكُوتِ، وَهُوَ ضِيَاءُ
 وَتُشَقُّ عَنْ مَكْنُونِهَا الْأَنْبَاءُ ٢
 مَا بِالصَّبَاحِ عَنْ الْعُيُونِ خَفَاءُ
 لَكِنْ أَرْضًا تَحْتَوِيهِ سَاءُ ٣
 تُخْفِي الشُّجُودَ وَيُظْهِرُ الْإِيمَاءُ
 فَكَأَنَّهَا مَطْرُوفَةٌ مَرَاهُ ٤
 وَجُدُودُهُ لَجْدُودِهَا شَفَعَاءُ
 وَبِلَادِهِ، إِنَّ مُعَدَّتِ الْأَمْنَاءُ
 وَشِعَابُهَا، وَالرُّكْنُ، وَالْبَطْعَاءُ ٥
 تَدْفِقُ الْمُتَبَلِّجُ الْوَضَاءُ ٦

-
- ١ القبس : قطعة من حطب تشعل ليليا النار .
 ٢ اقتبس : اخذ شطة . مكنونها : مستورها .
 ٣ تراونها : ترونها .
 ٤ المراه : الحساب بالره ، وهو مرض يصيب العين عند تركها الكحل .
 ٥ الشعاب : الطرق في الجبال . الركن من الشئ : جابه الاقوى . بطحاء مكة : ميل واديا .
 ٦ الازهر : المشرق الوجه . التدفق : اراد التدفق بالطايا . المتبلج : الطلق الوجه .

فعليه من سيبا النبي دلالة^١ ، وعليه من نور الاله بهاء
 وريث المقيم بيثرب^٢ ، فالمنبر الأ على له ، والترعة^٣ العلباء
 والخطبة الزهراء فيها الحكمة^٤ ال فراء^٥ فيها الطبعة البيضاء
 للناس إجماع^٥ على تفضيله ، حتى استوى اللؤلؤ ماء والكرماء
 والمكن^٦ والفصحاء والبغداء^٦ وال قرياء^٦ والخصماء^٦ والشهداء^٦
 ضراب^٦ هام الروم^٦ ، منتقيا^٦ ، وفي أعناقهم من جوده أعباء
 تجري أياديه ، التي أولاهم^٦ ، فكانها بين الدماء دماء
 لولا انبياء^٦ السيف^٦ ، وهو مسلط^٦ في قتلهم ، قتلهم الثغماء
 كانت ملوك^٦ الاعجبين أعزة^٦ ، فأذلها ذو العز^٦ الأبناء^٦
 لن تصغر^٦ العظماء^٦ في سلطانهم ، إلا إذا دلفت^٦ لها العظماء^٦
 تجهل البطاريق^٦ أنه الملك^٦ الذي أوصى^٦ ، البتئين بسليه ، الآباء^٦
 حتى رأى^٦ جهالتهم^٦ ، من عزمه ، غيب^٦ الذي شهدت به العلماء

١ المقيم بيثرب : أراد به النبي . الترعة العلباء : أراد بها باب الجنة .

٢ المكن ، الواحد أكن : المي ، التعل القان .

٣ الأبناء : الذي يأب الضم .

٤ دلفت : تلذمت ، متت .

٥ البطاريق ، الواحد بطريق : القائد من نواد الروم .

فتَقَاصَرُوا من بعدِ مَا حَكَمَ الرَّدِّي ، وَمَضَى الوَعِيدُ وَشُبِّتَ الهَيِّجَاءُ ١
وَالسَّيْلُ لَيْسَ بِمَجِيدٍ عَنْ مُسْتَنَّهُ ٢ ، وَالسَّهْمُ لَا يُدَلِّي بِهِ غُلَّوَاءُ ٣
لَمْ يُشْرِكُوا فِي أَنَّهُ تَخِيرُ الْوَرَى ، وَلِذِي الْبَرِّيَّةِ عِنْدَهُمْ شُرَكَاءُ
وَإِذَا أَقْرَ الْمُشْرِكُونَ بِفَضْلِهِ ، فَسَرَّ ، فَمَا أَذْرَاكَ مَا الْخُنْفَاءُ ٤
فِي اللَّهِ يَسْرِي جُودُهُ وَجُنُودُهُ ، وَعَدِيدُهُ وَالْعِزُّ وَالْآرَاءُ ٥
أَوْ مَا تَرَى دَوْلَ الْمُلُوكِ تُطِيعُهُ ، فَكَأَنَّمَا تَخُولُ لَهُ وَإِمَاءُ ٦
نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِنَصْرِهِ ، وَأَطَاعَهُ الْإِصْبَاحُ وَالْإِمَاءُ ٧
وَالْفَلَكَ ، وَالْفَلَكَ الْمُدَارُ وَسَعْدُهُ ، وَالْفَزْرُ فِي الدَّامَاءِ ، وَالِدُ الْأَمَاءِ ٨
وَالدَّهْرُ ، وَالْأَيَّامُ ، فِي تَصْرِيفِهَا ، وَالنَّاسُ وَالْخَضِرَاءُ وَالْقَبْرَاءُ ٩
أَيْنَ الْمَفْرُ ، وَلَا مَفْرَ لِهَارِبٍ ، وَلَكِ الْبَسِيطَانِ : الثَّرَى وَالْمَاءُ ١٠
وَلَكِ الْجَوَارِي الْمُلَشَّاتُ ، مَوَاحِرُ ، تَجْرِي بِأَمْرِكَ ، وَالرِّيَّاحُ رُخَاءُ ١١

١ تقاصروا : اتهاوا ، وكفوا .

٢ مستنه : موضع جريه . يدل به ، من دل الدلو : جذبا ليخرجها من البئر . الغلواء : نشاط الشباب .

٣ قسراً : قهراً . الخنفاء : الواحد الخفيف : الصحيح الميل الى الاسلام ، والثابت عليه .

٤ الخول : العبد . الاماء : الواحدة امة : الملوكة .

٥ الفلك : السفينة . الداماء : البحر .

٦ الخضراء : السماء لخضرتها . القبراء : الارض : لما فيها من القبار ، أو لفبرة لونها .

٧ الجواري : السفن ، الواحدة جارية . المواخر ، الواحدة ماخرة : التي تشق الماء مع صوت .

والحاملات^١، وكلُّها مَعْمُولَةٌ؛^٢ والنَّاجِيَّاتُ^٣، وكلُّها تَعْذِرَاهُ^٤
والأَعْوَجِيَّاتُ^٥، التي إنْ سُوبِقَتْ^٦ سَبَقَتْ، وَجَرِيَّ الْمَذْكِيَّاتِ غِلَاءُ^٧
الطَّائِرَاتِ^٨ السَّابِحَاتِ^٩ السَّابِقَا^{١٠} ت^{١١}، النَّاجِيَّاتِ^{١٢} إِذَا اسْتَبَحِثَ^{١٣} نَجَاءُ^{١٤}
فَالْبَاسُ^{١٥}، فِي تَحْمَسِ الْوَعْيِ، لَكُنْيَاتِهَا؛^{١٦} وَالْكَبِيرِيَاءُ^{١٧} لَهْنُ^{١٨}، وَالْحَيَلَاءُ^{١٩}
لَا يُصْدِرُونَ نَحْوَرَهَا، يَوْمَ الْوَعْيِ،^{٢٠} إِلَّا^{٢١} كَمَا صَبَغَ الْحُدُودَ حِيَاءُ^{٢٢}
شُمُ^{٢٣} الْعَوَالِي^{٢٤} وَالْأَنْوَفِ^{٢٥}، تَبَسَّسُوا^{٢٦} تَحْتَ الْقُنُوسِ^{٢٧}، فَأَظْلَسُوا^{٢٨} وَأَضَاءُوا^{٢٩}
لَتَبَسُّوا^{٣٠} الْحَدِيدَ عَلَى الْحَدِيدِ^{٣١}، مُظَاهَرًا^{٣٢}، حَتَّى^{٣٣} الْيَسْلَامِيقُ^{٣٤} وَالْدَّرُوعُ^{٣٥} سَوَاءُ^{٣٦}
وَتَقَشَّعُوا^{٣٧} الْفُولَادَ^{٣٨}، حَتَّى^{٣٩} الْمَقْلَةُ^{٤٠} النَّجْمُ^{٤١} لَاءُ^{٤٢}، فِيهَا الْمَقْلَةُ^{٤٣} الْحَوَصَاءُ^{٤٤}

-
- ١ الحملات : اي الحملات الجنود . محولة : اي يحملها البحر . الناجيات : اي التي تسبح لمن
يركب فيها . وقوله عذراء : اي ليس لها مثل سابق لها .
٢ الاعوجيات : الخيول المنسوبة الى اعوج ، وهو فارس كريم . وقوله : وجري المذكيات
غلاء : مثل يضرب للخيول التي تتجاوز في جريها المدى . والمذكيات : الخيول التي
تم سنها .
٣ السابحات : الواحدة سابحة : التي تسبح في جريها ، مارة مروراً سريعاً . الناجيات ،
الواحدة ناجية : المبررة .
٤ الحس : الشدة في الامر .
٥ اراد ان هذه الخيول لا تعاد من الحرب الا مصبوغة لحورها بدماء الاعداء .
٦ القنوس ، الواحد قنس : اعلى بيضة الحديد .
٧ مظاهراً : اي الواحد منه فوق الآخر . اليلامق ، الواحد يلحق : القباء المحشو .
٨ القلة النجلاء : المين الواسعة الحسنة : الحوصاء : الضيقة . اي انهم تلتسوا بالحديد حتى
عيونهم صارت مثلهم الواسعة ضيقة .

فكأنهما ، فوقَ الأكُفِّ ، بوارق^١ ؛ وكأنهما ، فوقَ المُنُونِ ، إضاء^١
من كلِّ مَسْرُودٍ الدُّخَارِصِ ، فوقَه حُبُك^٢ ، وَمَصْقُولِ ، عَلَيْهِ مَبَاهِ^٢
وَتَعَمَّاتُكُومَا ، حَتَّى رُدَّيْنِيَّاتُهُمْ عَطَشَى ، وَبِيضُهُمُ الرِّقَاقُ رِوَاهُ^٣
أَعَزَّزْتَ دِينَ اللَّهِ ، يَا ابْنَ نَبِيِّهِ ، فَالْيَوْمَ فِيهِ تَخْطُطُ^٤ وَإِيَاءُ^٤
فَأَقْلُ حَظُّ الْعُرْبِ مِنْكَ سَعَادَةٌ ؛ وَأَقْلُ حَظُّ الرُّومِ مِنْكَ شِقَاءُ
فَإِذَا بَعَثْتَ الْجَيْشَ ، فَهُوَ مَنِيَّةٌ ؛ وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّأْيَ ، فَهُوَ قَضَاءُ
يَكْسُو نَدَاكَ الرُّوضُ ، قَبْلَ أَوَانِهِ ، وَتَعْبِدُ عَنْكَ اللَّزْبِيَّةُ^٥ الثَّلَاوَاهُ^٥
وَصِفَاتُ ذَاتِكَ مِنْكَ يَأْخُذُهَا الْوَرَى ، فِي الْمَكْرُمَاتِ ، فَكَلَّهَا أَسْمَاءُ^٦
قَدْ جَالَتْ الْأَوْهَامُ فِيكَ ، فَدَقَّتْ الْأَفْكَارُ عَنْكَ ، فَجَلَّتِ الْآلَاءُ^٧
فَعَمَّتْ لَكَ الْأَبْصَارُ ، وَانْقَادَتْ لَكَ الْأَقْدَارُ ، وَاسْتَحْيَيْتَ لَكَ الْأَنْوَاءُ^٨

-
- ١ الإضاء ، الواحدة إضاءة : تشبه للزمان السيوف بالبرق .
٢ المَسْرُود : المنسوج ، الدُّخَارِص : الواحد دخريس : وهو ما يوصل به بدن الدرع توسيماً
٣ الردينيات : الرماح لسبة إلى امرأة تدعى ردينة كانت تلوم الرماح بخط هجر .
٤ تَخْطُط : تكبر .
٥ اللَّزْبِيَّة : الشدة . الثَّلَاوَاه : الشديدة .
٦ يريد أن صفاته في المكرمات لصدقتها على ذاته صارت كأنها أسماء له يُعرف بها .
٧ الْآلَاء : النعم ، الواحد آل .
٨ الأنواء ، الواحد نوء : وهو سقوط نجم بالنقد في المشرق وطلوع نجم بجباله في المشرق .
ويضاف إلى الساقط الأمطار والرياح والحر والبرد . أراد أن الأمطار تهبل منه لانه
أجود منها .

ونجّمتُ فيك القلوبُ على الرّضى ؛ وتشبّعتُ في حُكِّكَ الأهرواءُ ١
 أتَ الذي فنّصَ الحِطابَ ، وإنشأ بكُ حُكْمَتُ في مدْحِكَ الشُّعراءُ
 وأخصُّ منزلةً من الشُّعراءِ ، في أمثالِها المضروبة ، الحُكماءُ
 أخذُوا الكلامَ ، كثيرَه وقليله ، قِسْمَيْنِ : دا داءٌ وذاك دواءُ
 دانُوا بأنَّ مديحَهُمُ لك طاعةٌ ، قرَضُ ، فليسَ لهمُ عليكَ بجزاءُ
 فاسلمُ ، إذا رابَ البريّةُ حادثٌ ؛ واخْلُدُ ، إذا عمَّ النفوسُ فناءُ
 يَفْدِيكَ شَهْرُ صِيَامِنَا وقِيَامِنَا ، ثمَّ الشُّهورُ له بِذاك فِداءُ
 فيه تنزّلَ كلُّ رَحيٍّ مُنزَلٍ ، فلاهَلِ بَيْتِ الوحيِ فيه ثناءُ
 فتَطُولُ فيه اكْفُ آلِ مُحَمَّدٍ ؛ وتُغَلُّ فيه عن الندى الطلقاتُ ٢
 ما زلتَ تقضي قَرْضَه وأمامَه ووراءَه لك فائِلٌ وحياءُ
 حَسبي بِمدحك فيه دُخْرًا ، إنَّه لِلشُّبَّكِ ، عندَ الناسِ كِفَاءُ
 هباتُ مَنّا شُكْرُ ما تُؤلي ، ولو شُكْرَتُكَ ، قبلَ الألسُنِ ، الأعضاءُ
 واللهُ في عَليّكَ أصدَقُ قائلٍ ، فكانَ قولُ القائلينَ هُذاءُ ٣
 لا تَسألُنْ عن الزَّمانِ ، فإنَّه ، في راحَتِكَ ، يَدُورُ كيفَ تشاءُ

١ تشبعت : اراد انفلت .

٢ الطلقاء : الاسرى اذا اطلق سبيلهم ، و اراد بهم هنا بني الباس ، لان جدم امر لى غزوة بدر ، فأخذ النبي الدبة منه واطلقه .

٣ الهذاء : اراد به الهذيان .

نظام الدين وابن نبيه

قال يمدح الخليفة المزمّل لدين الله :

أقول 'دُسى' وهي الحِسان 'الرعايب' ، ومن دُونِ أَسْتارِ القِبابِ مَعَارِيبُ^١
 نَوَى أَبْعَدَتْ طَائِثَةً وَمَزَارَها ؛ ألا كُلُّ طائِيٍّ الى القلبِ محبوب
 سَلُوا طَيْسَ الأَجْبالِ : أينَ نَهايُها ؟ وما أَجأً^٢ إلا حِصانٌ ويعُبوب^٣
 هُمُ جَنَّبُوا ذا القلبَ طَوْعَ قِياذِمٍ ، وقد يشهد الطُّرفُ الوغى ، وهو مَجْنُوب^٤
 وهم جاوزوا طلع الشواجن والفضا ، تحبُّ بهم جُرْدُ القِفاءِ ، السَراحِيبُ^٥
 قِبابٌ ، وأحبابٌ ، وجُلُهمَةُ العِدى ، وَخَيْلٌ عِرابٌ^٥ ، فوقهن أَعاريبُ^٥
 إذا لم أَذُدْ^٦ ، عن ذلك الماءِ ، وردَّهم ، وإن حَنَّ وُرْدُ^٦ كما حَنَّتِ الثَّيْبُ^٦

١ الدُسى ، الواحدة دمية ؛ الصورة المنقوشة لها حمرة كالدم ، وقد تكون من الرخام .
 الرعايب ، الواحدة رعبوبة ؛ الجارية الناعمة الحسن . المحارِبُ ؛ الواحد عِراب ؛
 الشجاع المحارب .

٢ أجأ ؛ أحد جبال طيء الثلاثة . الحصان ؛ الفرس المتيق . العُبوب ؛ الفرس الكثير
 الجري .

٣ جنبه ؛ قاده الى جنبه .

٤ الطلح ؛ شجر . الشواجن ؛ الواحدة شاجنة ؛ الوادي يكثر شجره وينبت نباتاً حشاً .
 هب ؛ فجري بسرعة . السراحِبُ ؛ الواحد سرحوب ؛ الفرس الطويلة الحسن الجسم .
 الجلهمة ؛ حافة الوادي . العِراب ؛ الكريمة .

٦ لم أذد ؛ لم امنع . الورد ؛ القوم يردون الماء . الثيب ؛ الواحدة تاب ؛ الناقة المسنة .

فلا تَحَمَلْتِ بِيضَ الشُّيُوفِ قَوَائِمٌ ؛ ولا تَصْهَبْتِ سُرَّ الرِّمَاحِ أَتَائِبُ ١
 وهل يَرِدُ الْغَيْرَانُ مَاءَ وَرَدِّهِ ، إذا كُورَدَ الْفُتْرُغَامُ لم يَلْغِ الذَّائِبُ
 وَعَهْدِي بِهِ ، وَالْعَيْشُ مِثْلُ جِيَامِهِ ، غَيْرُ بِمَاءِ الْوَرْدِ وَالْمِسْكِ مَقْطُوبُ ٢
 وَمَا لَنَا الْحَسَنَاءُ تُهْدِي تَخَالَتَهَا ، وَمِنْ دُونِهَا إِسَادُ تَحْسُرٍ وَتَأْوِيبُ ٣
 وَمَا رَاعَنِي إِلَّا ابْنُ وَرَقَاءَ هَاتِفٌ ، بِعَيْنَيْهِ تَجَمُّرٌ مِنْ خُلُوعِي مَشْبُوبُ ٤
 وَقَدْ أَنْكَرَ الدُّوْحَ الَّذِي يَسْتَظِلُّكَ ، وَسَعَتْ لَهُ الْأَغْصَانُ ، وَهِيَ أَهَاضِيبُ ٥
 وَحَثَّ جَنَاحَيْهِ لِيَسْخَطِفَ قَلْبَهُ ، عِشَاءً ، سَذَايِقُ الدَّاجِي ، وَهُوَ غَرِيبُ ٦
 أَلَا أَيُّهَا الْبَاكِي عَلَى غَيْرِ أَيْكِهِ ، كِلَانَا قَرِيدٌ بِالسَّوَارِ ، مَقْلُوبُ ٧
 فَوَادُكَ تَخَفَّاقٌ ، وَوَكْرُكَ نَازِحٌ ، وَرَوْضُكَ مَطْلُولٌ ، وَبَائُكَ مَهْضُوبُ ٨
 هَلُمَّ ، عَلَى أَنْتِي أَقْيِكَ بِأَضْمِي ، فَأَمْلِكْ دَمْعِي عَنْكَ ، وَهَوَّ شَائِبُ ٩

١ القوائم ، الواحدة قائمة ، مبيض الشيف : مبيض السيف ، الأتائب ، الواحد اتوب : ما بين كمي الرمح من نصب ، والرمح .

٢ الجمام : الماء الكثير . النير : الزاكي من الماء . مقطوب : ممزوج .

٣ اساد : سير الليل . التأويب : سير النهار .

٤ ابن ورقاء : فرخ الحمام .

٥ سعت : مئت ماءها . الأهاضب : الدلمات من المطر ، الواحدة اهضوبة .

٦ حث : حرك . السذايق : العطر . الغريب : الأسود .

٧ السارة : بادية بين الكوفة والنام .

٨ المهضوب : المبلول .

٩ الشائب ، الواحد شؤبوب : شدة دمع المطر .

تُكِنِّكَ لِي مَوْشِيَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ ، كَرِبَشِكَ ، إِلَّا أَنْهَنُ بَجَلَابِيبٍ^١
 فَلَا تَشْدُو إِلَّا مِنْ رَنِينِكَ شَائِقٌ ؛ وَلَا دَمْعَ إِلَّا مِنْ جُفُونِي مَسْكُوبٍ
 وَلَا مَدْحَ إِلَّا لِلْمُعِزِّ حَقِيقَةً ، يُفَصِّلُ دُرّاً ، وَالْمَدْيِيعُ أَسَالِيبُ
 يُجَارُّ ، عَلَى الْبَيْتِ الْأَمَامِيِّ ، مُعْتَلٍ ؛ وَحُكْمٌ إِلَى الْعَدْلِ الرَّبُّوبِيِّ مَنُوبٍ^٢
 يُصَلِّي عَلَيْهِ أَصْفَرُ الْقِدْحِ ، حَائِبٌ ، وَعَوَجَاءُ مِرْقَانٍ ، وَجَرْدَاءُ سَرْحُوبٍ^٣
 وَأَسْمَرُ عَرَّاصُ الْكُعُوبِ ، مُثَقَّفٌ ، وَأَبْيَضُ مَشْقُوقُ الْعَقِيقَةِ ، مَخْشُوبٌ^٤
 لِأَسْيَافِهِ ، مِنْ بُدْنِهِ وَعُضَائِهِ ، نَجِيمَانٍ : مُهْرَاقٌ عَيْيَطٌ ، وَمَصْبُوبٌ^٥
 فَإِنْ تَكَ حَرْبٌ ، فَالْمُفَارِقُ وَالطَّلِي ، وَإِنْ يَكُ سِلْمٌ ، فَالشَّوِيُّ وَالْعَرَّاقِيبُ^٦

١ تَكْنِك : تترك . الموشية : من الوشي : وهو خلط لون بلون . والنشنة والنش والتعنين .
 العبقرية : الجيدة الصنة ، القوية .

٢ التجار : الأصل ، والحسب . الربوبي : المندوب إلى الرب .

٣ القدح : السهم قبل أن يُصل ويبرأش . الموجاء : الغزس . المرقان : الكثيرة الزين .
 الجرءاء : القصيرة الشعر ، وهذا من علامات المتق والكرم في الخيل . السرحوب :
 الفرس الطويل الحسن الجسم .

٤ المراس : القدح . وقوله : مشقوق العقيقة ، أراد براقاً . وعقيقة البرق إذا رأته وسط
 السحاب كسيف مسلول . المخشوب : الصقيل .

٥ البدن ، الواحدة بدنة : وهي من الإبل والبقر كالاضحية من الغنم تهدي إلى مكة .
 النجيمان ، من النجيج : الدم المصبوب . المهراق : المصبوب . العييط : الطوي .

٦ الطلي : الاعتاق ، الواحدة طلية وطلاة . الشوي : أطراف اللسان . المراقب ،
 الواحد عرقوب : عصب غليظ فوق عقب اللسان . وعرقوب الدابة في رجلها بمنزلة
 الركبة في يدها .

أَعِزَّةٌ مَنْ يُعَذِّى النَّعَالَ ، أَذِلَّةٌ ١
وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يُشِيرَ بِلَحْظِهِ ،
فَلَا قَارِعٌ ، إِلَّا الْقَنَا الشَّرُّ بِالْقَنَا ،
وَلَمْ أَرَ ذَوَّارًا كَيْفَكَ لِلْعَيْدِ ؛
إِذَا ذَكَرُوا آثَارَ سَيْفِكَ فِيهِمْ ،
وَفِيهَا اصْطَلَوْا مِنْ تَحَرُّ بِأَسْكَ وَاعِظٌ ؛
وَلَكِنْ ، لِمَنْ الْجَائِلِقَ يَغْرُهُ ،
وَتَغْرُ بِأَطْرَافِ الشَّامِ ، مُضَيِّعٌ ،
وَمَا كُلُّ تَغْرِ مُسْكِنٍ فِيهِ فُرْصَةٌ ؛
وَمِنْ دُونَ شَيْبٍ أَنْتَ حَامِيهِ مَغْرُكُ
وَصَعَقٌ بِرُكْنِ الْأَفْقِ ، وَابْنُ طَهَارَةٍ ،
لَهُ ، وَمُلُوكُ الْعَالَمِينَ قَرَاظِيْبٌ ٢
فَتَمَغَّرُ فُلُوكُ ، أَوْ تُغِيدُ مَقَانِيْبٌ ٣
إِذَا قُرِعَتْ لِلْعَادَاتِ الظَّنَابِيْبُ ٤
فَهَلْ عِنْدَ هَامِ الرُّومِ أَهْلٌ وَتَرْحِيْبٌ ؟
فَلَا الْقَطْرُ مَعْدُودٌ وَلَا الرَّمْلُ بِحَسَابِ
وَفِيهَا أَذِيقُوا مِنْ عَذَابِكَ تَأْدِيْبِ
عَلَى تَحْلَبٍ ، تَهْبٌ هُنَالِكَ مَنُوبٌ ٥
وَتَفْرِيقُ أَهْوَاءِ مِرَاضٍ ، وَتَخْرِيْبِ
وَلَا كُلُّ مَاءٍ بِالْجِدَالَةِ مَشْرُوبٌ ٦
وَبَيْيٌ ، وَتَصْعِيدُ كَرِيهٍ ، وَتَصْوِيْبٌ ٧
يَذُبُّ عَنِ الْفُرْقَانِ ، بِالتَّاجِ مَعْصُوبٌ ٨

١ القراضيب : الفقراء ، الواحد قرضوب .

٢ تمغر : تشق الماء . تتد السير : تسرع . المقاييب : الجماعات من الخيل ، الواحد مقنب .

٣ الظنابيب : حروف الساك من قدام ، الواحد ظنوب .

٤ الجائلق : الرئيس عند الروم .

٥ الجداة : الارض .

٦ الوئى : الكثير الوباء ، وهو كل مرض عام .

٧ الصق : شدة الصوت . وقوله ، وابن طهارة ، اراد المزمز ، لانه من آل البيت .

وجُرْدٌ عَنَاجِيحٌ ، وَبَيِضٌ صَوَارِمٌ ، وَصَيَّابَةٌ مُرْدَةٌ ، وَكُرَّامَةٌ شَيْبٌ ١
 وَسُفْنٌ ، إِذَا مَا نَخَاضَتِ الْيَمَّ زَاخِرًا ، تَجَلَّتْ عَنْ بَيَاضِ النَّصْرِ ، وَهِيَ غَرَائِبٌ ٢
 تُشَبُّ لَهَا حِمْرَاءُ ، فَانِ أَوَارُهَا ، تَسْبُوحٌ لَهَا ذَيْلٌ ، عَلَى الْمَاءِ ، مَسْجُوبٌ ٣
 لَقِيتَ بَنِي مِرْوَانَ بِنَائِبَ تَغْرِهِيمٍ ، وَحَظَّيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ خُسْرٌ وَتَنْثِيْبٌ ٤
 وَعَارٌ بِقَوْمٍ أَنْ أَعْدَوْا سَوَابِحًا ، صَفُونَا ، بِهَا عَنْ نُصْرَةِ الدِّينِ تَنْكِيْبٌ ٥
 وَقَدْ عَجَزُوا ، فِي تَغْرِهِمْ ، عَنْ عَدُوِّهِمْ ، بَحِثْ تَجُولُ الْمُقَرَّبَاتُ الْيَعَارِيْبُ ٦
 وَجَيْشُكَ يَتَعَادُ الْمِرْقَلُ بِسَيْفِهِ ، وَمِنْ دُونِهِ الْيَمُّ الْغُطَامِيطُ ، وَاللُّثُوبُ ٧
 يُخَضِّضُ هَذَا الْمَوْجَ ، حَتَّى 'عَبَابِهِ' ، إِذَا التَّجُّ ، مِنْ هَامِ الْبَطَارِيْقِ مَخْضُوبٌ ٨

-
- ١ العناجيج ، الواحد عنجوج : النجيب من الخيل ، الصيابة : الحيار من كل شيء . الكرّامة : المدرطون في الكرم .
 ٢ غرايب : سود ، أراد أنها مطلية بالزيت .
 ٣ أوارها : دخانها . وأراد بالحمراء : ليران السفن الحربية .
 ٤ التنيب : الإهلاك .
 ٥ الصلون ، الواحد صالن : وهو من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الخائر ، وهذا من صفات الخيول الجياد .
 ٦ المقربات : الخيول الكريمة .
 ٧ يتعاد : يصير الشيء عادة له . المرقل : ملك الروم . النظامط : العظيم الامواج . اللوب ، الواحدة لابة : الحرة ، أرض ذات حجارة نخرة سود .
 ٨ عبابه : معظم ارتفاع مائه . التج البحر : اضطرب . البطاريق ، الواحد بطريق : قائد الروم .

فمأثورُ ذِكْرِ المجدِ فيها مُفَضِّلٌ ، وفوقَ حديدِ المِندِ مِنْهُنَّ تَذْهِيبُ
ومِنْ عَجَبٍ أَنْ شَجَرَ الرومِ بالقنا ، فتَوَطَّأَ أغمارٌ وهَضَبٌ شَنَاحِبُ^٢
وتَومُ بني العباسِ فوقَ بُجُوبِهِمْ ، ولا نَصْرَ ، إلا قَبِيَّةٌ وأَكَاوِبُ^٣
وأنتَ كَلَّوْهُ الدَّهْرَ ، لا الطَّرْفَ هَاجِعٌ ، ولا العِزْمَ مُردوعٌ ، ولا الجَاشَ مَنْخُوبُ^٤
مُ أَهْلُ جَرَّاهَا ، وأنتَ ابنُ حَرِييَا ، ففي القربِ تَبْعِيدٌ ، وفي البعدِ تَقْرِيبُ^٥
ولا عَجَبٌ ، والثغرُ تَغْرُكُ كُلَّهُ ، وأنتَ وَلِيُّ النَّارِ ، والنَّارُ مَطْلُوبُ
وأنتَ نِظَامُ الدِّينِ ، وابنُ نَيْتِهِ ، وذو الأَمْرِ مَدْعُوٌّ إِلَيْهِ ، فَمَتَدُوبُ
سَيَجْلُو دُجَى الدِّينِ الحَنِيفِ سُرَادِقُ^٦ من الشَّسِ ، فوقَ البرِّ والبحرِ مَضْرُوبُ^٧
وعِزْمٌ يُظِلُّ الخَافِقِينَ ، كَأَنَّهُ على أَفْقِ الدُّنْيَا بِنَاءٌ ، وتَطْلِبُ^٨
وَيُسْلِمُ ، أَرَمِيَّةٌ وَذَوَانِيهَا ، هَلِيبٌ ، لِنُصْحِ الأَرَمِيَّةِينَ ، مَنصُوبُ

١ المأثور : القول .

٢ شجر : تطنن . الأغمار : الواحد غمر : الماء الكثير . الشناخيب : رؤوس الجبال ،
الواحد شنخوب .

٣ الأكواب : أكواز الحجر ، الواحد كوب .

٤ الكلوء : الحافظ . الجاش : روع القلب . المنخوب : الجبان .

٥ أهل جراها : أراد أهل جريرتها ، ذليها . يبيّر بني العباس بأنهم على قريبتهم من الروم
لا يستطيعون دفعهم ، وإن المزمع على يده عنهم يحاربهم .

٦ السرادق : القساطط ، الحيمة الكبيرة .

٧ التطنيب ، من طنن البيت : شدته بالاطناب ، أي الجبال .

وَحَسْبِيَّ مِمَّا كَانَ أَوْ هُوَ كَانُ ،
وَلَمْ تَخْتَرْقِ سِجْفَ الْغُيُوبِ هَوَاجِسِي ،
وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مُنْعِيزٌ وَعَسِيدٌ ،
وَأَنْتَ مَعْدَةٌ ، وَارِثُ الْأَرْضِ كُلِّهَا ،
وَاللَّهُ عَلِيمٌ لَيْسَ يُفْجَبُ دُونَكُمْ ،
أَلَا إِنَّمَا أَسَاؤُكُمْ حَقٌّ مِثْلِكُمْ ،
إِذَا مَا مَدَحْنَاكُمْ تَضَوَّعَ ، بَيْنَنَا
فَإِنْ أَكْ مَعْسُودًا عَلَى 'حَرْ' مَدَحِكُمْ ،
أَرَانِي ، إِذَا مَا قُلْتُ بَيْتًا ، تَنَكَّرْتَ
أَفِي كُلِّ عَصْرِ قُلْتُ فِيهِ فَصِيدَةٌ ،
وَمَا غَاظَ حَسَادِي سِوَى الصَّدَقِ وَحْدَهُ ،
وَمَا قَصْدُ مِثْلِي ، فِي الْقَصِيدِ ، ضَرَاعَةٌ ؛
أَرَى أَعْيُنًا تُخْزِرُ إِلَى ، وَإِنَّمَا
أَبِينُ مَوْضِعِي فِيهِمْ لِيَفْخَرَ غَالِبٌ ،

دَلِيلَانِ : عِلْمٌ بِالْإِلَهِ ، وَتَجَرِيبٌ
وَلَكِنَّهُ مَنْ حَارَبَ اللَّهَ مَعْرُوبٌ
فَلَا الْقَوْلُ 'مَا فَوْكَ' ، وَلَا الْوَعْدُ 'مَكْذُوبٌ' ١
فَقَدْ 'حُمُ' مَقْدُورٌ ، وَقَدْ 'نُحْطُ' مَكْتُوبٌ
وَلَكِنَّهُ ، عَنْ سَائِرِ النَّاسِ ، مَحْبُوبٌ
وَكُلُّ الَّذِي تُسَمَّى الْبَرِيَّةُ تَلْقِيبٌ
وَبَيْنَ الْقَوَائِي مِنْ مَكَارِمِكُمْ ، طِيبٌ
فَقِيرٌ تَكْيِيرٌ ، فِي الزَّمَانِ ، الْأَعَاجِيبُ
وَوَجُوهٌ ، كَمَا عَشَى الصَّعَائِفُ تَتْرِيبٌ ٢
عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ لَتَوْمٌ وَتَتْرِيبٌ ؟
وَمَا مِنْ سَجَايَا مِثْلِي إِلَّا فُكٌ وَالْحُبُّ ٣
وَلَا مِنْ خِلَالِي فِيهِ حِرْصٌ وَتَرْغِيبٌ
دَلِيلًا نَقُوسِ النَّاسِ بِشَرٍّ وَتَقْطِيبٌ
يَبِينُ بَسِيَاهُ ، وَيُدْحَرُ مَغْلُوبٌ ٤

١ مَالُوكٌ : مَكْذُوبٌ .

٢ الصَّعَائِفُ : الْوُجُوهُ . تَرِيبٌ : تَلْطِيعٌ بِالْتَّرَابِ ، كَنَايَةٌ عَنْ اِسْتِفْرَارِ الْوُجُوهِ .

٣ الْحُبُّ : الْإِثْمُ .

٤ بَسِيَاهُ : هَيْئَتُهُ . يَدْحَرُ : يَطْرُدُ وَيُعِيدُ .

وقد أكثرُوا، فأحكمكم حكومةً فيصل^١،
 فبدحك مفروض^٢، وحكمك مرتضى،
 وذكرك تقديس^٣، وأنت دالة^٤،
 ألا إنما الدنيا رضاءك لعاقل^٥،
 وإن طال عمر^٦ في نعيم وغبطة^٧؛
 ليُعرفَ رب^٨، في القريض، وسربوب^٩
 وهذيتك مزغوب^{١٠}، وسخطك مرهوب^{١١}
 وحُبُّك تصديق^{١٢}، وبُغْضُك تكذيب^{١٣}
 وإلا فإن العيش هم^{١٤} وتعذيب^{١٥}
 فما هو إلا من بينك موهوب^{١٦}

١ الفصل : الذي يفصل بين الأمور .

٢ القبلة : من غبطة : بمن مثل حاله .

حجبت بنا حرم الامام

وقال يمدح الخليفة المزمّل لدين
الله ويقال ان هذه القصيدة
أول شعر مدحه به :

هل كانَ ضَمْنَحٌ ، بالمعير ، الرّيحاً ، مُزْنٌ " يُهَزُّ " البرقُ فيه صَفِيحاً ١
تُهْدِي نَحِيَّاتِ القلوبِ ، وإنّما تُهْدِي بهنَّ الوجَدَ والتَّبريحاً ٢
شَرِقتْ بماءِ الوَرْدِ بللَ جَنِبَهَا ، فَسَرَتْ " تَرَقَّرِقُ " دُرَّةَ المنضوحا ٣
أنفاسُ طيبِ بَيْتَنَ في درُعمي ، وقد بَاتَ الخيالُ ، وراءَ هُنَّ ، طَلِيعاً ٤
بل ما لهذا البرقِ حِلاٌ " مطرِيقاً ، ولأَيِّ شلِّ الشائينِ أتبعاً ٥
يُبدِي الصَّبَاحَ بِمَخْطُوهِ ، فعلامَ لا يُبدِي الخَلِيطَ ، وقد أجَدَّ " نَزُوحاً ٦

-
- ١ ضمنح : لطنح . المصيح : السيف .
 - ٢ تهدي : الضمير عائد الى الريح . التبريح : شدة الشوق .
 - ٣ شرقت : غصت . الجيب : طوق اللقيص ، استناره للريح . ترقرق : نصب . دره : اراد
قطراته التي هي كالدر . والضمير يعود الى ماء الورد المستنار للمطر . المنضوح : المرشوش .
 - ٤ الطليح : المتعب ، المني .
 - ٥ الصل : الحية . المطرق : المرخي عينه ينظر الى الارض ساكناً . الشائين ، من شام
البرق : انظر اليه . اتبع : هي . وقدر . شبه البرق بالصل في شكله ، وسامل من ذا الذي
قدر له ان يلهغه هذا الصل ويهلكه .
 - ٦ الخليط : المصاحب والمخالط . اجد نزوحاً : جد في سيره باعداً .

ابن عبد ربه

جَرْفُ الْبَاءِ

قال : « ومن قوئنا في وصف الحرب » :

(من الطويل)

سَيُوفٌ يَتَقِيلُ الْمَوْتُ تَحْتَ ظَهَائِهَا ذَا فِي الْكُلِّ طَعْمٌ وَبَيْنَ الْكُلِّ شَرِبُ
إِذَا اصْطَفَتْ الرَّايَاتُ حُمْرًا مَتَوْنَهَا ذَوَائِبُهَا تَهْفُو فِيهِفُو لَهَا الْقَلْبُ
وَلَمْ تَنْطِقِ الْأَبْطَانُ إِلَّا بِفِعْلِهَا فَالْسُّنُّهَا عَجْمٌ وَأَفْعَالُهَا عُرْبُ !
إِذَا مَا التَّقَمُّوا فِي مَازِقٍ وَتَعَانَقُوا قَلَقِيَاهُمْ طَعْنٌ وَتَعْنِيْقُهُمْ ضَرْبُ

وقال :

(من الطويل)

مَعَذَاتِي رِفْقًا بِقَلْبٍ مُعَذَّبٍ وَإِنْ كَانَ يَرْضِيكَ الْعَذَابُ فَعَذَّبِي
لَعَسْرِي لَقَدْ بَاعَدْتُ غَيْرَ مُبَاعِدٍ كَمَا أَتَنِي قَرَّبْتُ غَيْرَ مُقَرَّبٍ
بِنَفْسِي بَدْرٌ أَحْمَلُ الْبَدْرَ نَوْرَهُ وَشَمْسٌ مَتَى تَطْلُعُ إِلَى الشَّمْسِ تَغْرِبُ
لَوْ أَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ بَدَتْ لَهُ لَمَا قَالَ : « مَرَّأِي عَلَى أُمِّ جَنْدَبٍ » (١)

(١) من قول امرئ القيس في مطلع قصيدة « الديوان ٤١ » :
خَيْلِي مَرَّأِي عَلَى أُمِّ جَنْدَبٍ نَفْسُ لِبَانَاتِ الْفَوَادِ الْعَذَبِ

وقال : (٥)

(من الطويل)

لقد سجت في جنب حبل حمامة
لك الويل كم هيجت شجواً بلا جوى
وأسكت دمعاً من جفون مستهد
فأني أرى هاجت على الهائم الصب
وشكوى لا شكوى وكرباً لا كرب
وما رقرقت لك المدامع بالسكب

وقال :

(من الطويل)

أبتقلني دائي وأنت ضبي
لئن نحت عهدي إنني غير خالين
وساحبة فضل الديور كأنها
قريب وهل من لا يرى شريب ؟
وأني محب خان عهد حبيب ؟
فتضيب من الريحان فوق كتيب
إذا ما بدت من خلد رها قال صاحبي : أطمعني ونخذ من وصلها بنصيب !
« فما كل ذي لب بمؤتيك نصحة » وما كل مؤت نصحه بلبيب !^(١)

قال : « ومن قولنا في وصف الدنيا » (٥) :

(من الطويل)

ألا إنما الدنيا نضارة^(٢) أبكة إذا اخضر منها جانب جف جانب

(٥) أورد الشاعر الأبيات لنفسه في « العقد » كتاب الزمردة الثانية في فضائل الشر ونحوه .
تحت فصل « قولهم في الحمام » وقدم لها بقوله « ومن قولنا » .

(١) البيت مفسر ، وهو لأبي الأسود الدؤلي « العقد » : ٤٤٤ .

(٥) قدم الضبي في « بنية الملتنس » للأبيات بقوله « ومن شعره في طريقة الزهد » .

(٢) في بعض الأصول الأندلسية المقدمة « غضارة » . وغضارة النبات : بطوته وطرأوته .

هي . . . الآراء . . . إلا . . . مجانب
 لكم . . . سمحت . . . لأمس عين . . . قريرة^(١)
 ولا . . . تكتحل . . . عينك . . . فيها . . . عبيرة
 عليها . . . ولا . . . الذات . . . إلا . . . مصائب
 وقرت . . . عيون . . . دمعها . . . اليوم . . . ساكب
 على . . . ذاهب . . . منها . . . فإنك . . . ذاهب !

١ - قال (٥)

(من الطويل)

ديار . . . عنيت . . . تبكي . . . السحاب . . . صدولها
 وتند . . . لها . . . الأرواح . . . حتى . . . حبيتها^(٢)
 وما . . . ظلل . . . تبكي . . . عليه . . . السحاب ؟
 صدى . . . حفرة^(٣) . . . قامت . . . عليها . . . النوادب !

وقال

(من المديد)

عائب . . . فقلت . . . له . . . عاتباً
 من . . . يتب . . . عن . . . حب . . . معشوقه
 فالهوى . . . لي . . . قدر . . . غالب
 ساكن . . . القصر . . . ومن . . . حله
 عائب . . . فقلت . . . له . . . عاتباً
 من . . . يتب . . . عن . . . حب . . . معشوقه
 كيف . . . أعصي . . . القدر . . . الغالب
 أصبح . . . القلب . . . بكم . . . ذاهباً
 شاهدأ . . . ما . . . عشت . . . أو . . . غائباً^(٤)

(١) سحنة . . . قد . . . قربت . . . ، . . . وأسكن . . . الله . . . عينه . . . : . . . أبكاه . . .

(٥) "بيت . . . في . . . كذب . . . التشبهات . . . ١٦٦" . . . في . . . باب . . . الوقوف . . . على . . . الديار . . . والربوع . . .

(٢) الأرواح . . . جمع . . . روح . . . : . . . نسيم . . . الريح . . .

(٣) "الصدى . . . طائر . . . خرافي . . . ، . . . زعموا . . . أنه . . . يخلق . . . من . . . رأس . . . المقتول . . . ، . . . ولا . . . يزال . . . يقول . . . : . . . استقوني . . .

حتى . . . يؤخذ . . . بناره . . . ، . . . وهو . . . معنى . . . يتردد . . . في . . . الشعر . . . الجاهل . . . بخاسة . . . والحفرة . . . هنا . . . القبر . . .

(٤) من . . . أسات . . . المد . . . رضى . . . الممدار . . . ٣٣ . . . والإقناع . . . ١٢ . . . و . . . بروى . . . : . . . أم . . . غائبا . . .

وقال في معنى « الاستدلال » بالنمط على الضمير

(من المديد)

صاحب في الحب مكذوب دمه تشوق منسكوب
كل ما تطوي جوانحه فهو في العينين مكثوب

وقال في معنى « طلب الرغائب واحتمال المفارم » :

(من البسيط)

والحر لا يكتفي من نيل مكرمة حتى يروم التي من دونها العطب
يسعى به أمل من دونه أجسل إن كفه رغب يستدعيه رغب
لذلك ما سأل موسى ربه « أرني أنظر إليك^(١) » وفي تسأله عجب
يتبني التزييد فيما نال من كرم وهو النجى لديه الروحاني والكشيب

وقال في معنى « الأدب في العيادة » (٥) :

(من البسيط)

روح الندي بين أثواب الملاوصب^(٢) يتعن في جسد للمجد ووصوب^(٣)
ما أنت وحدك مكسوا شحوب فتى بل كلنا بك من مضنى ومشحوب
يا من عليه حجاب من جلالتيه وإن بدا لك يوماً غير محجوب
ألقي عليك بدأ للضر كاشفة كشاف ضر نبي الله أيوب

(١) تضمن جزء من قوله تعالى في سورة الأعراف (٧ : ١١٣) (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك) .

(٥) من كتاب الياقوتة في العلم والأدب (المقدم : ١٥١) .

(٢) الوصب : المرض ورجل وصب - بكسر الصاد - مريض .

(٣) متن : يعترض .

وقال في معنى « الحجاب » (٥) :

(من البسيط)

ما بالُ نابلِكْ محروساً ببسوابِ
لا يختجبُ وجهك الممتوتُ عن أحدٍ
بَحْمِيهِ من طارقِ يأتي ومُنتابِ
فالمقتُ يحجبُهُ من غير حُجَّابِ !
فإنَّ وجهك طيلَّسَمٌ على البابِ !
فاعزَّ عن الباب من قد ظلَّ يحجبهُ

وقال :

(من مختلع البسيط)

كآبةُ الذلِّ في كِتَابِ
فَنَلَّتْ نَفْساً بغيرِ نَفْسِ
وَنُخْوَةُ العزِّ في جَوَابِ
فكَيْفَ تَسْجُو من العذابِ ؟
خُلِقْتَ من بَهْجَةٍ وطيبِ
إذ خلق الناسُ من تُرابِ
ولَّتْ حُمِيَّ الشَّابِ عَنِّي
فلَهْفَ نَفْسِي على الشَّابِ !
« أصبحتُ والشَّيبُ قد عَلَانِي
يدعو حثيثاً إلى الحَضَابِ » (١)

وقال في معنى الحَضَابِ :

(من الوافر)

أَصْبَحَ في الغَوَايَةِ (٢) أُنَابَا وشيبُ الرأسِ قد خلسَ الشَّابَا

(٥) من كتاب « المولدة في السلطان » من العقد ١ : ٧٨ .

(١) البيت مضمن وهو من شواهد العروض « الوافي في العروض والقوافي » ٦٧ .

(٢) « الغواية مصدر غوى . آمن في الضلال . وأُنَاب : تاب .

إذا نصل الخضاب^(١) بكى عليه ويضحك كلما وصل الخضابا
كان حمامة بيضاء ظلت تقابل في غماريه غراسا

وقال في رجل كتب إليه بريدة في صحيفة ومطله بها (٠) :

(من الوافر)

رجاء دون أقر به السحاب وتسويف بكل الصبر عنه
ودهر سادت العبدان فيه^(٢) وأيام خلت من كل خير
كلاب لو سألتهم ثراباً يعاقب من أساء القول فيهم
ووعده مثل ما لمع الشراب ومطل ما يقوم له حساب
وعاشت في جوانبه الذئاب ودنيا قد توزعها الكلاب
لقالوا : عندنا انقطع التراب ! وإن يحسن فليس له ثواب !

وقال (٥) :

(من الوافر)

رثا سجد الجمال ليوجتبه كما سجد النصارى للصليب
عليه من محاسنه شهود تؤدبها العيون إلى القلوب
يلعب ظله طرباً ولهنوا كما لعب الشمال مع الجنوب

(١) الخضاب : ما يختضب به (يلون به الشعر) ونصل الشعر : نخرج من الخضب .

(٥) أورد الشاعر ثلاثة أبيات من القطعة في فصل « استنجاز المراميد » من كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد . وأورد خمسة أبيات منها في فصل « ذم الزمان » من كتاب الباقوة في العلم والأدب من العقد . وانظر الروايات والتخریجات .

(٢) تجمع « عبد » على عبيد وعبد « بضمين » وأبعد وعبدان .

(٠) ذكرهما ابن الكتاني في كتاب التشبهات في باب عقده « في الحزن » .

وقال :

(من الكامل)

أما الخليلط^(١) فشد ما ذهبوا بانثوا ولم يقضوا الذي يجب
فالدار بعدهم كوشم بنسب يا دار فيك وفيهم العجب !
أين التي صيغت ثاسنها من فيضة شيبت بها ذهب ؟
ولتى الشباب فقلت أنذبته لا مثل ما قالوا ولا نذبوا :-
« دمن عنت ومنحها معاليمها دطيل أجش وبارح ترب^(٢) »

وقال :

(من الكامل)

عيني كيف غررتما قلبي وأعتماه لوعة الحب ؟ !
يا نظرة أذكت على كبدي ناراً قضيت بحرماً نحبي
نخلتوا جوى قلبي أكابده حسبي مكابدة الجوى ، حسبي !
عيني جنت من شؤم نظرتها ما لا دواء له على قلبي
« جانك من يجني عليك وقد تعدي الصبح مبارك الحرب^(٣) »

-
- (١) الخليلط : المخالط (لواحد والجمع) والمعنى هنا الحبيب ، أو الأوبة .
(٢) البيت مضمّن وهو من شواهد المروض «المعيار» ٤٧ والإقناع ٢٩ . والدمن جمع دمنة : آثار الناس وما سودوا وخلقوا . وحلت المعالم : انحلت ودرست . والمطل الأجس : المطر ذو الرعد . والبارح : الريح الباردة ، وترب صفة بارح ، أي المحملة بالتراب الذي سني الديار فيحفي آثارها .
(٣) مبارك جمع مبرك اسم مكان من برك الحمل إذا أناخ . والحرب « بفتحين » داء يصيب الحمال . والحرب جمع أبرح . والجمال الصبح : البرينة من علة الحرب .

وقال في محمد بن وضاح (١) :

(من الكامل)

جادت لك الدنيا بنعمة عيشها وكفالك منها مثل رادر الرّاكب

وقال يمدح رجلاً باستسهال اللفظ وحسن الكلام (٢) .

(من مجزوء الكامل)

قولٌ كأنّ فريضةً سحرٌ على ذهن التّبيب
لا يشمئز على النّسا ن (١) ولا يشاء عن القلوب
لم يغفل في شنع اللّغسا ت ولا تتوحّش بالغريب
سيفٌ تقلّد مثله عصف القضيبي على التّغيب
هذا تجدّ (٢) به الرقا ب وذا تجدّ به الخطوب !

(٥) محمد بن وضاح بن بزيع ، أبو عبد الله (١٩٩ - ٢٨٧) ترمذي من علماء الأندلس وعندهما وزهادها في زمانه . رحل إلى المشرق مرتين ، وقال فيه ابن عبد البر « كان ابن وضاح حليماً طيب الخلق ، سحاً بعلمه ، لا شغل له غير العبادة ونشر العلم » . وكان معلم أهل الأندلس « العلم والزهد » . وله أخبار كثيرة في مواصلة العبادة كالصوم والصلاة وقراءة القرآن . وكان له ثمانون يوماً في السنة يتورع فيها ولا يشغل فيها نفسه بشيء : أربعون في السّائم وأربعون في شدة البرد ! (انظر أخباره مطولة في ترتيب المدارك : ٤٤٠ :) .

(٥) أوردتها الشاعر في فصل الغريب والتّقيير من كتاب الياقوتة في العلم والأدب . وأورد البيت الأخيرين « سيف تقلّد . . . » تحت عنوان : الصبر والإقدام في الحرب من كتاب الفريدة في الحروب .

(١) قول لا يشمئز على النّسا ن : مهل مقبول منقاد . وأصل الشمز : نفور النفس بما تكره .

(٢) الخد : التقطع المستأصل . وجذ الخطوب على مجاز لطيف .

وقال أيضاً :

(من مجزوء الكامل)

لا واستراقِ اللحظِ ميسرُ عينِ المحبِّ إلى الحبيبِ
يشكو إليه بِطَرْفِهِ شَكْوَى أرقٍّ من النَّسيبِ
ما طابَ عيشٌ لَمْ يَتَذُقْ طَعْمَ الوصالِ ، ولا يطيبُ
والرُّبَّ الفِ قد طويَّستُ على مُراقبةِ الرقيبِ
ريحُ الشمالِ تهيجُه وتهيجُنِي ريحُ الجنوبِ !

وقال :

(من الهزج)

أيا مَنْ لَامَ في الحُبِّ ولم يَعْلَمْ جَوَى قلبي
مَلَامُ الصَّبِّ يُغْوِيهِ ولا أغوى من القلبِ !
فأنَّى لُمتَ في هِنْدٍ مُحِبّاً صادقَ الحُبِّ ؟
وهندٌ مآلها شِبهُ بَشَرِي : لا ، ولا غَرْبِ
« إلى هندٍ صبا قلبي وهندٌ مِثْلُها بَصْبي »^(١)

(*) ساق أبو الطاهر التجيبي هذه القطعة في كتابه « شرح المختار من شعر بشار » ، في أثناء شرحه
لبيت بشار « صفحة ٨٧ » :

ما هبت الريح من تلقاء أرضكم إلا وجدت لها برداً على كبدي
وأورد له قطعتين أخريين على الميم والنون ، تردان في مكانيهما من الديوان .

(١) روايته في « الحور العين » ص ٦٣ : صبا قلبي إل هند .

وقال :

(من الرُّهْل)

شادِنُ يسحب أذيالَ الطَّربِ يَتَشَنَّى بين هوٍ ولعسبِ
نجبينٍ مُفَرَّغٍ من فضة فوقَ نخلةٍ مُشربٍ لَوْنِ الذهبِ
كتبَ الدَّمْعُ بخدي عهدَه انهوى والشَّوقُ يملِي ما كتبَ -
ما ليجْهلي ما أراه ذَاهِباً وسوادُ الرأسِ مني قد ذَهَبُ
« قالت (١) الحسناءُ لما جثَّها شابٌ بعدي رأسُ هذا واشتهبُ » (٢)

وقال :

(من الوجْز)

يا أيُّها المشغوفُ بالحُبِّ التعبُ كم أنتَ في تقريبِ ما لا يَنْتَرِبُ
دَعُودٌ مَنْ لا يَرعوي إذا غَضِبُ ومنْ إذا عاتَبَتْهُ يوماً عَنبُ
« إنك لا تَجْئني من الشَّوْكِ العَيْنِبِ » (٣) !

وقال في صفة كلب قنص :

(من الوجْز)

يختلسُ الأنفُسَ باستلابِه كلبٌ يُلْقَى الوحيَ من كلابِه

(١) ورد البيت في ديوان امرئ القيس من قصيدة في « صفحة ٢٩٣ » ، وهي من المبحر عليه في قول آخر ، ونسبت القصيدة إلى عمرو بن ميناك المرادي « انظر الديوان بتحقيق أ. أبو الفضل إبراهيم » .

(٢) الشهب « بفتحين » ، والشبهة « بضم الشين » : بياض يصدعه سواد .

(٣) من أمثال أكم بن صيفي . (انظره في فصل المقال ٣٧٩) .

يمونُ أهلَ البيتِ باكتسابِهِ أهْبَتُهُ فانصاعَ في إهبابِهِ^(١)
كانته الكوكبُ في انصبابِهِ أو قَبَسٌ يُلْقِطُ من شهابِهِ

قال ابن عبد البر في كتابه « بهجة المجالس » :

أخبرني عبد الله بن محمد بن يوسف . قال : أخبرنا أحمد بن مالك بن عابد . قال : أخبرني أحمد بن محمد بن عبد ربه أبو عمر الشاعر . قال : دخلت على الوزير جهور بن الضيف . وكان القحط قد ألح . والغيث قد احتبس . واغتم الناسُ لذلك . وتحدث المنجمون بتأخر الغيث مدةً طويلة . فوجدت عنده ابن عيزرا^(٢) المنجم وجماعةً من أصحابه . وقد أقاموا الطالع وعَدُّوا وقضوا بتأخير الماء شهراً ؛ فقلت للوزير : إن هذا من أمور الله المُفْصِيَّة . وأرجو أن يكذبهم الله بفضله . ثم خرجت عنه وأتيت داري . وجاء أول الليل والسماء قد تغيّمت ونمت ساعة . فما أيقظني إلا نزول الماء . وقمت فقمريت ميني المصباح ، ودعوت بالدواة والقلم . فما رفعت يدي حتى نسخت هذه الأبيات . ثم صابحت بها الوزير . فسرَّ بها واستحسنها ؛ وهي :

من السريع

ما قَدَّرُ اللهُ هو الغالبُ ليسَ الذي يحسبه الحاسبُ
قد صدَّقَ اللهُ رجاءَ الورى وما رجاءُ عندهُ خائبُ
وأنزلَ الغيثَ على راغِبٍ رحمتهُ إذْ قنطَ الراغِبُ

(١) أهب : نهب ، وأهبيته (أنا) . والنصاع : ذهب سريعاً .

(٢) كذا قرأ محقق بهجة المجالس ، ووردت في تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) :
١٢٢ - ١٢٣ ، « ابن عيزرا » هنا وفي البيت الرابع من القصيدة ، كما قرأها الدكتور
إسماعيل عباس في مخطوطة بهجة المجالس .

قل لابن عزرا السخيف الحجاء^(١) ما يعلمُ الشاهدُ من حكمينا
 وقُسلُ لعباسٍ وأشياعهِ خانكمُ كيوانُ في قوسه^(٢)
 فكلتكمُ يكذبُ في علمه ما أنتمُ شيءٌ ولا علمكمُ
 تُغالبونَ اللهَ في حكمه «محبوبٌ» الحَبِيرُ الذي ماله
 قد أشهدَ اللهَ على نفسه زَرَى عليك الكوكبُ الثاقبُ !
 كيفَ بأمرِ حكمته غائبُ ؟ كيفَ ترى ؟ قولكمُ الكاذبُ !
 وغرتكمُ في أدونه الكاتبُ وعلمكمُ في أصله كاذبُ
 «قد ضَعُفَ المطلوبُ والطالبُ»^(٣) واللهُ لا يغلبه غالبُ^(٤)
 في فهمه نِدٌ ولا صاحبُ بأنه من جهليكمُ نائبُ !

(١) تقرأ « السخيف » بقطع الهمزة . وانظر الحاشية السابقة .

(٢) كيوان : هو كوكب زحل .

(٣) يشير إلى معنى الآية الكريمة (الحج ٧٢/٢٢) ، (يا أيها الناس خرب مثل فاستموا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) .

(٤) في سورة يوسف (٢١/١٢) قوله تعالى : (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

جَرَفُ الثَّاءِ

وقال : (١)

(من الطويل)

أناحتُ حَمَامَاتُ النُّوى أم تَغَنَّتِ فأبدتُ دَواعي قلبه ما أجنَّتِ ؟
فَدَبْتُ التي كانتُ ولا شيءَ غيرُها مَنى النَّفسِ لو يُقضى لها ما تَمَنَّتِ !

وقال :

(من الطويل)

عَبَّ طوى كَشْحاً (٢) على الزَّفَرَاتِ وإنسانٌ عَيَّنِي خاضَ في غَمَرَاتِ
فيا مَنْ بِعَيْشِيهِ سَقامي وصحتي ومَنْ في يَدِيهِ مِيشَتِي وحياتي
بجَبِّكَ عَاشَرْتُ الهُمومَ صَبَابَةً كَأَنِّي لها تِربٌ وهُنَّ لِيَدَاتِي
فَتَخَذَتِي أرضٌ للذُّبوعِ ، ومُقلتي سَمَاءٌ لها تَنَهَّلٌ بالعِبرَاتِ !

(١) أنشدها في جملة مقطوعات له في المقدم من فصل عن الحمام .

(٢) طوى الرجل كشحه على الأمر : أخسره وسره .

قال « ومن قولنا في رقة النسب وحسن التشبيب » :

(من الكامل)

كَمْ سَوَسَنَ لطفَ الحَياءِ بِلونِهِ فَأَصَارَهُ ورداً على وَجَنَائِهِ ^(١)

وقال :

(من مجزوء الكامل)

يا دهرُ مالي أَطْبَيْبُكَ رَأَيْتَ غَيْرُ مَوَاتٍ ^(٢)

جَرَعْتُني غُصَصاً بها كدَرْتُ حَقِيقَ حَيَاتِي

أَيْنَ الَّذِينَ تَسَابَقُوا فِي المَجْدِ لِلغَايَاتِ

قَوْمُ بِهِمُ رُوحُ الحَيَاةِ تَرَدُّ فِي الأَمَوَاتِ

« وَإِذَا هُمْ ذَكَرُوا الإِسَاءَةَ أَكْثَرُوا الحَسَنَاتِ » ^(٣)

وقال :

(من المتقارب)

فُوَادِي رَمَيْتَ وَعَقْلِي سَبَيْتَ وَدَمْعِي مَرَيْتَ ^(٤) وَنُتُومِي نَفَيْتَ

يَصْدَقُ اصْطِبَارِي إِذَا مَا صَدَدَتْ وَيَتَأَيَّ عَزَائِي إِذَا مَا نَأَيْتَ

عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَجْرَى الوِشَاحِ وَمَا تَحْتَ ذَلِكَ مِمَّا كُنَيْتَ !

وَتُفَاحِ خَبَدِي وَرِمَانِ صَدْرِي وَمَتَجَنَّهُمَا خَيْرُ شَيْءٍ جَنَنْتَ

تَجَدَّدَ وَصَلًا عَفَا رَسْمُهُ فَمِثْلُكَ لَمَّا بَدَأَ لِي بَنَيْتَ :

« عَلَى رَسْمِ دَارِ قَفَارٍ وَقَفْتُ وَمِنْ ذِكْرِ عَهْدِ الحَبِيبِ بَكَيتُ »

(١) ورواه في مكان آخر من العقد :

كَمْ شَادَنَ لطفَ الحَياءِ بِوَجْهِهِ فَأَصَارَهُ ورداً عل وجناته

(٢) طباه ، والطباء « بالطاء المشددة » دعاء دعاء لطيفاً ، واستماله إليه .

(٣) البيت من شواهد العروض ، انظره في الإقناع : ٢٢ .

(٤) مرى الشيء : استخرجه ، ومرت الريح السحاب : أنزلت منه نعل .

جَرْفُ الثَّاءِ

وقال :

(من المديد)

طَلَّقَ النَّهْوَ فُؤَادِي ثَلَاثًا	لَا ارْتِجَاعَ لِي بَعْدَ الثَّلَاثِ
وَبِإِضٍ فِي سَوَادٍ عِذَارِي	بَدَلِ التَّشْبِيبِ لِي بِالْمَرَاتِي
غَيْرَ أَنِّي لَا أُطِيقُ اصْطِبَارًا	وَأُرَانِي صَابِرًا لَانْتِكَاثِي
إِنَاثٍ فِي صِفَاتِ ذُكُورٍ	وَذُكُورٍ فِي صِفَاتِ إِنَاثٍ !

جَرْفُ الْجِيَمِ

وقال :

(من المديد)

صدعتُ قلبي صدْعُ الزُّجاجِ مالهُ من حيلةٍ أو عِلاجِ
مزجتُ روعيَ الحَماظِها بالهوى فتَهورَ لِروعي مِزاجِ
يا قَضيباً فوقَ دِيعصٍ نَقاً^(١) وكثيباً تحتَ تمثالٍ عاجِ
أنتَ نوري في ظلامِ الدُّجى وسراجي عندَ فقْدِ السُّراجِ

وقال في أول غزوة غزاها الناصر لدين الله عبد الرحمن الناصر ، وهي الغزاة المعروفة بغزاة المتلون - وكان - افتتح بها سبعين حصناً . كل حصن منها قد نكلت عنه الطوائف ، وأعصى على الخلائف ، (٥) :

(من البسيط)

قد أَوْضَحَ اللهُ لِلإِسْلامِ مِنْهاجاً والنَّاسُ قد دَخَلُوا في الدِّينِ أَفْواجاً

(١) الدِيعص : القطعة من الرمل مستديرة ، والنقا من الرمل : القطعة تنقاد محدودة .
(٥) فصل الناصر لهذه الغزوة يوم السبت لسبع خلون من رمضان المعظم من السنة الأولى لحكمه « سنة ٣٠٠ » - الموافق ١٧ نيسان منها - وقد سجل ابن عبد ربه فصول الخليفة بقصيدة وردت في حرف الكاف أولها :

فصلت والنصر والتأييد جنداك والنز أولاك والتمكن أخراك
وقفل الناصر لدين الله من غزاته هذه فدخل قصره بقرطبة يوم الأضحى من السنة إلى ثلاثة أشهر وثلاثة أيام من خروجه عنها . (تاريخ عبد الرحمن الناصر : ٣٤ ، البيان المغرب ٢ : ٢٢٤ والمقد : ٤ : ٤٩٩) .

وقد تزينت السدنيا لساكنيها
 بابن الخلائف إن المزن لو علمت
 والحرب لو علمت بأساً تصول به
 مات التفاق وأعطى الكفر ذمته
 وأصبح النصر متفوداً بالويصة
 أدخلت في قبة الإسلام مارقة^(١)
 يجتفل تشريق الأرض الفضاء به
 يقوده البدر يسري في كواكبه
 يروى فيه بروق الموت لأمعة
 غادرت في عقوتي^(٢) جيان ملحة
 في نصف شهر تركت الأرض ساكنة
 وجدت في الخبر المأثور منسلياً
 كأنما ألبست وشياً وديباجا
 نذاك ما كان منها الماء^(٣) ثجاجا !
 ما هبت من حمىك^(٤) الذي اهتاجا
 وظلت الخيل إيلاماً وإسراجا
 تطوي المراحل تهجيراً^(٥) وإدلاجا
 أخرجتها من ديار الشرك إخراجا
 كالبحر يقدف بالأمواج أمواجا
 عومراً كسواد الليل رجراجا
 ويسمعون به للرعد أهراجا^(٦)
 أبكى منها بأرض الشرك أعلاجا^(٧)
 من بعد ما كان منها الظهر قد ماجا^(٨)
 من الخلائف خراجاً وولاجا^(٩)

- (١) ثج الماء : سال . (٢) الحميا : شدة الغضب . (٣) التهجير : السير في الهجرة
 (٤) أي فنة مارقة . والمروق : الخروج من الإسلام . جعلوا خلع بيعة الخليفة وشق عصا الطاعة
 مروقاً .
 (٥) المزج : صوت مطرب ، وصوت فيه بحج ، وكل صوت متدارك متقارب . واستعاره
 الشاعر لصوت الرعد .
 (٦) العقوة : مأ حول الدار والمحنة .
 (٧) أعلاج جمع عالج : الرجل من كفار المعجم .
 (٨) أفرد صاحب « الملوحة » هذا البيت ، وذكر بيتاً بعده ثم يرد في المصادر الأخرى . قبل أن
 يذكر القصيدة ، فكانه يورم أنها من قصيدة مفارقة . والبيت التالي هو :
 لما رأوا حومة الشاهين فوقهم كانوا رهاء حوالها ودراجا
 والشاهين طائر من الجوارح ، والرهو نوع من الكركي . والدراج طائر صغير .
 (٩) خراج وللاج أي كثير الدخول والخروج ، ويقال هذا للرجل الذي يحسن تدبير الأمور
 ويتفنن تصرفها .

نملا بك الأرض عدلاً مثل ما ملئت
يا بدر ظلمتها يا شمس صبحتها
[خلقت من جواهر العيقان خالصة
إن الخلافة لن ترضى - ولا رضىت -
جوراً وتوضح للمعروف منهاجا
يا ليث جومتها إن هائج هاجا
ولم تكن نطفة في انصليب أمشاجا !]
حتى عقدت لها في رأسك التاجا

وقال :

(من البسيط)

وروضة عقدت أبدي الربيع بها
بمُلَقَّح من سواربها وملقحة
توشحت بملاة غير ملحمة
فألبست حلل الموشي زهرتها
نوراً بشور وتزويجاً بتزويج
ونائج من غوادبها ومنسوج^(١)
من نورها ورداء غير منسوج^(٢)
وجلتلتها بأنماط الدبابيج^(٣)

قال ابن حيان في « المقتبس » وانتهت فتوح (الناصر لدين الله) في
الكورتين جميعاً « كورة دمشق وكورة قنسرين » في غزوته هذه . إلى

-
- (١) السارية من السحاب : التي تجيء ليلاً ، والفادية : السحابة تنشأ تخطر غيرة « صباحاً » .
وهي « ملقحة ومتوجة » لتحقق المطر ليلاً .
(٢) النور : الزهر الأبيض ، وهو قصد الزهر مطلقاً .
(٣) الدبابيج والدبابيج ج الديباج : نوع من الثياب سداه ولحمته الحرير .
(٤) هي أول غزوة غزاها الناصر لدين الله عبد الرحمن « الثالث » المرواني . وتعرف بغزوة
المتلون . وكورة دمشق هي كورة البيرة - وكانت حاضرتها مدينة البيرة ثم تحولت في
القرن الخامس إلى غرناطة - وكورة قنسرين هي كورة جيان . سميت الكور الأندلسية بأسماء
شامية لتزول جندها بها ، كما فرقهم والي الأندلس أبو الخطار الكلبي . وقد أنزل كل
جند في منطقة قريبة من بيتهم الأصلية لسميت بأسمائها . (انظر فجر الأندلس للدكتور
حسين مؤنس ٢٢٢ ، ومراجعته في الحواشي) .

سبعين حصناً من أمتها الحصون . كل حصن منها كان عالي الاسم بعيد الصيت . ملجأ لدوي الخلاف والمعصية ، قد كانت فيه وقائع معلومة . وانضم إلى هذه الحملة ما فتح بفتحها من قصابها ومراقبها وبناتها وذواتها قاربت الثلاث مئة ما بين حصن وبرج ، فقد كان في يد عبيد الله بن أمية ابن الشامية وحده ما يسجاوز المئة .

وهذا فتح لم يسمع بمثله للملك من ملوك الأرض . . . في غزوة واحدة في سالف الأزمنة وقد [عدّ ؟] هذا . ونبه عليه . الشاعر الحنيد (١) أحمد بن محمد بن عبد ربه في شعر له أو قاربه حيث يقول :

(من البسيط)

في غزوة ميثا حصن ظفرت بها في كل حصن غواة للعناجيج (٢)
ما كان ملك سليمان ليذكرها والمبشني سد ياجوج وماجوج

وقال في العيذار :

(من الكامل)

ومعدّر نقش الجمال بمسكه خدأ له يدم القلوب مضرباً
لما تيقن أن سيف جفونه من نرجس جعل التجاد بنفسجا !

(١) من معاني الحنيد : الشاعر المجيد المفلح .

(٢) العناجيج : جياذ الخيل ، المفرد عنجوج .

ذكر ابن حيان في انقبتس في أخبار سنة ٢٧٨ أن ابن حفصون (١) تهادى في عصيانه ، وظهرت شوكته وتداعى أهل الشر إليه من أقطار الأندلس ، وعاث في بعض أقاليم قرطبة ، وجعل حصن « بلاني » منطلقاً لناراته . فنهض إليه الأمير عبد الله بنفسه وحشد له ، وأُزيل به هزيمة عند حصن بلاني واحتله .

ومضى الأمير إل مدينة إستجة وكانت تحت فطر « الخبيث » ابن حفصون ، فحصر أهلها ورماهم بالمنجنيق فالتسوا الأمن وبذلوا الطاعة فقبل منهم واستعمل عليهم عاملاً . (ولابن عبد ربه قصيدة في فتح إستجة ، تجدها في حرف الخاء) .

وكان ابن حفصون لما انكشف جيشه أمام جيش الأمير في « بلاني » ووقع الحصن في يد الجيش المرواني ، قد لحق بأرشدونة ، ثم عاد إلى قاعدته في بيشتر . ورحل الأمير إل مقر ابن حفصون فحاصر بلده « بيشتر » وحطم ما حول قلعة وأقام عليه مدة ، وحقق خندق شوكة المارق وحصره في بلده ، ثم ظهر له العودة بجيشه بعد أن تعب الجند . فلما فصل الجيش طمع ابن حفصون فلتحق بجيش الأمير ليصيب منه في شعاب الطريق الوعر وناوشهم خير أن الأمير ونفراً من قواده رتبوا عودة الجيش آمناً وقتلوا من فئة ابن حفصون مقتلة عظيمة وجيء بخمس مئة رأس من رؤوسهم إل قرطبة .

قال ابن حيان : وكان يقول الأمير عن بيشتر على طريق أرشدونة وتسطيلية حاضرة البيرة فتوثق من أهل البلاد التي مر بها ، ثم قفل إل قرطبة عزيزاً ظانراً . وقال ابن عبد ربه يهني الأمير عبد الله في فتح « بلاني » من قصيدة حسنة أروها :

(من الكامل)

الحقُّ أبلَجُ واضحُ المِنْهَاجِ والبدرُ يشرقُ في الظلامِ الدَّاجِ
والسَّيفُ يعدِلُ مَيْلَ كلِّ مَخَالِفٍ عَمِيَّتْ بصيرتُهُ عنِ المِنْهَاجِ

(١) عمر بن حفص (ويقال له حفصون) بن عمر بن جعفر . وجعفر هذا هو أول من أسام من أجداده . نشأ ابن حفصون على الإسلام ، ولكنه خرج في دولة الأمير محمد بن عبد الرحمن برية وتاكرنا وجهة الجزيرة سنة ٢٦٧ ، وطالت فتنته وعظم شره . وفي سنة ٢٧٠ استناره أحد القواد من جباله - وكان اتخذ بيشتر مقراً له - وجيء به إل قرطبة فأحسن الأمير وفادته وعفا عنه . ولكنه هرب سنة ٢٧١ وعاد إل الفتنة وحارب جيوش الأمير ، وتنصر سنة ٢٨٦ ، وظل شجاً في خلق الأمة والدولة حتى ضيق عليه الأمير عبد الرحمن الناصر ، وقطع أسبابه في جهاته جميعاً حتى هلك سنة ٣٠٥ .

وإذا المعاقلُ أُرغمتْ أبوابُها
 نَشَرَ الخليفةُ للخلافِ عزيمةً
 جيشُ يلفُ كَتائباً كَتائباً^(١)
 وتراهُ يَأْفِرُ^(٢) بالقنابلِ والقنابِ
 متقاذِفُ العِبرتينِ^(٣) . تَغْفِقُ بالصبا
 من كلِّ لائحةِ الأبطالِ^(٤) شُدْفُ^(٥)
 وتُرى الحديدُ فتشعرُ جلودُها
 دُهمُ كَأْسِدِفةِ الظلامِ . وبعضُها
 من كلِّ سامي الأُخدعينِ^(٦) كأنما
 لها جفَلْنِ إلى الاني^(٧) عَشِيَّةُ
 فكأنما جاستُ خلالَ ديارِهمِ^(٨)
 ولجأ ابنُ حفصونِ ومن يكنِ الرُدى

فالسيفُ يفتحُ قُفْلَ كلِّ رِجاجِ^(٩)
 طُوتِ البلادُ بحفَلِ رَجراجِ
 ويضمُّ أفواجاً إلى أفواجِ
 كالبحرِ عندَ تَلَاطُمِ الأمواجِ
 ربابُهُ . مُتَدافِيعُ الأمواجِ
 رجبِ الصَّدورِ أَمِينَةُ الأُتاجِ^(١٠)
 خُوفُ الطعانِ غداةَ كلِّ نَهاجِ^(١١)
 صَفَرُ المناظرِ كاصْفِرارِ العاجِ !
 نِيطَتْ شكايمُهُ بِجَذَعِ السَّاجِ^(١٢)
 أَقْوَتُ معاهدُها من الأعلاجِ
 أَسَدُ العَرِينِ نَحَلَتْ بِسِرْبِ نِعاجِ
 والسيفُ طالِبُهُ فليسَ بناجِ !

- (١) نرتج : الباب المطبوع أو الباب مقلداً ، ورتج الباب أغلقه ومثله أرتج .
- (٢) لف الكتبة بالكثبة : غلط بينهما بالحرب ، ومثله : لف الكتبتين .
- (٣) في القاموس : أفوت القدر : اشتد غلبانها . وأمر البعير : نشط . والقنابل جمع القنبلة وهي الطائفة من الناس والحيل .
- (٤) عبر الوادي : شاطئه ، ناسيته .
- (٥) الأياطل ج الأيطل : الحامسة . ولحق لحوقاً - فهو لاسق - ضمير .
- (٦) الشد في الحيل والإبل : إمالة الرأس من النشاط . وفرس أشد : عظيم الشخص .
- (٧) السج : ما بين الكاهل إلى الظهر .
- (٨) نهج الدابة : سار عليها حتى انبهرت .
- (٩) الأخدعان مشى الأخدع : أسد عرقين خفيين في جانب العنق .
- (١٠) الشكبة في اللجام الحديد الممتدة في فم الفرس . والساج : شجر يعظم جداً ، ويذهب طولاً وعرضاً .
- (١١) هو حصن «بللي» الذي جرت حوله معركة خسرها ابن حفصون الخارج على الدولة المروانية بالأندلس « وانظر مناسبة القصيدة » .
- (١٢) جاسوا خلال الديار : ترددوا بينها بالإفساد وطلبوا ما فيها . وفي القرآن الكريم قوله تعالى : (فجاسوا خلال الديار) .

في ليلة أسرّت به فكأنّما
 ما زال يلقح كلّ حربٍ حائلٍ (١)
 فإذا سألتهم مواليّ منّ همّ
 ركبَ الفِرارَ بعُصبةٍ قد جرّبوا
 وبقيّة في الحصنِ أرتجّ دونهم
 سدّت فيجّاجُ الخافقينِ عليهم
 نكصت ضلالتهم على أعقابها
 من جاء يسألُ عنهم من جاهلٍ
 فأولئك هم فوق الرصيف وقد صغا (٢)
 ركبوا على باب الأميرِ صوافيناً (٣)
 أضحى كبيرهم كأنّ جبينه
 خيانتُ الديه ليلة الميعراج (٤)
 فالآن أنشجها بشرّ نتاج (٥)
 قالوا : مواليّ كلّ ليلٍ داج
 غيب السرى وعواقب الإدلاج (٦)
 باب السلامة أيّما إرتاج
 فكأنّما خلّقا بغير فيجّاج (٧)
 وانصاع كفّرهم على الأدراج (٨)
 لم يرو سغباً (٩) من دم الأوداج
 بعض إلى بعض بغير نتاج !
 غنيت عن الإلجام والإسراج
 خضيت أسيرته بماء الزّاج (١٠)

- (١) بالغ الشاعر في وصف سرعة المارق ابن حفصون في فراره .
 (٢) من قولهم « ناقة حائل » : لم تلقح من سنة أو ستين أو أكثر .
 (٣) السرى : سير عامة الليل ، والإدلاج السير من أول الليل . وفي أمثالهم « عند الصباح يحمد القوم السرى ! » .
 (٤) فيجّاج جمع فج : الطريق الواسع بين جبلين .
 (٥) انصاع : انقل راجعاً مسرعاً .
 (٦) السب : الجوع ، وقال في اللسان « وربما سبي العطش سباً ، وليس بمسمل » وهو المقصود - كما يظهر - في البيت .
 (٧) صفا : مال .
 (٨) صوافن ج صافن ، من صفن الفرس إذا قام على ثلاث قوائم وطرف الرابعة . يكنى من قتلهم وصلبهم ، فكانوا - كأنهم - ركبوا خيلاً ، ولكنها لا تنصف بما تنصف به الخيل ولا يكون لها إلجام أو إسراج !
 (٩) الأسرة - ج سر وسرر وسرار - هي المخطوط في الجبهة - وغيرها - . والزاج ملح ، وهو أنواع . قال في الأدوية المفردة « ١٩٢ » : إن الزاج الذي يخص بهذا الاسم هو الزاج الأخضر ، والزاجات بيض وحمر وصفر وخضر .

لا :أى تاجَ الخلافةِ خائنهُ قامَ الصليبُ لهُ مقامَ التاجِ !
هذي الفتوحاتُ التي أذكتُ لنا في ظلمةِ الآفاقِ نورَ سراجِ.

وقال :

(من الوجز)

ربُّ البقيعِ طامسِ المنهاجِ^(١)
رضيعِ كلِّ أوطفٍ ثجاجِ^(٢)
حبَّابهُ كالنَّفخِ في الزُّجاجِ.

وقال :

(من المقتضب)

يا مليحةَ الدَّعيجِ^(٣) هل لديكِ من فرَجِ
أم تُسراكِ قاتلي بالذلِّ والغنَجِ ؟
مَنْ لحسنِ وجهكِ مِنْ سُوءِ فعلكِ السَّميعِ ؟
عاذلي حَسْبُكُما قد غرقتُ في لُجَجِ
« هل عليَّ - ويحكُما ! - إنْ لهوتُ من حَرَجِ ؟ ! »^(٤)

-
- (١) البقيع : مكان متسع منخفض فيه شجر . وطامس : دارس . والمنهاج : الطريق .
(٢) الأوطف : السحاب الذي استرخت نواحيه . والثجاج : الشديد الانصباب .
(٣) الدعيج : سواد العين مع سعتها .
(٤) البيت من أبيات المروض ، وهو في الوافي : ١٦٨ ولم ينسبه ، قال : سمع من جارية تنشده على عهد النبي صل الله عليه وسلم .

جَرْفُ الْحَاةِ

وقال يمدح الأمير عبد الله في فتح حصن بلادي وذكر غزواته الشهيرة :

(من الطويل)

هو الفتحُ منظوماً على إثره الفتحُ	وما فيهما عهدٌ ولا فيهما ملحٌ ^(١)
سوى أن صَفْحاً كانَ من بعدِ قدرةٍ	وأحسنُ مقرونٍ إلى قُدرةٍ صَفْحُ
سَلِ السيفِ والرُّمَحِ الردييَّ عنهما	فتسمعَ ما يُنْهِي به السيفُ والرَّمَحُ
لقد شفعتُ يومَ العروبةِ ^(٢) عندها	بعيدٌ لنا فيه السَّلَامَةُ والشُّجْعُ
ذبائحُ راحتِ يومَ عيدٍ لحومِها	وما ازدانَ عيدٌ لا يكونَ به ذبيحُ !
قريناهم سَجَلًا ^(٣) من الحربِ مرّة	وعشرًا ركيكًا ليس في طعمه ملحُ
ومُقَرَّبَةٌ يشقُّ في النِّقْعِ ^(٤) كَمَسْتُهَا	وتخضرُّ حيناً كلُّها بلُّها الرُّشْعُ

(٥) وانظر مقدمة القصيدة الجيمية : (الحق أبلغ راضح المنهاج) .

(١) هو فتح عنوة ، أنزل فيه الأمير المغلوبين على حكمه .

(٢) عروبة والعروبة : يوم الجمعة .

(٣) السجل : الدلو العظيمة مملوءة . ولم يظهر لي الشطر الثاني .

(٤) المقربة : الفرس التي تدن وتقرّب وتكرم ولا تترك .

تراهن في نضح الدماء كأنما
 تطير بلا ريش إلى كل صيحة
 عليها من الأبطال كل ممارس
 بعدونه الأعداء [كرباً] عليهم^(١)
 وكان ابن حنفصون بعد جياته
 نجاً مستكناً تحت جنع من الدجى
 دعته منى كانت عليه منية
 تسربل ثوب الليل خامس خمسة
 يودون أن الصبح ليل عليهم
 أقادح نار كان طعم وقودها
 تحا السيف ما زخرفت أول وهلة
 فكم شارب منكم صحا بعد سكره
 كان «بلايا»^(٥) والخنازير^(٦) حولها
 ديار الذين كذبوا رسل ربهم
 فلو نطق السفح الذي قتيوا به

كساها عقيقاً أحمرأ ذلك النضح
 وتسبح في البر الذي ما به سبح
 يرى أن جنة الحرب من بأسه مزح
 على أنه طلق لنا وجهه سمنح
 سراحين قبل اليوم فهي لنا سرح^(٢)
 وليس يؤدّي شكر ما أنعم الجنح
 فترحاً له منها وقتل له الترح^(٣)
 فكلهم في^(٤) كل جارحة جرح
 ونحن نود الليل لو أنه صبح
 بعينيك فانظر ما أضاء لك القدح
 ودونك فانظر بعد ذلك ما يمحو
 وما كان لولا السيف من سكره يصحو
 مقطعة الأوصال . أنيابها كلح
 فلاقوا عذاباً كان موعده الصبح^(٧)
 إذن لبكى من نشر قتلاهم السفح

- (١) لاحظ استعماله لنة أكلوني البراغيث .
- (٢) سراحين ج سرحان : الذئب والأسد ، وأطلق على عدد من الأفراس المشهورة . والسرح : المال السائم .
- (٣) الترح الحزن والحلم . ترحاً له : دعاء على ابن حنفصون .
- (٤) هكذا وردت ؛ وأظنها مصحفة . (فكان لهم ؟ فكل له ؟) .
- (٥) هو حصن بلاي من كورة قبره ، كان ابن حنفصون احتله واتخذ منه منطلقاً لناراته على قرطبة ، حتى استنفذه الأمير عبد الله .
- (٦) ظاهر أن «الخنازير» هم قتل جماعة ابن حنفصون . والكلح : تكشير في عبوس .
- (٧) يشير إلى قوم لوط وديارهم ؛ صبحهم العذاب فصاروا أراً بعد عين . راجع الآيات ٨١-٨٣ من السورة ١١ «هود» . وفي الآية ٨١ (إن موعدهم الصبح ليس الصبح بقريب) .

دماءٌ شَفَتْ مِنْهَا الرِّمَاحَ غَلِيلَتِهَا فودَّ قَضِيبُ الْبَانِ لَوْ أَنَّهُ رَمَحُ !
 وَلِلَّهِ مَا أَزْكَى تِجَارَةً صَفْقَسَةً يَكُونُ لَهُمْ خُسْرَانُهَا وَلَنَا الرُّبُحُ
 أَقْمَنَا عَلَيْهَا اللَّهْوَ فِي يَوْمٍ عِيدِهِمْ فَكَمْ لَهُمْ فَيْصَحًا بِهِ قُطِعَ النَّصْحُ^(١)
 أَلَا تَعَسَتْ تِلْكَ الْوُجُوهُ وَقُبُحَتْ فَمَا خُلِقْنَا إِلَّا لَهَا التَّعَسُ وَالْقُبُحُ
 فِيا وَقْعَةً أَنْسَتْ وَقِيعَةً رَاهِطٍ وَيَا عِزْمَةً مِنْ دُونِهَا الْبَطْنُ (؟) وَالنَّطْحُ
 وَيَا لَيْلَةً أَبَقَتْ لَنَا الْعِزَّ دَهْرًا نَسَا وَذُلًّا عَلَى الْأَعْدَاءِ جَلًّا بِهِ التَّرْحُ
 بِدَوْلَةٍ عَبَدَ اللَّهُ ذِي الْعِزِّ وَالتَّقَى يَجْبُرُ فِي أَدْنَى مَقَامَاتِهِ الْمَسَدُ

وَكَانَ أَهْلُ إِسْتِجَّةٍ مِمَّنْ نَخَلَ وَخَالَفَ فَافْتَحَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ
 عَلَى يَدِ بَدْرِ الْحَاجِبِ سَنَةَ ثَلَاثِ مِائَةٍ فَهَدَمَ سُورَهَا وَوَضَعَ بِالْأَرْضِ قَوَاعِدَهَا
 وَأَلْحَقَ أَعَالِيهَا بِأَسَافِلِهَا وَهَدَمَ قَنْطَرَةَ نَهْرَهَا ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
 ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

(من الطويل)

أَلَا إِنَّهُ فَتَحَ يُقِرُّ لَهُ الْفَتْحُ فَأَوَّلَهُ سَعْدٌ وَآخِرُهُ نُجُحُ
 سَرَى الْقَائِدُ الْمَيْمُونُ خَيْرَ سَرِيَّةٍ تَقْدَمُهَا نَصْرٌ وَتَتَابِعُهَا فَتْحُ
 أَلَمْ تَرَهُ أُرْدَى بِإِسْتِجَّةِ الْعِدَى فَلَاقُوا عَذَابًا كَانَ مَوْعِدَهُ الصُّبْحُ
 فَلَا عَهْدَ لِلْمُرَّاقِ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ يَتِمُّ لَهُمْ عِنْدَ الْإِمَامِ وَلَا صَلُحُ
 تَوَلَّوْا عِبَادِيدًا^(٢) بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ وَقَدْ مَسَّاهُمْ قَرْحٌ وَمَا مَسَّنَا قَرْحُ

(١) هكذا وردت .

(٢) العباديد : الفرق من الناس الذاهبون في كل وجه ؛ وكذلك العبايد .

وقال في معنى « من طلب الزيادة فانتقص » :

(من الطويل)

طلبتُ بكَ التكثيرَ فازددتُ قلَّةً وقد يَحْسَرُ الإنسانُ في طلبِ الرِّبعِ
وقال :

(من المديد)

مُسْتَهَامٌ دَمَعُهُ سَافِيسُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ هَوًى قَادِحُ
كَلِمَا أُمَّ سَبِيلَ الْهُدَى عَافَهُ السَّانِحُ وَالْبَارِحُ^(١)
حَلٌّ فِيمَا بَيْنَ أَعْدَائِهِ وَهُوَ عَنْ أَحِبَّاءِهِ نَازِحُ
أَيْهَا الْقَادِحُ نَارَ الْهَوَى إِصْلَحْهَا يَا أَيْهَا الْقَادِحُ !

وقال في « رجال الحرب » ، وأن الوغى قد أخذت من أجسامهم . فهي
مثل السيوف في رقتها وصلابتها :

(من البسيط)

سِفٌّ عَلَيْهِ نِجَادُ سِيفٍ مِثْلِهِ فِي حَدِّهِ لِلْمُفْسِدِينَ صِلَاحُ
وقال (هـ) :^١

(من المنسرح)

لِلَّهِ عَبْدُ الرَّحِيمِ مِنْ مَلِكٍ مَا بَعْدَهُ لِلْعَيُونِ مُطَرِّحُ
كَأَنَّ بَابَ السَّمَاءِ مِنْ يَدِهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَنَامِ مُنْفَتِحُ

(١) البارح : ما مر من ميامنك إلى ميسارك ، والسانح ضد البارح . وعاف الطير : زجرها .
(هـ) ورد البيتان في جملة أبيات لشعراء مختلفين في معنى « الجود » من كتاب التشبيهات .

جَرْفُ الْخَاءِ

وقال :

(من المديد)

عادِ مِنْهَا كُلٌّ مَطْبُوحٍ	غَيْرَ دَاذِيٍّ وَمَفْضُوحٍ ^(١)
واعتقد من وُدِّ أهل الحجى	كُلٌّ وَدٌّ غَيْرَ مَشْدُوحٍ ^(٢)
وانتشق رِيَّاكَ من مُلْتَقَى	شاربٍ بِالْمَيْسِكِ مَلْطُوحٍ
إنَّ في العِلْمِ وآثارِهِ	نَاسِخاً منْ بَعْدِ مَنْسُوحٍ !

-
- (١) الداذي : نبت ، وقيل هو شيء له عنقود مستطيل ، وجبه على شكل حب الشعير ، يوضع منه مقدار رطل في الفرق فتنبق رائحته ويجود إسكاره ! ! (والفرق مكبال يسع ثلاثة أصع أو أكثر) . وذكره في الأدوية المفردة بالدال « داذي » .
- والمفضوخ - والففضيخ - عصير العنب . وهو أيضاً شراب يتخذ من البسر المفضوخ وسده .
- (٢) الشدخ : الكسر .

جَرْف الدَّال

وقال في معنى خدمة السلطان وصحبته (•) :

(من الطويل)

تَجَنَّبْ لِبَاسَ الْحَزْ إِنْ كُنْتَ عَاقِلًا وَلَا تَخْتَسِمْ يَوْمًا بَقِصٌ زَبَرْجَدٍ
وَلَا تَتَطَيَّبْ بِالسَّوَالِي تَعَطُّسًا وَتَسَحَّبْ أَذْيَالَ الْمَلَأِ الْمُعْضَدِ (١)
وَلَا تَتَخَيَّرْ صَيِّتَ النَّعْلِ زَاهِيًا وَلَا تَتَصَدَّرْ فِي الْفِرَاشِ الْمُسَهَّدِ
وَكُنْ هَمَلًا فِي النَّاسِ أَغْبَرُ شَاعِنًا تَرُوحُ وَتَغْدُو فِي إِزَارٍ وَبُرْجَدٍ (٢)
يَرَى جِلْدَ كَبْشٍ تَحْتَهُ كُلَّمَا اسْتَوَى عَلَيْهِ سَرِيرًا فَوْقَ صَرْحٍ مُسَرَّدٍ (٣)
وَلَا تَطْمَحِ الْعَيْنَانِ مِنْكَ إِلَى أَمْرٍ لَهُ سَطَوَاتٌ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
تَرَاءَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِزَبَرْجٍ عَيْشِيهَا (٤) وَقَادَتْ لَهُ الْأَطْمَاعُ مِنْ غَيْرِ مِقْوَدٍ

(•) أورد ابن عبد ربه القنطة في العقد في أثناء فصل عقده قلبي عن خدمة السلطان وخدمة الملوك ،
وقدم لها بقوله « ومن قولنا في خدمة السلطان وصحبته » .

(١) المعضد : ثوب له علم في موضع المعضد .

(٢) البرجد : كساء غليظ .

(٣) في القاموس « بناء مرد : مطول » ، والصرح كل بناء عال مرتفع .

(٤) الزبرج : الزينة من وشي أو جواهر ونحو ذلك .

فَأَسْمَنَ كَشْحِيهِ وَأَهْزَلَ دِينَهُ
فِيَوْمًا تَرَاهُ تَحْتَ سَوَاطِئِ مُجْتَرِدًا
فَيُرْحَمُ تَارَاتٍ وَيُحْسَدُ تَسَارَةً
وَلَمْ يَرْتَقِبْ فِي الْيَوْمِ عَاقِبَةَ الْغَدِ
وَيَوْمًا تَرَاهُ فَوْقَ سَرَجٍ مُنْقَضٍ
فَلَذَا شَرُّ مَرْحُومٍ وَشَرُّ مُحْسَدٍ !

وقال :

(من الطويل)

وَحَامِلَةً رَاحًا عَلَى رَاحَةِ الْيَدِ
مَتَى مَا تَرَى الْإِبْرِيْقَ لِلْكَأْسِ رَاكِعًا
عَلَى يَاسَمِينَ كَاللُّجَيْنِ وَتَرْجَسِ
بِتِلْكَ وَهَذِي قَالَهُ لِيْلِكَ كُنْهٌ
(سَتُبْدِي لَكَ الْإِيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا)
مُورَدَةٌ تَسْعَى بِلَوْنٍ مُورَدٍ
تُصَلِّ لَهْ مِنْ غَيْرِ طَهْرِ وَتَسْجِدُ
كَأَقْرَاطٍ دُرٍّ فِي قَفْصِيبٍ زَرْجِدٍ
وَعَنْهَا فَسَلْ لَا تَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ غَدٍ
وَيَأْتِيكَ بِالْأَحْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ (١)

قال : وأهديتُ طبقَ وردٍ ومعه :

(من الطويل)

رِيَّاحِينَ أَهْدِيهَا لِرِيحَانَةِ الْمَجْدِ
وَوَرْدٌ بِهِ حَيَّتُ غُرَّةَ مَسَاجِدِ
وَوَشْيُ رَبِيعِ مُشْرِقِ اللَّوْنِ نَاصِرِ
بَعَثْتُ بِهَا زَهْرَاءَ مِنْ فَوْقِ زَهْرَةٍ
جَعَتْهَا يَدُ التَّخْجِيلِ مِنْ حُمْرَةِ الْخَدِ
شَمَائِلُهُ أَذْكَى نَسِيمًا مِنَ الْوَرْدِ
يَلُوحُ عَلَيْهِ ثَوْبٌ وَشْيٍ مِنَ الْحَمْدِ
كَتَرْكِيبِ مَعْشُوقَيْنِ خَدَّاءَ عَلَى خَدِ

(١) البيت من معلقة طرفة (ديوانه : ٤٤) .

وقال ابن عبد ربّه يرثي عبيد الله بن يحيى :

(من الطويل)

لقد فُجِيعَ الإسلامُ منهُ بناصرٍ كما فُجِيعَ الأيتامُ منهُ بوالدٍ
بكتُهُ الأيتامُ والأيتامُ وأعولتُ عليه الأسارى نحائبِ المواعدِ

وقال :

(من المديد)

يا مُجِيلَ الرُّوحِ في جَسَدِي والذي يَفْتَرُّ عن بَرَدِ
وفريدِ الحُسْنِ واحِدَةٍ منتهاهُ منتهى العَدَدِ
خُذْ بِكَفِّي إِنِّي غَرِيقٌ في بحارِ جَمَّةِ المَدَدِ
ورِياحُ الهَجْرِ قد هَدَمَتْ ما أقامَ الوَصْلُ مِن أَوْدِي !

وقال في معنى « المبادرة بالعمل الصالح » :

(من البسيط)

بادِرْ إلى التَّوْبَةِ الخَلْصاءِ مجْتَهِداً والموتُ ويَحْكُمُ لم يَمْدُدْ إِلَيْكَ يَدَا
وارْقُبْ من اللهِ وعداً ليسَ يُخْلِفُهُ لا بدُّ لله من إنْجَازٍ ما وَعَدَا

(هـ) هو أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى الأثبي ، من أهل قرطبة . كان من فقهاء الأندلس ،
مقدماً في المشاورين في الأحكام ، منفرداً برئاسة البلد غير مدافع - كما قال ابن الغضائري -
رسل إلى المشرق حاجاً وتاجراً ، ودخل بغداد ومصر وسبع بهما . وكان عاقلاً ، كريماً ،
عظيم المال والجاه ، وأنجار جوده وإنفاقه في حاجات الناس كثيرة مستفيضة . وقال ابن
عبد البر : لقد رأيت البدار يوم جنازته من كل ضرب : الأصحاء بناحية والمرضى بناحية ،
وأهل الثنور بجانب ، واليهود والنصارى كذلك ؛ ما شهدت مثل جنازته ولا حكى أحد
أنه شهد مثلها لعظيم إحسانه للناس ، ومكانه من قلوبهم وسعيه في حوائجهم .

وتوفي عن عمر مديد في شهر رمضان ٢٩٨ . وجعل صاحب الجذوة وفاته سنة ٢٩٧ .
(جنوة المنقبس ٢٦٨ وتاريخ العلماء والرواة ٢٥٠ وترتيب المدارك لقاضي عياض ٤٢٢)

نقل ابن دحية في «المطرب» قصة جرت لابن عبد ربه مع الكاتب أبي حفص عمر بن قلهيل في التسمع على جاريته «مصابيع» : قال : اتفق أن اجتاز أحمد بن عبد ربه بدار أبي حفص عشية ففرغ سمعته من طيب الغناء ما استوقفه وأراد الدنو من الباب . وقيل إنه صب عليه من العياية ماء بل ثيابه ، فلم يردعه ذلك عن طلب الازدياد في السماع . فعدل إلى مسجد بقرب الدار . وسأل المعلم فيه أن يأتيه بدواة وبتياض يكتب فيه فجاءه بهما . فكتب إلى ابن قلهيل رقعة فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم . طاولتك النعم وطالت بك . إنا لمسنا سماء لحنك (فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نعد منها مقاعد للسمع . فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) [٧٢ / ٩ - ٨ « الجن »] وفي ذلك أقول :

(من البسيط)

يا مَنْ يَتَضَنُّ بصوتِ الطائيرِ الفريدِ	ما كنتُ أحسبُ هذا الفنَّ من أحدِ
لو أنَّ أسمعَ أهلِ الأرضِ قاطبةً	أصغتُ إلى الصَّوتِ لم ينقصْ ولم يزدِ
لولا اتقائي شهاباً منك يُحرقُنِي	بناره لاسترقتُ السمعَ مِن بُعدِ
لو كانَ زريابُ حيّاً ثمَّ أسمعتهُ	لماتَ من حسدٍ أو ذابَ من كمدِ !
فلا تضنَّ على أذني تفرطُها	صوتاً يحولُ مجالَ الرُّوحِ في الجسدِ
أما الشرابُ فلأنِّي لستُ أقربُهُ	ولستُ آتيكُ إلا كيسرني بيدي !

وسأل البواب فأوصل الرقعة إليه . فلما قرأها وعرف موضعه جاء حافياً إليه . وسأله الحضور ففعل . ثم قال مازحاً : هاتِ الكسرة التي زعمت أنك ترفع عنا مؤونتها ! فقال : أنصرفُ فأتيك بها ! فأقام أحمد عنده أياماً .

وقال :

(من البسيط)

الجسمُ في بَلَدٍ والروحُ في بَلَدٍ يا وحشةَ الروحِ بلِ يا غربةَ الجسدِ
إن تَبَلَ عَيْنَانِي لِي يَا مَنْ كَلَفْتُ بِهِ من رَحْمَةٍ فَهُمَا سَهْمَاكَ فِي كَبْدِي !

وقال في ذكر الموت :

(من البسيط)

مَنْ لِي إِذَا جَدْتُ^(١) بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَكَانَ مَنِّي نَحْوَ الْمَوْتِ قَيْدًا يَدِ^(٢)
وَالدَّمَغُ يَهْمِلُ وَالْأَنْفَاسُ صَاعِدَةً فَالِدَمْعُ فِي صَبَبٍ وَالنَّفْسُ فِي صُعْدِ
ذَلِكَ الْقَضَاءِ الَّذِي لَا شَيْءَ يَصْرِفُهُ حَتَّى يَفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ !

وقال في معنى فضل المال :

(من البسيط)

دَمْنِي أَصْنُ حَرًّا وَجَهِي عَنْ إِذَاتِهِ وَإِنْ تَغَرَّبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَلَدِي
قَالُوا : نَأَيْتَ عَنِ الْإِخْوَانِ قُلْتُ لَهُمْ : مَا لِي أَخٌ غَيْرَ مَا تُطْوِي عَلَيْهِ يَدِي !

(١) أي : جدت بنفسي وروحي ، وفي الأساس : يجود بنفسه أي يوق .

(٢) القيد : القيد .

قال صاحب « المقتبس » : (وكان فتح قلعة أيوب ^(١) عظيم الشأن لما اجتمع عليه من خضد لشوكة التجيبين ^(٢) ؛ إذ كانت فيهم عدة من فرسان سرقسطة الممدتين لهم ؛ إلى الظفر بخمس مئة فارس من المشركين في دار الإسلام أودوا فلم يتنج منهم إلا الخمسون المؤمنون من عرضهم ؛ إلى افتتاح سبعة وثلاثين حصناً من حصون الجلالة في مقام واحد ؛ وانقطاع المارق محمد بن هاشم زعيم الجماعة من الانتصار بأوليائه المشركين . وما جرى عليه من نقص عدده ؛ وقطع عدده . وانفراده بسالفته .

وقد ذكرت الشعراء هذا الفتح في تهنة الناصر لدين الله به . منوهة

(١) قلعة أيوب : مدينة بالثغر الأعلى من أعمال سرقسطة . قال ياقوت (٤ : ٣٩٠) « وهي مدينة جليلة القدر بالأندلس بالثغر من أعمال سرقسطة ، بقعتها كثيرة الأشجار والأنهار والمزارع ، ولها عدة حصون ، وبالقرب منها مدينة لبله . وفي الرواس المطار (٤٦٩) هي مدينة رائعة البقعة ، حصينة شديدة المنعة كثيرة الأشجار والثمار . ونص البكري في المسالك والممالك (٩١) على أنها مدينة محدثة . وذكر العلوي في ترصيع الأخبار (٤١) أنه لما ثار بنو قسي على الإمام محمد المرواني بثغر سرقسطة ثوه بأولاد عبد العزيز التجيبي وبني لهم قلعة أيوب ، وأدخل فيها جماعة - ساهم - ونصبهم لمحاربة بني قسي . فهذا مبتدأ ظهور مدينة قلعة أيوب وظهور أسرة التجيبين في سرقسطة والثغر الأعلى .

(٢) التجيبون النازلون بالثغر من ثوار العرب المتزين ، كان بنو مروان استملوهم على عدد من عواصم الثغر فأذعنوا للطاعة - وخرجوا عنها أحياناً - وتحالف بعضهم مع دول النصارى لعدم استقلالهم بحكم سرقسطة وعدد من مدن الثغر . والغزوة التي ذكرها ابن حبان ، وساق شعر ابن عبد ربه فيها ، كانت سنة ٣٢٥ ، رأسها الناصر لدين الله بنفسه بعد أن خالف مطرف ابن المنذر صاحب قلعة أيوب ، وغيره من أهل الثغر ، وتأثروا مع رقيير (راميرو) صاحب ليون وطولمة (تيودا) صاحبة نبرة (نازار) . وأثمرت غزوة الناصر سقوط سرقسطة واستسلام محمد بن هاشم صاحبها ، ومقتل مطرف ودخول قلعة أيوب ، وكسر حلف النصارى (ساهم مشركين) وخضوع طولمة للأمبر المرواني .

(ترصيع الأخبار العلوي : ٥٠ - ٥٢ ، وجبهة أنساب العرب : ٤٣٠ وفيه إن الذي قتل يوم فتح قلعة أيوب الناصر وكان صاحبها يومذاك هو سليمان الشيرازي) .
وقارن بالدراسات الحديثة : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ٢٥٨ ، ودولة الإسلام في الأندلس - العصر الأول - القسم الثاني : ٣٨٥ .

بمقداره فأكثر وجوّدت . فمن أحسن أقوالها فيه قول زعيمهم أحمد بن محمد بن عبد ربه في شعر أوله :

(من البسيط)

يا ابن الخلائف والصيّد الصناديد ألفت إليك الرعايا بالمتقاليد

وقال في الناصر لدين الله يوم البيعة له في قرطبة :

(من البسيط)

يا منّ عليه رداءُ البأس والجُودِ من جود كفّك يجري الماءُ في العودِ
لما تطلعت في يوم الخميس لنا والناسُ حولك في عيدٍ بلا عيدٍ !
وبادرتُ نحوكَ الأبصارُ واكتحلتُ بحسن يوسف في محراب داود !

(٥) بنو حجاج أسرة عربية من نخم . ودار الخمين بالأندلس - كما في جبهة أنساب العرب : ٤٢٤ - شلونة والجزيرة وإشبيلية . و « إبراهيم بن حجاج » (٢٣٨ - ٢٩٨) كان من جملة أهل المعاهد والتصرف في الصوائف ، واستعمله الأمير عبد الله على كورة إشبيلية . وكان متمسكاً بالطاعة مع ابن خلدون - وكانوا تقاسموا البلد بينهم - ثم قتلها في خبر طويل . وأظهر إبراهيم الخلعان واستبد أيضاً بقرمونة وعاقده ابن حفصون . ثم عاود الطاعة والتزم قطعاً من الجباية . قال ابن حيان : ولم يجاهر بالمعصية في أكثر أوقاته . وكان ابن حجاج قد اتخذ كاتباً وقاضياً وصاحب مدينة يقيم الحدود ، وكانت له بإشبيلية طرز يطرز فيها اسمه كفضل السلطان . وكان جواداً مدحاً يرقح الثناء ويعطي الشراء . . . وكان أهل قرطبة ممرضين لسيده فيكرمهم ويصلهم . وقد انتجبه أحمد بن عبد ربه من بين جميع ثوار ذلك الوقت بالأندلس فمرف قدره وأفضل عليه . وتوفي ابن حجاج سنة ٣٩٨ ، بعد أن كان غسن من الأمير التسجيل لابنه عبد الرحمن على إشبيلية منذ سنة ٢٩٢ .

(رصيع الأخبار ١٠٢ ، المقتبس (ملطية) : ١١ ، البيان المغرب ٢ : ١٢٥ ،
المعبر (تاريخ ابن خلدون) ٤ : ٢٩٤ ، الحلة السراء ٢ : ٣٧٦ أعمال الأعمال (قسم
الأندلس) ٢٤ . المسالك والممالك للبكري ١١٢) .

وقال يمدح إبراهيم بن حجاج . والي إشبيلية (١) .

(من الوافر)

كتابُ الشوقِ يطويهِ الفؤادُ	ومن فيضِ الدَّموعِ له مِدادُ
تخطَّ يَدُ البُكاءِ به سَطُوراً	على كَبدي ويُعليها السُّهادُ
وكيفَ وبِ فؤادٍ مستطيرٌ	لَمَنُ لا يَستطيرُ له فؤادُ
أَمِنَ يَمَنُ يكونُ الجُودُ خِلَواً	وإبراهيمُ حاتمُها الجَوادُ
زيارَتُهُ لَمَن يأتِيهِ حَاجٌ	ومِدحتُهُ رِباطُ أو جِهادُ
ومالي في التخلُّفِ عنه عُنُرٌ	ولي في الأرضِ راحلةٌ وزادُ !

وقال في صفة الخمر :

(من الوافر)

مورَّدةٌ إذا دارتُ ثلاثاً	يُفتَحُ وزدُّها ورَّدَ الخُذودُ
فإن مَزِجتُ نَحالَ الشمسِ فيها	مطبَّقةٌ على قَسمَرِ السُّعُودِ

وقال في معنى « الشباب » :

(من الوافر)

شبابي ! كيف صرْتَ إلى نَقادٍ . وبُدِّلْتَ البياضَ من السَّوادِ ؟

(١) إشبيلية : من أشهر مدن الأندلس ، وهي مدينة قديمة كانت دار ملكة دهرأ طريلا . وتقع على النهر الأعظم - نهر الوادي الكبير - اشتهرت بخصبها وخصراتها . وكانت ذات أهمية خاصة في التاريخ الأندلسي لقربها من العاصمة « قرطبة » ولوفرة جباياتها وملكاتها . كانت إشبيلية كورة كبيرة أيام الدولة المروانية ، وتمركز بها بنو عباد الخميون مدة دول الطوائف فاحتلوا عاصمة . ثم آلت إلى ولاية أيام المرابطين ، وحظيت بمكانة خاصة أيام الموحدين . وسقطت المدينة سنة ١٤٦٦ .

انظر (ترصيع الأخبار ٩٥ والروض المطار ٥٩ معجم البلدان ١ : ١٩٥) .

وما أبقى الخواديثُ منك إلا
فراقك عرفَ الأحزانَ قلبي
فيا لتعيم عيشي قد تولّى
كأنني منك لم أرتع برّبع
سقى ذلك الثرى وبل الثريّا
فكم لي من غليل فيه خاف
زمان كان فيه الرشدُ غيباً
يُقبّلني بدّل من قبُول
وأجنبه فبُعْظني قياداً
كما أبتت من القمر الدّآدي^(١)
وفرّق بين جفني والرقادِ
ويا لتغليل حزن مستفادِ
ولم أرتد به أحلى مرادِ
وغادى نبتته صوب الغوادي
وكم لي من عويل فيه بادي
وكان الغيُّ فيه من الرّشادِ
ويُسعدني بوصل من سعادِ
ويتجنّبني فأعطيه قيادي !

وقال في معنى « الصبر والإقدام في الحرب » ، وذكر القائد أحمد بن محمد بن أبي عبادة :

(من الوافر)

مقبيلك تحت أظلال المعوالي
تبخر في قميص من دِلاص^(٢)
كأنك للحروب رضيعٌ تُدي
غدتك بكل داهية نّاد^(٣)
وبيتك فوق صّهوات الجيادِ
وترفل في رداء من نجادِ

(١) الدّآدي والواحدة : دأداة . ثلاث ليال من آخر الشهر قبل ليالي المحاق ، وقيل إنها هي .
(٢) هو القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة ، أحد أعوان الناصر لدين الله ، وقائد من قادة فيالق جيشه . أقره الناصر على منزله من القيادة بعد بيعته الناس له ، ووجهه في عدد كبير من المهمات الحربية واعتمد عليه ، وكان شجاعاً ، مظفراً .

(انظر : تاريخ الناصر : ٤٣ ، والبيان المغرب ٢ : ١٥٨ والعبر ٤ : ١٤١) .

(٢) الدلاص : الدرع « يقال للواحد والجمع » .

(٣) النّاد : الداهية .

فكم هذا التمني للمتأبسا وكم هذا التجلُّد للجيلاد
لئن عُرِفَ الجهادُ بكلِّ عامٍ فإنك طولَ دهرِكَ في جهادٍ
وإنك حينَ أبْتَيتَ بكلِّ سَعْدٍ كمثِلَ الرُّوحِ آبَ إلى الفؤادِ
رأبنا السيفَ مُرْتَدِّياً بِسَيْفٍ وعابِئنا الجَوَادَ على الجَوَادِ !

وقال في معنى « الشيب » :

(من الوافر)

سوادُ المرءِ تُنفِدهُ الليالي وإنْ كانتَ تصيرُ إلى نَفَادٍ
فأسودُّهُ يصيرُ إلى بَيَاضٍ وأبيضُّهُ يعودُ إلى سَوَادٍ !

وقال :

(من الوافر)

سرى طيفُ الحبيبِ على البعادِ ليُصلِحَ بينَ عَيْنِي والرُّقادِ
فباتَ إلى الصُّباحِ يَدِي وسادُ ليوجِّئَنِي كما يَدُهُ وسادي
بنفسي مَن أعادَ إليَّ نَفْسي وردُّ إلى جَوَانِحِي فؤادي
خيالٌ زارني لما رآني عَدَّتْني عن زيارتي عَوادي
يُواصلُني على المِجْرَانِ مِنْهُ ويُدْنِيني على طولِ البعادِ !

وقال في رثاء ولده :

(من الكامل)

بليتَ عِظامُكَ والأسى يتجدَّدُ والصبرُ ينفَدُ والبُكا لا يَنفَدُ
بما غائباً لا يَرتجى لإيابه وليقائِهِ - دونَ القيامةِ - مَرَعِدُ

ما كان أحسن مَلَحِدًا ضُمَّنْتُهُ لو كان ضمَّ أباك ذاك المَلَحِدُ
بالأسر أسلو عنك لا بتجلدي هيهات ! أين من الحزين تجلُدُ !

وقال في رثاء ابنه أيضاً :

(من الكامل)

قَصَدَ المنونُ لهُ فَمَاتَ فقِيْداً ومضى على صرف الخطوبِ حَمِيداً
بأبي وأُمِّي هالِكاً أفردتُـهُ قد كانَ في كلِّ العلومِ فَرِيداً
سودُ المقابرِ أصبحتُ بيضاً بهِ وغدتُ لهُ بيضُ الضمائرِ سُوداً
لم نُرْزَهِ - - لما رُزِّتْنَا - وحدهُ وإن استقلَّ بهِ المنونُ وحيداً !
لكنْ رُزِّتْنَا القاسمَ بنَ عَمِّدٍ في فضلِهِ والأسودَ بنَ يَزِيدِ (١)
وابنَ المباركِ في الرِّقائِ مُخْبِراً وابنَ المسيَّبِ في الحديثِ سَعِيداً (٢)
والأخفشَينِ فصاحةً وبلاغةً (٣) والأعشَيينِ روايةً ونَشِيداً (٤)
كانَ الوهيُّ إذا أردتُ وصيةً والمستفادَ إذا طلبتُ مُفِيداً
ولِي حفيظاً في الأذمةِ حافِظاً ومضى ودوداً في الوريِّ مودوداً
ما كانَ مثلي في الرزيةِ والداً ظفِرتُ يداهُ بِمثلي مَولوداً
حتَّى إذا بَدَأَ السَّوابِقَ في العُلا والعلمِ ضُمِّنَ شِلْوُهُ مَلَحوداً

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (٣٧ - ١٠٧) أحد الفقهاء السبعة في المدينة المنورة .

والأسود بن يزيد (٧٥ - ١٠٠) تابعي فقيه من الحفاظ ، كان عالم الكوفة في عصره .

(٢) عبد الله بن المبارك (١١٨ - ١٨١) شيخ الإسلام الحافظ المجاهد . وأول من صنف في الجهاد .

وسعيد بن المسيب (١٣ - ٩٤) سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة في المدينة .

(٣) الأخفش لقب لأكثر من عالم .

(٤) أشهر من لقب بالأعشى أمش قيس : ميمون بن قيس (ت : ٨٧) وله ديوان شعر .

يا مَنْ يَفْتَدُ فِي الْبُكَاءِ ، وَلِنَهَا
تَأْبَى الْقُلُوبُ الْمُسْتَكِينَةُ لِلْأَسَى
إِنَّ الَّذِي بَادَ السَّرُورُ بِمَوْتِهِ
الآنَ لَمَّا أَنْ حَوِيَتْ مَسَائِرًا
وَرَأَيْتُ فِيكَ مِّنَ الصَّلَاحِ شَمَائِلًا
أَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا الْحَمَامَةُ طَرَبَتْ
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ أَرْنَ^(١) بِبِدْعَةٍ
لَجَعَلْتُ يَوْمَكَ فِي الْمَنَاحِ مَاتِمًا

ما كَانَ يَسْمَعُ فِي أَثْبُكَا تَمْنِيْدَا
مِنْ أَنْ تَكُونَ حِجَارَةً وَحْدِيْدَا !
ما كَانَ حُزْنِي بَعْدَهُ لِيَسْبِيْدَا
أَعَيْتُ عَدُوًّا فِي الْوَرَى وَحَسُوْدَا
وَمِنَ السَّمَاخِ دَلَالًا وشُهُوْدَا
وَجَهَ الصَّبَاحِ وَغَرَّدَتْ تَغْرِيدَا
مِمَّا يُعَدُّدُهُ الْوَرَى تَعْدِيْدَا
وَجَعَلْتُ يَوْمَكَ فِي الْمُوَالِدِ عِيْدَا !

وقال :

(من الكامل)

يُنَبِّيكَ أَتْلَكَ لَمْ تَجِدْ وَجَدِي
نَامَ الْحَلِيُّ عَنِ الشَّجِيِّ بِهِ
كُنْتَ الشِّفَاءَ فَصُرْتَ لِي سَقَمًا

ما خَدَّتِ الْعَبْرَاتُ مِنْ خَدِّي
وَجِئْنَا الْمَلُولُ وَلِجَّ فِي الصَّدِّ
أَبْدًا تَتَوَقُّ إِلَى هَوَى مُرْدِي

وقال :

(من مجزوء الكامل)

يا مَنْ تَجَلَّدُ نَلَزَمَا
سَلَطُ نُهَاكَ عَلَى هَوَا

نِ أَمَّا زَمَانُكَ مِنْكَ أَجْلَدُ
كَ وَعُدَّةُ يَوْمِكَ لَيْسَ مِنْ غَدُ

(١) زَنَ فُلَانًا وَأَزَنَهُ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ : ظَنَنَهُ بِهِ .

(*) أورد ابن عبد ربه هذه القطعة في فصل عقده للترغيب في حسن النماء واصطناع المروف ،
وقد لها بقوله « ومن قولنا في هذا المعنى وغيره من مكارم الأخلاق » .

إِنَّ الْحَيَاةَ مَزَارِعٌ فَاذْرَعْ بِهَا مَا شِئْتَ تَحْصُدْ
 وَالنَّاسُ لَا يَبْقَى سِوَى آثَارِهِمْ وَالْعَيْنُ تُفْقَدُ
 أَوْ مَا سَمِعْتَ بِمَنْ مَضَى هَذَا يُذَمُّ وَذَاكَ يُحْمَدُ
 وَالْمَالُ إِنْ أَصْلَحْتَهُ يَصْلُحْ وَإِنْ أَفْسَدْتَ يَفْسُدْ
 وَالْعِلْمُ مَا وَعَتِ الصَّدُورُ وَلَيْسَ مَا فِي الْكُتُبِ يَخْلُدُ

وقال :

(من الرجز)

قَلْبٌ يَلْتَوِعَاتِ الْهَوَى مَعْمُودٌ حَيٌّ كَمَيْتٍ ، حَاضِرٌ مَفْقُودٌ
 مَا ذُقْتُ طَعْمَ الْمَوْتِ فِي كَأْسِ الْأَسَى جَنَى سَقْتِيهِ الظُّبَاءُ الْغَيْدُ
 مَنْ ذَا يُدَاوِي الْقَلْبَ مِنْ دَاءِ الْهَوَى إِذْ لَا دَوَاءَ لِلْهَوَى مَوْجُودٌ ؟ !
 أَمْ كَيْفَ أَسْلَوْ غَادَةً ، مَا حُبُّهَا إِلَّا قَضَاءٌ مَا لَهُ مَرْدُودٌ
 الْقَلْبُ مِنْهَا مُسْتَرْيَعٌ سَالِمٌ وَالْقَلْبُ مِنِّي جَاهِدٌ مَجْهُودٌ

وقال :

(من مجزوء الرمل)

يَا قَتِيلًا مِنْ يَدِهِ مَيْتًا مِنْ كَمَدِهِ
 قَدَحْتُ لِلشَّوْقِ نَارًا عَيْنُهُ فِي كَبِيدِهِ
 هَائِمٌ يَبْكِي عَمَلِيهِ رَحْمَةً ذُو حَسَدِهِ
 كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِيهِ مُسْتَعِيدٌ مِنْ غَدِهِ
 « قَلْبُهُ عِنْدَ الشَّرِيَّةِ بَائِنٌ عَنِ جَسَدِهِ »

وقال في البكاء من خشية الله تعالى :

(من السريع)

مَدَامِيعٌ قَدْ خَدَّ دَتْ فِي الْخُدُودِ
وَمَعَشَرٌ أَوْعَدَهُمْ رَبُّهُمْ
فَنَهُمُ عُكُوفٌ فِي مَحَارِيبِهِمْ
قَدْ كَادَ أَنْ يُعْشِبَ مِنْ دَمْعِهِمْ
وأعینٌ مَكْنُحُولَةٌ بِالْمُجُودِ
فَبَادِرُوا خَشِيَةَ ذَلِكَ الْوَعِيدِ
يَبْكُونَ مِنْ خَوْفِ عِقَابِ الْمَجِيدِ
مَا قَابَلْتُ أَعْيُنَهُمْ فِي السَّجُودِ !
وقال في رثاء ولده :

(من المنسرح)

وَكَبِيدًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِيدِي
مَا مَاتَ حَيٌّ لِمَيِّتٍ أَسْفَا
يَا رَحِمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدِّئَا
وَنَوْرِي ظُلْمَةَ الْقُبُورِ عَمَلِي
مَنْ كَانَ خَلِوًا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ^(١)
يَا مَوْتَ يُحْيِي لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ
يَا مَوْتَ لَوْ أَقْلَتْ عَصْرَتَهُ
يَا مَوْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ
أَوْ كُنْتَ رَاخِيَةً فِي الْعَنَانِ لَهُ
أَيُّ حَسَامٍ سَلَبَتْ رَوْنَقَهُ
وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعَتْ مِنْ قَدَمِ
يَا قَمْرًا أَجْحَفَ الْخُسُوفِ بِهِ
وَحَرَّقَتْهَا لَوَاعِيجُ الْكَتَمِ
أَعْذَرُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
دَفَنْتُ فِيهِ حُشَّاشَتِي بِيَدِي
مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدٍ
وَطَيَّبَ الرُّوحَ ضَاهِرَ الْخَسَدِ
لَيْسَ بِزُمَيْلَةٍ وَلَا نَكِدٍ^(٢)
يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكْتَهُ لَفَدَّ
لَكَانَ لَا شَكَّ بِيضَةِ الْبَلَدِ^(٣)
حَازَ الْعُلَا وَاحْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ
وَأَيُّ رُوحٍ سَلَلَتْ مِنْ جَسَدٍ
وَأَيُّ كَفٍّ أَزَلَتْ مِنْ عَضُدٍ
قَبْلَ بُلُوغِ السَّوَاءِ فِي الْعَدَدِ^(٤)

(١) باق فلان : جاء بالشر ، والبائقة مفرد البوائق : الشر والظلم .

(٢) الزميلة : الجبان الضعيف . ورجل نكد : شوم عسر .

(٣) بيضة البلد : واسعه الذي يجتمع إليه ، ويقبل قوله .

(٤) السواء : الوسط . يريد ليلة أربع عشرة .

أَيُّ حَشًّا لَمْ تَذْبْ لَهُ أَسْفَاً وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجْدْ ؟
 لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلَدَ فَجُمْتُ بِالصَّبْرِ مِنْهُ وَاجْتَلَدَ
 لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًّا لَحَقَ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي
 يَا لَوْعَةً مَا يَزَالُ لَا عِجْبُهَا يَقْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَبِيدِي
 وَقَالَ فِي فَتْحِ قَرْمُونَةَ وَالظَّفَرِ بَابِنِ سَوَادَةَ مِنْ قَصِيدَةِ أَوْهَا (٥) :

(من المنسرح)

أَمَّا الْهَدَى فَاسْتَقَامَ مِنْ أَوْدِهِ (١)
 وَانْتَعَشَ الدِّينُ بَعْدَ عَشْرَتِهِ
 وَزُلْزِلَ الْكُفْرُ مِنْ قَوَاعِيدِهِ
 وَجُبَّ رَأْسُ النِّفَاقِ مِنْ كَتَدِهِ (٢)
 بَفَتْحِ قَرْمُونَةَ (٣) الَّتِي سَبَقَتْ
 وَمَدَّ أَطْنَابَهُ عَلَى عَمَدِهِ
 وَاتَّصَلَتْ كَفُّهُ عَلَى عَضْدِهِ
 مَا عَدَّ كَفُّ الْخِلَافِ مِنْ عَدْدِهِ

(٥) فِي سَنَةِ ٣٠١ خَرَجَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ فِي غَزْوَةٍ إِلَى كُورَةِ رِيهِ وَالْجَزِيرَةِ وَقَرْمُونَةَ - وَهِيَ الثَّانِيَّةُ مِنْ غَزَوَاتِهِ - فَحَارَبَ الْمَعَانِدِينَ وَاسْتَنْزَلَ الْمُسْتَأْمِنِينَ وَضَبَطَ النَّوَاحِي ، « حَتَّى أَوْفَى عَلَى مَدِينَةِ قَرْمُونَةَ ، وَكَانَ حَبِيبُ بْنُ سَوَادَةَ قَدْ أَظْهَرَ الْخِلَافَ ، فَتَازَلَتْ جِيُوشُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحُوصَرُهَا بِهَا عَشْرِينَ يَوْمًا حَتَّى عَضَّتْ النِّكَابَةَ ، وَأَخَذَتْ بِمَخْنَقِهَا الْمَحَاصِرَةَ ثُمَّ اسْتَأْمَنَ فَأَمَّنَ » . وَأَهْلُهُ النَّاصِرُ حَتَّى انْتَقَلَ بِمَالِهِ وَأَهْلِهِ إِلَى قَرْطَبَةِ . (أَخْبَارُ الْغَزْوَةِ فِي تَارِيخِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ : ١٢ ، وَالْمُقْتَبَسُ « مَخْطُوطَةُ الرِّبَاطِ » : ١٦٥ ، وَالْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ٢ : ١٦٤ - ١٦٥) . وَذَكَرَ صَاحِبُ الْبَيَانِ وَالْمَغْرِبِ الْحَادِثَةَ « ٢ : ١٣١ » وَسَمَّى الْمَخَالَفَ بِقَرْمُونَةَ (حَبِيبُ بْنُ عَمْرِ بْنِ سَوَادَةَ) وَقَالَ إِنَّهُ كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَالْيَا مِنْ قَبْلِ السُّلْطَانِ ، ثُمَّ خَالَفَ ، حَتَّى حَاصَرَهُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ وَاسْتَنْزَلَهُ .

(١) الْأَوْدُ : الْأَعْوِجَاجُ . (٢) الْكَتْدُ : بِمَجْتَمَعِ الْكَتَطِينِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْفَرَسِ .
 (٣) قَرْمُونَةُ قَالَ فِي الرُّرُضِ الْمَطَارِ (٤٦١) : مَدِينَةٌ فِي الشَّرْقِ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ ، بَيْنَهُمَا عَشْرُونَ مِيلًا ، تَقَعُ فِي سَفْحِ جَبَلٍ عَلَيْهَا سُورٌ حِجَارَةٌ وَجَنَابَتُهَا مُمْتَنِعَةٌ عَلَى الْمُحَارِبِينَ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ . وَبِقَبْلِ قَرْمُونَةَ لَحْمٌ عَرِيفٌ حِمَالٌ لَزْرَجٍ فِيهِ قُرَى كَثِيرَةٌ ذَاتُ مِيَاهٍ غَزِيرَةٍ وَعِيُونَ وَأَثَارٌ . قُلْتُ وَلَا تَزَالُ « قَرْمُونَةُ » تَعْبِقُ بِالْأَرَبِجِ الْعَرَبِيِّ فِي آثَارِهَا وَطَابِعِهَا . وَأَوَّلُ مَا يَلْفَتُ زَائِرُهَا الْعَرَبِيَّ وَيَأْسِرُ قَلْبَهُ مَنَارَةُ مَسْجِدِ قَرْمُونَةَ الْبَاقِيَةِ ، وَهِيَ تُشَبِّهُ مَنَارَةَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِقَرْطَبَةِ وَتَتَرَبَّعُ عَلَى الطَّرَازِ الْأَمْوِيِّ .

بِئْسَ أُسْتَى أُمِيَّةٍ حَسَبًا وَخَيْرِهِمْ رَافِدًا لِمُرْتَفِدِهِ
 إِمَامٌ عَدْلٍ عَلَى رَعِيَّتَيْهِ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِهِ
 أَحْيَى لَنَا الْعَدْلَ بَعْدَ مَيِّتِهِ وَرَدَّ رُوحَ الْحَيَاةِ فِي جَسَدِهِ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ يَتَزَيَّدُ تَكْرُمَةً وَيَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنْ مَدَى أَمَدِهِ
 فَأَمْسُهُ دُونَ يَوْمِهِ كَرَمًا وَيَوْمُهُ فِي السَّمَاحِ دُونَ غَدِهِ
 اللَّهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ مَلِكٍ لَا بَسَّ ثَوْبِ السَّمَاحِ مَعْتَقَدِهِ

وقال :

• (من المنسرح)

عَاضَتْ بِوَصْلِ صَدَا تُرِيدُ قَتْلِي عَمْدَا
 لَمَّا رَأَتْني فَسَرَدَا أَبْكِي وَأَلْقِي جَهْدَا
 قَالَتْ وَأَبْدَتْ دُرًّا « وَيَلْمُ سَعْدٍ سَعْدَا »^(١)

وقال • بمناسبة مبايعة أهل الأندلس الأمير عبد الرحمن الناصر (٢) :

(*) من المنسرح المنهوك (المكسوف) .

(١) من كلام أم سعد بن معاذ لما مات ابنها سعد من جراحة أصابته يوم الختل . وهو من شواهد العروض « انظر المعيار ٦٨ والوافي ١٤٨ والاقناع ٥٧ » . وقرأها في شرح التحفة : ردأ .
 (*) أورد ابن عبد ربه أسماء خلفاء بني أمية في الأندلس وتواليهم في نسق ، وقال في الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد « ثم ولي الملك القبر الأزهر ، الأسد الفخضر ، الميمون الذقبة ، المحمود الغريبة . سيد الخلفاء ، وأنجب النجباء عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين ؛ صبيحة هلال ربيع الأول سنة ثلاث مئة ، فقلت فيه : « البيتان الأولان » . . . وهي عدة أبيات .

(٢) قال الإمام ابن حزم فيه « هو المسمى بالخلافة وإمرة المؤمنين دون جميع من تقدم من أسلافه وتلقب بالناصر لدين الله . واتصلت ولايته خمسين سنة وستة أشهر ، واستول على الأندلس وكثير من بلاد البربر - بالمغرب - استيلاء لم يستوله أحد من سلفه بالأندلس » الجمهرة ١٠٠ .

(من المجتث)

بدا اهللال جديداً والملك غضر جديداً
يا نعمة الله زبيدي ما كان فيك مزيد
[إن كان للصوم فطر] فأنت للساهر عيد
..... صرف بتدر تساولته السعود
إمام عدا علبه تاجان : بأس وجود
يوم الخميس تبدى لنا الهلال السعيد
فكل يوم خميس يكون للناس عيد !

وقال :

(من الخفيف)

يا غليلاً كالنار في كبدي واغتراب الفؤاد عن جسدي
وجفونا تنري الدموع أمي وتبيع الرقاد بالسهد
ليت من شفتي هواه رأي زفرات الهوى على كبدي
عادة نازح ملتها وكلتني بلوعة الكمد
« رب تحرق من دونها قلداف » ما به غير الجين من أحد^(١)

(١) استشهد بالأبيات في (شرح تحفة الخليل) : ٢٦٣ .

حَرْفُ الذَّالِّ

وقال :

(من المديد)

ذكرتُ من طيزنا باذ^(١) فقُرى الكرخِ ببغدادِ
قهوةٌ لَيْتَ بِبَاذِقَةٍ لا ولا يتع ولا داذي^(٢)
مرةٌ يتهذي الحليمُ بها بأبي ذلكَ مَنْ هاذي^(٣)
فهى أستاذُ الشرابِ بنا والمعاني دابُ أستاذي !

(١) موضع بين الكوفة والقادسية . قال في معجم البلدان : وكانت من أئمة المواضع محفوفة بالكروم والشجر والمناات والمعاصر وكانت أحد المواضع المقصودة للبهو والبطالة . . . ولأهل الخلاعة فيها أخبار يطول ذكرها . ولأبي نواس :

بطيزنا باذ كرم ما مررت به إلا تعجبت من يشرب الماء !

(٢) البلق : الخمر الاحمر ، والبيع : نبيذ العسل . والداذي في القليوبس شراب النفاق . وفي شرحه : هو الخمر ، وهو على صيغة المنسوب وليس ينسب .

(٣) كذا في المسامير « مرة » . قلت ولعلها « مرة » بلزاي وهي الخمر اللذيذة الطعم .

جَرَفُ الرّاءِ

[وفي سنة ٢٠٢] ولد الحكم بن الناصر لدين الله أمير أولاده الذي اختاره من جماعتهم ، وولاه عهده ، فورث سلطانه بعده ، وتسمى بالمستنصر بالله . ويكنى أبا الماسي . وكانت ولادته بقصر قرطبة يوم الجمعة حين النداء لصلاتها وانبعث الخطيب في المنطبة غرة رجب من هذه السنة ، فنوه والده الناصر لدين الله بولادته ، وأوسع الإنفاق على عقيته ، واقرب طبقات الناس إليه بالتهنئة إليه . واستنشرت شعراؤهم في التبشير بطلوعه ، فقال في ذلك أحمد بن محمد بن عبد ربه :

(من الطويل)

مِلانُ نِماءُ المِجدُ واختارَهُ الفَخْرُ	تَلَقَّتْ بِهِ شَمْسُ وَأُنْجِبَهُ بَدْرُ
على وجنّيه سِيما المِكارِمِ والعِلا	فَضَاءَتْ بِهِ الأَمالُ وإِنتَهَجَ الشُّعْرُ
سِلاةُ أَملاكٍ ، رَبِيبُ خِلائِفِ	أَكُنْهُمْ بَحْرُ . ونائِلُهُم غَمْرُ
بِدا لِنِصْلاةِ الظُّهْرِ نَجْمَ مِكارِمِ	تَعَفُّ بِهِ العِليا وَيَكُنْفه الفِخْرُ
نِساءُ إلى العِلياءِ خَيْرُ خَلِيفَةِ	تَتَبَّهُ بِهِ الدُّنيا وَيَزْهِي بِهِ القِصْرُ
كَذاك بِطِيبِ الفَرْعِ إنْ طابَ نَجْرُهُ	وما طابَ فَرْعٌ لا يَطِيبُ لَهُ نَجْرُ ^(١)

(١) "نجر والنجار (بالنون المشددة المضمومة ، والمكسورة) : الأمل .

فلا زال متحفوفاً بأكناف نعمة
هتيفاً إمام المسلمين عطيفة
فيا من كساه الله تاج خلافة
ومن كاد يندي (١) الخيزران بكفه
.....
..... الذي لاح
..... كفى بحمله

يطير له ذكر ويسمى به قدراً
حبائك بها رب له الحمد والشكر
ومن جوده قطر إذا أعدم القطر
ويتنبت في أطرافه الورق الحضر
..... العمر
فجرت نحوه الأنجم الزهر
..... جرى الدهر (٢)

وقال « في طأمل أصيب به » :

(من الطويل)

على مثلها من فتجة خانتني الصبر
ولي كبد مشطورة في يد الأسى
يقولون لي صبر فؤادك بعده
فربخ من الحمر الحواصل ما اكتسى
إذا قلت : أسلو عنه هاجت بلابل
وأنظر حولي لا أرى غير قبيره
أفرخ جنان الخلد طيرت بمنهجتي

فراق حبيب دون أوتيه الحشر
فتحت الثرى شطراً وفوق الثرى شطر
فقلت لهم : مالي فؤاد ولا صبر !
من الریش حتى ضمه الموت والقبر
يحددها فكر يحدده ذكر
كان جميع الأرض عندي له قبر
وليس سوى قعر الضربح له وكر

(*) كذا في المطبوع . ولعلها « إذا أعدم القطر » .

(١) في كتاب « تاريخ الناصر لدين الله » ص ٤٩ : يدي . ورجعت أن أراها « بندي » بجزاء
المعنى ، وسياق البيت ، وأظن المحقق صحف في قراءة الكلمة .

(٢) هذا هو الباقي من الأبيات الثلاثة في المخطوطة المعتمدة .

(**) ساق ابن عبد ربه القصيدة بعد بيتين ذكرهما لأعرابي ، وهما :

بني لئن ضنت جفون بماثها لقد قرحت مني عليك جفون
دفنت بكفي بعض نفسي فأصبحت والنفس منها دائن ودين

نقل ابن حبان في المقتبس - في أخبار الأمير محمد بن عبد الرحمن -
ما ذكره الرازي من عنايته بالبنيان والعمران : وأسهب في ذكر «منية
كنتش» (١) . قال :

ولأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه في وصف منية كنتش هذه
لأول انبعاثه في قول الشعر قصيدة طويلة مستحسنة أولها :

(من الطويل)

إلى منية زهراء شيدت لأزهرها	ألياً على قصر الحليفة فانظروا
فتحبه يبغي إليها لتخبرها	مزوقة تستودع النجم سرها
لها الزهرة الحمراء في الجومغرا (٢)	هي الزهرة البيضاء في الأرض البست
لمبهرها لو أنه كان أبصرها	بود وداداً كل عضو ومفصل
بدا الصبح من أعرافه الشم مسفرا	بناء إذا ما الليل حل قناعه
إذا أكثروا في وصفه كان أكثرا	تعالى علواً فات عن كل واصف
تلبس وجه الشمس ثوباً معصفرا	تري المنية البيضاء في كل شارق
كبا نوره من نورها فتسترا	إذا سدت سترأ على كل كوكب
على الجوّ كان القصر في الشمس أعذرا	فإن عدرت شمس الضحى في نجومها
به أو رأيت عينك أحسن منظرا ؟	ودونك فانظر هل ترى من تفاوت

:

(١) قال الرازي إن «كنتش» ضيعة كانت للأمير محمد بأسفل قرطبة لغريبها ، فأمر فاختط
بها المنية التي شهرت بـ «منية كنتش» بحكمة الصنعة، رائدة الحسن ، واتخذها موطناً من مواطن
مسرته ، واستدعى شعراء آبائه لوصف منيته هذه ، والثناء على حسن استنباطها . ومن قال
فيها الشاعر الجود مؤمن بن سعيد ، وابن عبد ربه .

(٢) المنفر - والمنفرة والنفارة - زرد من اللوع يلبس تحت القلنسوة أو حلق يتقنع بها المتسلح .

تضارعُ	تدفقتُ	تدفق	السنورا (١)
تَرى السُّوسَنَ المُنَادَ بينَ رِياضِها	تأزُّرنَ	تأزرنَ	من ذاكَ المَلَأَ المزعفرا
توشحنَ من هذا اليمانيِّ مُثلما	على مفرقِ الأرواحِ مسكاً وعنبراً	ولُحمتها من فاقعِ اللّونِ أصفرا (٢)	
بموشيةٍ يُهدي إليها نَسِيمُها	فُصوصٌ من الباقوتِ كُلتنِ جَوهراً	بجَنَّةٍ دُنيا رائحاً ومبَكِّراً	
سِداوتُها من ناصعِ اللّونِ أبيضِ	ولا زلتُ أكسوكَ الشَّاءَ المُحِبِّراً		
تُلاحظُ لحظاً من عَيُّونِ كأنَّها			
تفكُّهَ أَمينَ اللهِ وابنَ أَمينِهِ			
إمامَ الهدى لا زلتَ في ظلِّ حَبْرَةٍ			

وله في غرض التشبيب ؛ وخرج إلى حسن التعليل :

(من الطويل)

جَمالٌ يَفوتُ الوهمَ في غايَةِ الفِكرِ	وطرفٌ إذا ما فاهَ يَنطقُ بالسَّحَرِ
ووجهٌ أَعارَ البدرَ حُلَّةَ حاسِدِ	فمنه الذي يَسودُّ في صَفحةِ البَدْرِ

وقال في باب التنصل والاعتذار :

(من الطويل)

عَذِيرِي من طول البكا لوعةُ الأسى	وليس لمن لا يقبلُ العذرَ من عَذْرِ
-----------------------------------	------------------------------------

(١) هذا ما بقي من البيت في الأصل . والسنور : لبوس من قد كالدرع أو جملة السلاح .
(٢) السدى - بفتح السين - من الثوب خلاف الحمة ، وهو ما يمد طولاً في النسيج : الواحدة سداة . والجمع أسداء وأسدية . ولم أجد (السداة) . وأبيض وأصفرا من الأصل .

وقال :

(من المديد)

زادني لومك إصرارا إن لي في الحب أنصارا
طار قلبي من هوى رشأ لو دنا للقلب ما طارا
خذ بكفتي لا أمت غرقا إن بحر الحب قد فارا !
أنضجت نار الهوى كبدي ودُموعي تُطفئ النارا
« رب نار بيت أرمقها تقضم الهندي والغارا »^(١)

قال الحميدي في جذوة المقتبس : ومما أنشدني أبو محمد علي بن أحمد
ابن حزم من شعر ابن عبد ربّه ، وأخبرني أنّ بعض من كان يالفه أزمع
على الرّحيل في غداة ذكرها . فأتت السماء في تلك الغداة بمطر جود
حال بينه وبين الرّحيل ، فكتب إليه أبو عمر :

(من البسيط)

ملا ابتكرت لبيبي أنت مبكر مبهات يابى عليك الله والقدر
ما زلت أبكي حذار البين ملتهفا حتى رثي لي فيك الريح والمطر
يا برّدة من حيا مزن على كبد نيرانها بغليل الشوق تستعير
آليت ألا أرى شمساً ولا قمرأ حتى أراك فانت الشمس والقمر !

(١) البيت لمدي بن زيد العبادي (الأغاني - دار الكتب ٢ : ١٤٧) وهو من أبيات العروص
(الميار في أوزان الأشعار : ٣٩) .

قال الحميدي « ولأحمد بن عبد ربه أشعار كثيرة جداً سمّاها المحصّات وذلك أنه نقّض كل قطعة قالها في الصبا والغزل بقطعة في المواعظ والزهد . تحصّها بها كالتوبة منها والندم عليها . ومن ذلك قطعة تحمّس بها القطعة المذكورة أولاً ، وهي : »

(من البسيط)

يا عاجزاً ليس يعفو حين يقتدير	ولا يقصّي له من عبثه وطر
عابن بقلبك إن العين غافلة	عن الحقيقة واعلم أنها ستتر
سوداء تزفر من غيظ إذا سعرت	للظالمين فلا تبقي ولا تذر
إن الذين اشتروا دنيا بأخيرة	وشقوة بنعيم ساء ما تجرّوا
يا من تلهى وشيب الرأس يتدبه	ماذا الذي بعد شيب الرأس تنتفر؟!
لو أتم يكن لك غير الموت موعظة	لكان فيه عن اللذات مزّدر
أنت المقول له ما قلت مبتدئاً	« هلاً ابتكرت لبيّن أنت مبتكر »!

وأنشد في باب « الأدب في العيادة » :

(من البسيط)

لاغروا إن نال منك السقم والضرر	قد تكسف الشمس لابل يخسف القمر
يا غرة القمر الدّاوي غصارتها	فدا لنورك منّي السّمع والبصر
إن يمس جسمك موعوكاً بصالية	فهكذا يوعك الصرعامة المصير ^(١)

(١) الصرعامة والمصر : من أسماء الأمد . وصلي النار وبالنار : قاسى حرها . وصلى الحصى صالية لما فيها من حرارة وسخونة .

أنت الحسام فإن تفلل مضاربه
روح من المجد في جثمان مكرمة
لو غال مجلوده شيء سوى قدر
أكبرت ذاك ولكن غاله القدر
فقبله ما يفتل الصارم الذكور
كأنما الصبح من خلد به ينفجر

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه في مديح الناصر لدين الله ، وقد خرج
متصيلاً أول ركوب كان له في خلافته إلى منية البنتي بشرفي قرطبة غرة
جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاث مئة في شعر له أوله :

(من البسيط)

شمس بدت من حجاب الملك أم قمر
أم برق مدجنة يعشى له البصر ؟

وقال :

(من البسيط)

يا ليلة ليس في ظلماتها نور
حور سقتني بكأس الموت أعيونها
إذا ابتسم فدر الشجر منتظيم
نخل الصبا عنك وانعم بالنهي عملاً
إلا وجوهاً تضاهيها الدنانير
ماذا سقتني تلك الأعين الحور ؟
وإن نطقن فدر اللفظ منشور
فإن خاتمة الأعمال تكفير
فالخير متبع والشر متحذور ،

وقال في وصف الحرب :

(من البسيط)

كم الحم السيف في أبناء ملحة
ما منهم فوق متن الأرض ديار

وأورد النار من أوراخ مارقة
كأنما صال في ثنيبي مفاضته (١)
لما رأى الفتنة العمياء قد رحبت
وأطبقت ظلّم من فوقها ظلّم
قادة الجياد إلى الأعداء سارية
ملمومة تتبارى في ملممة
تروّر عند احتماس الطعن أعينها (٢)
تفوت بالتأّر أقواماً وتدرّكه
فانساب ناصر دين الله بقدمهم
كتائب تتبارى حول رايته
قوم لهم في متكرّ الليل غمّمة
يستقدمون كراديساً مكرّدة
من كل أروع لا يترعى لها جسة
في قسطل من عجاج الحرب مدّه (٣)

كادت تميز من غيظ لها النار
مستأسد حنق الأحشاء هدار
منها على الناس آفاق وأقطار
ما يستضاء بها نور ولا نار
قباً (٤) طواها كطي العصب إضمار (٥)
كأنها لا اعتدال الخلق أنهار (٦)
ومن من فرجات النقع نظار
من آخرين إذا لم يدرك النار (٧)
وحوله من جنود الله أنصار
وجحفل كسواد الليل جرّار
تحت العجاج وإقبال وإدبار
كما تدفع بالتيار تيار (٨)
كأنه مخدر في الغيل مصار (٩)
بين السماء وبين الأرض أستار

- (١) المفاضة : الدرع الواسعة .
(٢) قب ج أقب : الفاسر البطن .
(٣) المصب : الطي الشديد . في القاموس : خسرا الخيل وأخسرهما : خلفها القوات بعد السن .
(٤) الملممة : الكتيبة . وأنهار ج فهر : الحبر ملء الكف .
(٥) احتمس الطمان : هاج واشتد .
(٦) قال في هامش المقد ١ : ١١٣ في شرح البيت « يريد أن تلك الخيل تفوت من طلبها بالنار فلا يقدر عليها لرمعتها ، كما أنها تلتحق من يريد أن يفوتها فتدرك نارها منه » .
(٧) الكراديس (ج كردوسة) جماعات عظيمة من الخيل .
(٨) الأروع : من يمجك بحسه وجهازة منظره أو بشجاعته . والمختر : الأسد الملازم لخبره .
(٩) القسطل : الغبار الساطع في الحرب .

فكم باحتهم من شيلو مطرح
 كأنما رأسه أفلاق حنظلة
 وكم على النهر أوصالا مقسمة
 قد فلتت بصفيح الهند هامهم
 وكأن في غرض الشيب :

(من البسيط)

جاء المشيب على رأس فغيره
 كأنما جن ليل في متفارقه
 لما رأى عندنا الحكام قد جاروا
 فاعتاقه من بياض الصبح إسفار
 وقال :

(من البسيط)

وقال في العود -- عود العناء -- :

(من البسيط)

يا مجلساً أينعت منه أزهيره
 لم يدرك هل بات فيه ناعماً جديلاً
 والعود يخفق مثناه ومثله
 وللحجارة (١) أهزاج إذا نطقت
 ينسبك أوله في الحسن آخره
 أو بات في جنة الفردوس سامره
 والصبح قد غردت فيه عصفاره
 أجابها من طيور البر ناقره

(١) الشلو : الجسد ، والإجار : السطح .

(٢) الجمار : شحم النخلة .

(٣) الحوامي : ميامن الخافر ومياسره . يريد تشبيه هامات القتل بجزور الميسر ، أي إنها مقسمة بين حوافر الخيل (الشرح على موامش النقد ١ : ١١٤) .

(٤) ووردت الإبيات : ٧٠٦٠٠٢ في كتاب التشبيهات لابن الكاشي . قال محققه في معنى العبارة : كذا وأظنه يعني بهذا العنوج ، إلا أن تكون مصحولة من الجهلوة وهي جهلوة ترك بالروسية (آلة موسيقية) .

وَحَنَنْ مِنْ بَيْنِهَا الْكُثْبَانُ عَنْ نَعْمٍ
كَأَنَّمَا الْعُودُ فِيمَا بَيْنَنَا مَلِكٌ
كَأَنَّهُ إِذْ تَمَطَّى وَهِيَ تَتَّبَعُهُ
صَوْتُ رَشِيقٍ وَضَرْبٌ لَوْ يَرَا جَعُهُ
لَوْ كَانَ زُرِّيَابٌ حَيًّا ثُمَّ أُسْبِعَهُ
وَقَالَ :

(من البسيط)

نُورٌ تُولَدُ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ
أَصْلَى فَوَادِي بَلَا ذَنْبٍ جَوَى حَرْقٍ
لَا وَالرَّحِيقِ الْإِصْفَى مِنْ مَرَاشِفِهِ
مَا أَنْصَفَ الْحُبُّ قَلْبِي فِي حُكُومَتِهِ
وَلَهُ :

(من البسيط)

مُسْتَوْحِشًا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ كَأَنَّمَا النَّاسُ أَقْدَاءٌ عَلَى بَصَرِي !

شرح أبو الطاهر التجيبي قطعة لبشار فيها :

يَا رُبَّمَا قَوْلِي لِمَثَلِ الرُّبْمِ قَدْ هَجَرْتُ
يَقْطَعُ فَمَا بِالْهَذَا فِي النَّوْمِ تَنْشَانِي
لَهْفِي عَلَيْهَا وَلَهْفِي مِنْ تَذَكُّرِهَا
يَذْنُرُ تَذَكُّرِهَا مِنِّي وَتَنَانِي !

وقال : وقوله « يذنو تذكرها عني وتناني » معنى متسع منه قول « عدد من
الشعراء ذكرهم » وقول أحمد بن محمد بن عبد ربه :

(١) الإِسْوَادُ (بضم الهمزة وكسرهما) الواحد من أساور الفرس ، وهم الفرسان .

(من البسيط)

ودعت فاركب جناح البين في سفره
من يشتكي البين لا يشكو غوائله
وقال في « المشيب » :

(من الوافر)

نجوم في المعارق ما تغور
كان سواد ليمته ظلام
ألا إن القتير وعيد صدق
نذير الموت أرسلته إلينا
وقلنا للنفس : لعل عمراً
متى كذبت مواعيدها ونحانت
لقد كاد السلو يُميت شوقي
كأنني لم أرق بل لم ترقني
ولم ألق المتى في ظيل هو

وقال في صفة المعترك :

(من الوافر)

ومعترك تهز به المنايا
لوامع يبصر الأعنى سناها
وخافقة الذوائب قد أناقت
ذكر الهند في أيدي ذكور^(١)
ويتعمى دونها طرف البصير
على حمراء ذات شبا طير

(١) القتير : أول الشيب ، أو الشيب مطلقاً .
(٢) في القاموس : الذكرة من الرجل واليف : حذتها .

تَحْمُومٌ حَوْلَهَا عُقْبَانٌ مَوْتٌ تَخْطِفُهُ الْقُلُوبَ مِنَ الصَّدُورِ
 بِيَوْمٍ رَاحَ فِي مِرْبَالٍ لَيْلٍ فَمَا عُرِفَ الْأَصِيلُ مِنَ الْبُكُورِ
 وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَرْنُو فِي قَتَامٍ رُنُوءَ الْبِكْرِ مِنْ بَيْنِ السُّتُورِ !
 فَكَمْ قَصُرَتْ مِنْ عُمُرٍ طَوِيلٍ بِهِ ، وَأُطْلَتْ مِنْ عُمُرٍ قَصِيرٍ

وقال ؛ وأنشدها له ابن الكتاني في باب « الشراب وأوصاف الخمر » :

(من الوافر)

ورادعةٌ بأنفاسٍ العَبِيرِ مُقْتَنَعَةٌ الْمَفَارِقِ بِالْقَتِيرِ^(١)
 جَلَّتْهَا الْكَاسُ فَاطْلَعَتْ عَلَيْنَا طُلُوعَ الْبِكْرِ فِي حُلُلِ الْحَرِيرِ
 كَانَ كُؤُوسَهَا بِحَمَلِنَ مِنْهَا شُمُوساً أَلْبَسَتْ خِلْعَ الْبُدُورِ
 كَانَ مِزَاجُهَا لَمَّا تَجَلَّتْ بِصَحْنٍ زُجَاجِيهَا نَارُ بُنُورِ
 كَانَ أَدِيمُهَا ذَهَبٌ عَلَيْهِ أَكَالِيلٌ مِنْ الدُّرِّ النَّشِيرِ

وقال في « ذِكْرِ الْمَوْتِ » :

(من الوافر)

أَتْلَهُوْا بَيْنَ بَاطِيَةٍ وَزَيْرِ^(٢) وَأَنْتَ مِنَ الْهَلَاكِ عَلَى شَفِيرٍ ؟

-
- (١) الرادعة : المعلمة بالطيب ، و« القتير » : الشيب ، وهو هنا كناية عما يملو الخمر من زبد .
 (٢) الباطية من الزجاج عظيمة تملأ من الشراب وتوضع بين الشرب يخرقون منها ويشربون .
 والزير : الدن ؛ وهو أيضاً نوع من الأوتار . ويتوجه المعنى على الوجهين .

فيا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ يُوَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرٍ
 أَتَخَرَّجُ وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ !
 هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ الْغُرُورِ
 سُلِّسَ كُلُّ مَا جَمَعْتَ مِنْهَا كَعَارِيَةٍ تُرَدُّ إِلَى الْمَعِيرِ
 وَتَعْتَاضُ الْيَقِينُ مِنَ التَّظَنِّي وَدَارَ الْحَقِّ مِنْ دَارِ الْغُرُورِ

وقال في معنى البكاء وأنشدها له ابن الکتاني :

(من الوافر)

إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْ لِحَظَاتِ عَيْنٍ خَلَعْتَ بِهَا الْقُلُوبَ مِنَ الصُّدُورِ
 تَسِيلُ مَعَ الدَّمْعِ جَفُونُ عَيْنِي كَمَا سَالَ الْفُؤَادُ مَعَ الزَّفِيرِ

وقال :

(من الوافر)

سَبِيلُ الْحُبِّ أَوَّلُهُ اغْتِيَارُ وَآخِرُهُ هُمُومٌ وَادُّكَارُ
 وَتَلْقَى الْعَاشِقِينَ لَهُمْ جُؤْمٌ بَرَاهَا الشُّوقُ لَوْ نَفِخُوا لَطَارُوا !

؛

وقال في الشيب :

(من الوافر)

بَدَا وَضَحُ الْمَشِيبِ عَلَى عِذَارِي وَهَلْ لَيْلٌ يَكُونُ بِلَا نَهَارِ

وَأَلْبَسَنِي النُّهَى ثَوْباً جَدِيداً وَجَرَّدَنِي مِنَ الثَّوْبِ الْمُعَارِ
شَرِبْتُ سَوَادَ ذَا بِيَاضٍ هَذَا فَبَدَّلْتُ الْعِمَامَةَ بِالْحِمَارِ
وَمَا بَعْتُ أَهْوَى بَيْعاً بِشَرْطٍ وَلَا اسْتَنْيْتُ فِيهِ بِالْحِيَارِ !

وقال :

(من مجزوء الوافر)

غَزَالَ زَانَهُ الْحَوْرُ وَسَاعَدَ طَرْفَهُ الْقَدَرُ
يُرِيكَ إِذَا بَدَا وَجْهًا حَكَاهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
بَرَاهُ اللَّهُ مِنْ نُسُورٍ فَلَا جِينَ وَلَا بَشَرُ
فَذَاكَ الْمَهْمُ لَا طَلَلُ وَقَفْتُ عَلَيْهِ نَعْتَبِيرُ
« أَهَاجِكَ مَنْزِلُ أَقْوَى وَغَيَّرَ آيَةَ الْغَيَّرِ »

وقال :

(من الكامل)

يَوْمُ الْمُحِبِّ لِيَطُولِهِ شَهْرُ وَالشَّهْرُ يُحْسِبُ أَنَّهُ دَهْرُ
بِأَبِي وَأُمِّي غَادَةٌ فِي خَسَدِهَا سِحْرُ وَبَيِّنَ جُفُونِهَا سِحْرُ
الشَّمْسُ تَحْسِبُ أَنَّهَا شَمْسُ الضُّحَى وَالبَدْرُ يَحْسِبُ أَنَّهَا البَدْرُ

فَسَلِّ الْمَوَى عَنْهَا يَجِيبُ وَإِنْ نَأَتْ فَسَلِّ الْقِفَارَ يَجِيبُكَ الْقَفَرُ
« لَيْسَ الدِّيَارُ بِرَامَتَيْنِ فَتَعَاوِلِ دُرُسْتُ وَغَيْرَ آيَتِهَا الْقَطْرُ »^(١)

وأنشد لنفسه في باب مَنْ مدح أميراً فخيّبه ، قال « سألت بعض موالي
السلطان إطلاق محبوس فتلكأ ، فقلت » :

(من الكامل)

حاشا لمثلِكَ أن يفُكَّ أسيراً أو أن يكونَ من الزَّمانِ مُجيراً
لَبِستُ قَوافي الشَّعرِ فيكَ مَدَارِعاً سُوداً وَصَكَّتْ أَوْجُهَاً وَصُدُوراً^(٢)
هَلَا عَطَفْتَ بِرَحْمَةٍ لَمَّا دَعَتُ وَيَلَاً عَلَيْكَ مَدَائِحِي وَثُبُوراً
لو أنْ لُؤْمُكَ عَادَ جُوداً عَشْرُهُ مَا كَانَ عِنْدَكَ « حَاتِمٌ » مَذْكُوراً !

قال ابن عبد ربّه : « دخلتُ على أبي العباس القائد فأنشدته (الله جرّد
للندی والباس . . .)^(٣) ، ثم سألتُهُ حاجةً فيها بعض الغِلظ ، فتلكأ عليّ ،
فأخذت سحايةً^(٤) من بين يديه ، فوقعَت فيها على البديهة :

(من الكامل)

ما ضَرَّ عِنْدَكَ حاجتي ما ضَرَّها عذراً إذا أعطيتَ نَفْسَكَ قَدَرَهَا

(١) البيت في المعيار : ٥٢ . ذكر البكري (معجم ما استعجم ٢ : ٦٢٨) الموضع الأول في
مادة « رامة » وذكر أنها وردت مثناة في بعض الشعر . قال وهي موضع بالمعيق وراء القرينتين
في طريق البصرة إلى مكة . وقال في « مائل » : ماء لبني أبان بن دارم ، من وراء القرينتين .
(٢) صكه : ضربه شديداً .

(٣) أربعة أبيات مدحية ، انظرها في حرف السين .

(٤) أي قرطاساً .

انظر إلى عرض البلاد وطولها
حاشي لجودك أن يوعر حاجتي
أولست أكرم أهلها وأبرها
ثقتي بجودك سهلت لي وعرها
لا يتجتي حلو المحامد ماجده
حتى يذوق من المطالب مرها

فقضى الحاجة . وسارع إليها .

وقال في عرض صفة الأسد واسترسل إلى وصف غرور عينيه . :

(من الكامل)

ولرب خافقة الذوائب قد غدت
يرمي بها الآفاق كل شرنبث^(١)
معقودة بسلوانه المنصور
كفاه غير مقلّم الأظفور
ليث تطير له القلوب محسافة
من بين هممة له وزفير
وكانما يومي إليك بطرفيه
عن جمرتين يحلمد منقور!

وقال في عرض التشبيه . :

(من الكامل)

حوراء داعبها الهوى في حور
حكمت لواحيظها على المقدور

(٥) ساق ابن عبد ربه الأبيات في معرض وصف الأسد وأنه إنما يوصف بنزور العينين ، كقول
أبي زيد . كأن عينيه نقباوان في سجر . قال ، ومن قولنا في وصف الأسد ما هو أشبه
به من هذا ، وذكر الأبيات .

(١) الشرنبث : الغليظ الكفين .

(٥) قدم ابن عبد ربه للقطعة بقوله بعد إيراد قطع مشابهة « ونظير هذا من قولنا في رقة التشبيب
وحسن التشبيه البديع الذي لا نظير له ، والغريب الذي لم يسبق إليه » الأبيات .

ديوان عبد ربه - ٦

ثانياً : النشر

الرسالة الهزلية

كتبها ابن زيدون على لسان ولادة إلى ابن عبدوس منافسه

في الحب والسياسة (١)

أما بعد (٢) أيها المحاب بعقله ، المورط بمجده (٣) ، البين سقطه (٤) ،

(١) ذكر ابن نمارة الباعث على إنشاء هذه الرسالة وهو أن ابن عبدوس أرسل إلى ولادة « امرأة من جمته نستميلها إليه ، وتذكر لها محاسنه ومناقبه وترغبها في التفرد بمواصلته ، فبلغ ابن زيدون ذلك ، فكتب هذه الرسالة البديعة جواباً له عن لسانها ، تتضمن هذه الغرائب من سب أبي هاجر والنهك به والهجاء له ... وأرسلها إليه عقب رجوع المرأة ، فبلغت منه كل ميسام ، واشتهر ذكرها في الآفاق ، وأمسك ابن عبدوس عن التمرض لولادة إلى أن انتقل ابن زيدون إلى إشبيلية وتوفي بها ، تغمده الله برحمته وغفر له ، ولم تنه وكرمه ، هذا معنى ما ذكره ابن حبان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين » ؛ راجع قصيدته إلى ابن عبدوس ص ٥٨٢ - ٥٨٦ من الديوان ؛ وفداء مدينا في تحقيق هذه الرسالة على سرح الميرون ونهاية الأرب ح ٧ ص ٢٧١ - ٢٨٠ ؛ والمجموع الأدبية مخطوطة رقم ٧ أدب بدار الكتب .

(٢) هذه العبارة ترد كثيراً في مستهل الخطب والرسائل ، وقد وردت

« مهما يكن بعد » ؛ قال سحبيان :

وقد علمت قيس بن عيلان أنني إذا قلت : « أما بعد » أني خطبها

(٣) الورطة : الهلاك ، ورطه : أوقعه في الورطة فتورط فيها ، وأمسد

الورطة أرض مطمئنة لا طريق فيها ، وربما هلك الواقع فيها .

(٤) البين : الظاهر ، السقط : الرديء ، ومنه سقط المتاع أي رديئه ،

وسقط القول : خطؤه .

الفاحش غَاطَهُ^(١) ، العَاثِرُ فِي ذَيْلِ اغْتِرَارِهِ^(٢) ، الْأَعْمَى عَنْ شَمْسِ نَهَارِهِ ،
 الْمُسَاقِطُ مُتَوَطِّئُ الذُّبَابِ عَلَى الشَّرَابِ ، الْمُتَهَيِّفُ تَهَايُتِ الْفَرَاشِ
 إِلَى الشَّهَابِ^(٣) ، الْفَنَانُ الْعَجِيبُ الْكَذِبِ^(٤) وَمَعْرِفَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ أَضَوِّبُ .
 وَإِنَّكَ رَأَيْتَنِي مُسْتَهْدِيًا - مِنْ صِلَتِي - مَا صَفَرْتَ مِنْهُ أَيْدِي أَمْثَالِكَ^(٥) ،
 مُتَصَدِّيًا - مِنْ خُلُقِي - لِمَا قُرِعَتْ دُونَهُ أَنْوْفُ أَشْكَالِكَ^(٦) ، مُرْسِلًا
 خَالِيَتَكَ مُرْتَادَةً ، مُسْتَعْمِلًا عَشِيْقَتَكَ قَوَادَةً^(٧) ، كَاذِبًا فَذَلِكَ أَنْتَ مَتَنَزِّلُ

(١) الفاحش : ماء عظم قبحه من الأقوال والأفعال ، ومنه الفاحشة : الفعلة
 القبيحة .

(٢) المثور : المسقوط ، الاغترار : الذنبة ؛ ذيل الاغترار : استعارة لطيفة
 كأنه كان يسحب ذيله تبيها وعجبا فتعثر به فسقط .

(٣) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفي شرح الميون والجموعة الأدبية « في
 الشهاب » ؛ التهايت : التزاي مع خفة وطيش ؛ الشهاب : الشعلة من النار .

(٤) فإن العجب أكذب ، الفاء واقعة في جواب « أما بعد » في أول
 الرسالة ؛ العجب : الكبر .

(٥) صلتى : مودتى أو قربى ؛ صفرت : خلت .

(٦) نمدى له : تعرض له ؛ الخلة : الودة أو الصداقة ؛ قُرِعَتْ : ضُيِّرَتْ ؛
 وفي الأمثال « هو الفحل لا يُقْدَمُ سِوَاوِ لَا يَفِرُّ عَنْ أَنْفِهِ » لأن العرب كانت تضرب
 أنف البعير لتصرفه عن لقاح الناقة إذا كان غير كريم ، ثم اختتمل المثل في الكريم
 الذى لا تردُّ خطيته ، ولما بلغ أبا سفيان زواج النبی صلى الله عليه وسلم ابتغته
 أم حبيبة قال : « ذاك الفحل لا يُقْدَمُ أَنْفُهُ » . وفي نهاية الأرب « قرعت فيه »
 « ولعل الأسح » « قُرِعَتْ دُونَهُ أَنْوْفُ أَمْثَالِكَ » لشاكلة كلام أبي سفيان .

(٧) في بعض نسخ شرح الميون « مرسل حليمتك » ، الحليلة : الزوجة ؛ =

عَنْهَا إِلَى ، وَتَخْلَفُ - بَعْدَهَا - عَلَى^(١) :

وَلَسْتَ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالدَّائِلِ^(٢) :

وَلَا يَشْكُ إِلَهًا قَدَمَتَكَ إِذْ لَمْ تَضَنْ بِكَ ، وَمَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَفَرَّ عَنْكَ^(٣) ،
فَإِنَّهَا أَشَدَّرَتْ فِي السَّفَارَةِ لَكَ^(٤) ، وَمَا قَصَّرَتْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ ، زَائِعَةً
أَنَّ الْمَرْوَةَ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ^(٥) ، وَالْإِنْسَانِيَّةُ أَسْمٌ أَنْتَ جِسْمُهُ وَهَيْوَلَاهُ^(٦) ،

== الخلية : المساجبة ؛ الرقاد : طالب السكلا ، ويُسمى به الطالب مطالقا ؛ القوادة :
التي تجمم بين الرجل والمرأة في الحرام ، فأنها تقود كُلاً منهما للآخر .

(١) المعنى : إنك ستصرف عن هذه الخلية إلى وتمتاض عنها بي .

(٢) البيت للمتنبي من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر هجومه على
الخارجي أولها :

إلأم طامعية الماذل ؟ ولا رأى في الحب للماقل

ورواية البيت نقلا عن الديوان « وليس بأول ذي همة ... » ومعناه :
ليس الخارجي بأول صاحب عزيمة دفعت به إلى مالا يناله .

(٣) قَدَمَتَكَ : أَيْ مَشَتْكَ ، تَضَنْ : تَبْغِلُ : مَلَّتْكَ : سَتَيْتَكَ ، وفي المجموعة
الأدبية « وسَلَمَتَكَ إِذْ لَمْ تَمَرْ عَلَيْكَ » .

(٤) أَعْدَر : بَلَغَ مِنَ الْجَهْدِ مَا سَارِبَهُ مَعْذُورًا ؛ السَّفَارَةُ : الشَّيْءُ فِي السَّطْحِ .

(٥) الرُّوءَى : الْإِنْسَانِيَّةُ ، وَالرَّادُ كَالْصِّفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ وَالْمَعْنَى : زَعَمْتُ
فِي حَدِيثِهَا أَنَّ الرُّوءَى تَجَسَّمَتْ فِيكَ .

(٦) الْهَيْوَلَى : الصُّورَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ الَّتِي يُصَبِّ الْجِسْمُ عَلَى مِثَالِهَا ؛ وَقَدْ نَادَى
إِفْلَاطُونُ بِنَظَرِيَةِ الْمُثُلِ Ideality وَخَلَّاصَتِهَا أَنَّ الْأَجْسَامَ الْمَادِيَّةَ تَقْلِيدُ لِلْعَالَمِ الثَّالِي
الْمَعْنَوِيِّ الْأَزَلِيِّ ؛ وَالْمَعْنَى : إِنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ تَجَسَّمَتْ فِيكَ بِمِثَالِهَا وَمِثَالِهَا .

قَاطِعَةً أُنْكَ أَنْفَرَدْتَ بِالْجَمَالِ ، وَأُسْتَأْزَرْتَ بِالسَّكَمَالِ ، وَاسْتَعْمَلَيْتَ فِي مَرَاتِبِ
الْجَلَالِ ، وَاسْتَوَلَيْتَ عَلَى تَحَايِنِ الْخِلَالِ ، حَتَّى خَيَّلْتَ أَنْ يُوسَفَ - عَلَيْهِ
السَّلَامُ - حَاسِنَتِكَ فَخَفَضْتَ مِنْهُ ^(١) ، وَأَنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ رَأَتْكَ فَسَلَّتْ
عَنْهُ ^(٢) ، وَأَنَّ قَارُونَ أَصَابَ بَعْضَ مَا كُنْزَيْكَ ^(٣) وَالنَّطْفَ عَثَرَ عَلَى فَضْلِ
مَا رَكَنْتَ ^(٤) ، وَكَسْرَى حَمَلَ غَاشِيَتِكَ ^(٥) ، وَقَيْصَرَ رَعَى مَا شَيْتَكَ ^(٦) ،

(١) حاسنك : باراك في الحسن ، غفَضْتَ منه : خَفَضْتَ ، وَتَقَعْتَ
من قَدْرِهِ ؛ وَيُوسَفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْجَمَالِ ، وَقَدْ قَالَتْ فِيهِ
عَلِيَّةُ نِسَاءِ مِصْرَ قَدِيمًا « مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ » .
(٢) قصة امرأة العزيز وتدخلها في حُبِّ يوسف عليه السلام - حتى نسبت
مزلتها ومكانة زوجها - مشهورة « راجع سورة يوسف في القرآن الكريم » .
(٣) قارون : من قوم موسى عليه السلام ، وكان يضرب به المثل في الثروة
الطائلة والغنى الفاحش ، فلما اغترَّ بما ملك خسف الله به وبداره الأرض « راجع
قصته في سورة القصص الآيات ٧٦ - ٨٣ » .

(٤) كَانَ النُّطْفُ بْنُ جَبْرِ مَقِيمًا بِالْبَادِيَةِ مَعَ ابْنَيْ ثَمِيمٍ ، فَأَغَارَ مَعَ آخَرَيْنِ عَلَى
قَافِلَةٍ أَرْسَلَهَا عَامِلُ الْيَمَنِ إِلَى كَسْرَى حَافِلَةً بِالثِّيَابِ الْيَمِينَةِ وَالذَّهَبِ وَالنَّسَكِ
وَالْجَوْهَرِ ، وَتَلَّوْا مِنْ بَهَا ؛ وَاسْتَوَلَى النُّطْفُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهَا مِنْ جَلَنَةِ خُرْجَانٍ
مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا مَحْلًى بِالْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ ؛ الْفَضْلُ : بَقِيَّةُ الشَّيْءِ ، الرِّكَزُ وَالرَّكَازُ :
دَفِينٌ مَالٌ الْجَاهِلِيَّةُ ؛ وَفِي الْمَجْمُوعَةِ الْأَدَبِيَّةِ « عَثَرَ عَلَى مَا كُنْزْتَ » .

(٥) فِي الْمَجْمُوعَةِ الْأَدَبِيَّةِ « حَامِلُ غَاشِيَتِكَ » ؛ كَسْرَى : لَقَبٌ لِكُلِّ مَلِكٍ مِنْ
مُلُوكِ الْفَرَسِ ؛ وَإِذَا أُطْلِقَ قَصِيدٌ بِهِ كَسْرَى أَنْوَشِرُوَانُ ، وَقَدْ حَكَّمَ فَارِسُ
فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّادِسِ ، الْفَاشِيَةُ : غَطَاءُ السَّرِجِ أَوْ الْمَقَالَةُ .

(٦) فِي الْمَجْمُوعَةِ الْأَدَبِيَّةِ « رَاجِعِي مَا شَيْتَكَ » قَيْصَرُ : لَقَبٌ لِكُلِّ مَلِكٍ مِنْ
مُلُوكِ الرُّومِ ؛ وَإِذَا أُطْلِقَ قَصِيدٌ بِهِ أَغْطَسُ .

وَالْإِسْكَندَرُ قَتَلَ دَارًا فِي طَاعَتِكَ^(١) ، وَأَرْدَشِيرُ جَاهِدَ مُلُوكَ الطُّوَّانِ
يُخْرِجُهُمْ عَنْ جَمَاعَتِكَ^(٢) ، وَالضُّعَاكُ اسْتَدْعَى مُبَالَامَتَكَ^(٣) ، وَجَذِيمَةُ
الْأُرْشِ تَمَنَّى مُنَادَمَتَكَ^(٤) ، وَشِيرِينَ قَدْ نَافَسَتْ بُورَانَ فَيْكَ^(٥) ، وَبِلَانِيسَ

(١) حارب الإسكندر المقدوني الأكبر ملك الإغريق دارا ملك الفرس
وقتلها واحتل مملكته وضمها إليه .
(٢) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفي مروج الذهب « بخروجهم من طاعتك » ؛
أردشير بن بابك : حارب أمراء بلاد فارس بعد مقتل دارا وارتداد الإغريق
عنهم حتى ضمهم إلى طاعته ، ووحد مملكة فارس تحت عرشه وأسس لها دولة
ودولة من جديد .

(٣) اختلف الرواة في نسب الضعك : فزعم بعضهم أنه من الفراعنة
وقال بعضهم من الفرس وقال آخرون من العرب ؛ واسكنهم جيباً يروون أنه قتل
جشيد الطاغية واستلب ملكه وطني وبحر ويزمرون أنه أول من عسى له ،
وضرب الدرام والدنانير ولبس التاج ووضم المشور ... الخ .

(٤) جذيمة بن مالك بن قهم بن عامر التبوخي ملك الحيرة : يقال إنه أول من
قاد العرب وملك قضاة وكان أرمس فعُبدَ عن هذا الاسم فقليل الأُرش أو
الوضاح ؛ قبل إنه كان ينادم الفرقد بن أنفة منه وكبرا أن ينادم بشرا ، وقبل
كان له نديمان قتلهما في بصرى ، ثم ندم عليهما وبني عليهما الغريين وندم بهما
الفرقد بن ، قال متمم بن نويرة في رثاء أخيه :

وَكُنَّا كَنْدَمَانِي جَذِيمَةَ حَقْبَةٍ مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قَبِيلٍ : إِنْ يَتَمَرَّ

(٥) شيرين : زوجة أرويز بن هرم ملك الفرس ، كانت يتيمة في حجر
رجل من الشعب فأحبها أرويز فتزوجها ورفقها إلى العرش فوفت له حتى قبل
إنها سمحت نفسها بعد وفاته ؛ بوران بنت أرويز : وليت الملك بعد أبيها
وكانت من أجل النساء .

فَأَرَبَتِ الزُّنَاءُ عَائِلَتَكَ (١) وَأَنَّ مَالِكَ بْنَ نويرةٍ إِنَّمَا رَدِفَ نَكَّ (٢) ،
وَعُمُرُو بْنُ جَعْفَرٍ إِنَّمَا رَحَلَ إِلَيْكَ (٣) ، وَكَلْبُ بْنُ رَبِيعَةَ إِنَّمَا حَمَى الْمَرْعَى
بِعِزَّتِكَ (٤) ، وَجَسَّاسًا إِنَّمَا قَتَلَهُ بِأَهْلِكَ (٥) ، وَمُتَاهِلًا إِنَّمَا طَلَبَ تَأْرَهُ

(١) باتيس بنت الحارث ملكة سبأ؛ كانت مشركة هي وقومها ، فسأل الهدد عنها
عليها سليمان عليه السلام ، فتوعددها وقومها بالحرب إن لم تؤمن برسالته ، فوفدت
عليه وآمنت به وتزوجته « راجع فستها في سورة النمل الآيات ٢٠ - ٢٤ » الزباء ؛
بارعة أو ميسونة بنت عمرو بن الطرب ملكت الجريفة بعد أبيها وأخذت بتأريه
من جذيمة الأبرش ملك الحيرة ؛ في المجموعة الأدبية « وباقيس غابت
وشيرين نافست ... » .

(٢) آثرنا رواية المجموعة الأدبية وفي شرح الميرون ونهاية الأرب « أردف
لك » ؛ مالك بن نويرة بن شداد ؛ من فرسان العرب وشجعانهم وذوى الردافة
في الجاهلية ، وأرداف الملوك هم الذين يخلفونهم في القيام بأمر المملكة ، كالوزراء
في الإسلام .

(٣) عمرو بن عتبة بن جعفر ؛ من بني عامر بن صعصعة يعرف بعروة الرجال
لرحلته إلى الملوك ، وكان من ذوى القل والشهامة ، وهو من أرادف الملوك ،
وكان قد تعهد للثمان بن النذر بحماية قافلته من أهل نجد وتهامه فاعتاله البراض
وقامت بسببه حرب الفجار .

(٤) كليب بن ربيعة ؛ زعيم قبيلتي بكر وتغلب ، يقال فيه « أعز من حمى
كليب » ، وكان يحمى مواضع السحاب فلا يرعاها أحد غيره ، وإذا مر بمرعى قذف
فيه جروا يسوى فلا يرعاه أحد .

(٥) جساس بن مرة بن ذهل ؛ صهر كليب قتل كليلاً لأنه قتل باقة لحالة جساس
يا فتى بين إبله .

بِهَيْمَتِكَ^(١) ، وَالسَّمُوءِلَ إِنَّمَا وَفَى عَنْ عَهْدِكَ^(٢) ، وَالْأَخْنَفَ إِنَّمَا أُحْتَبِيَ
فِي بُرْدِكَ^(٣) ، وَحَاتِمًا إِنَّمَا جَادَ بِوَفْرِكَ ، وَلَقِيَ الْأَضْيَافَ بِبِشْرِكَ^(٤) .

(١) مهمل : هو عدى بن ريينة التغلبي أخو كليب ، ظل يطلب نار أخيه
كليب سنوات عديدة ، وأثار حروبا طاحنة بين قبيلتي بكر وتغلب في طلب انثاره ،
وسمى مهمل لأنه أول من همل نسج الشعر أى أرقه .

(٢) السموءل بن عادياء من يهود يثرب : يضرب به المثل في الوفاء ، وسب
ذلك أن امرأ القيس لما خرج في طلب نار أبيه حنجر وذهب إلى ملك الرزم
ليستعين به ، أودع عند السموءل مائة درع وسلاحا أمانة عنده حتى يرجع ، لحفظها
بمحضه الأمان في قباء ، فجاء الحارث بن ظالم ، وطالب السموءل بها وهدده ،
فأبى أن يسلمها له ، وتحصن بمحصنه ، وأخذ الحارث ابنا للسموءل وسأوه على تسليم
ابنه له مقابل السلاح ، فأبى السموءل أن يفدر به هده ، فقتل الحارث ابنه أمانة
وطرحه وانصرف ، فقال السموءل من أبيات :

وَقَيْتُ بِأَدْرَعِ الْكَنْدِيِّ ، إِنْ إِذَا مَا خَانَ أَقْسَامُ وَفَيْتُ

(٣) في شرح الميرون « في بردتك » : وفي المجموعة الأدبية « اخرون
بردك » : الأخنف : هو سخر بن قيس ابن معاوية السمدى يضرب به المثل في
الحلم والسيادة ، وله حكم مشهورة منها : « أَمِيفَ مِنْ نَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْشَبَّكَ مِنْكَ »
منك : أنفق في حق ولا تذكرن خازنا لغيرك ؛ لا راحة لحرد ولا مروة
لكذوب ؛ وقال له رجل لأشتمك شتما يدخل منك في تبرك ، والله
تبرك والله يدخل لأقبري » ، وتوفي بالسكوفة سنة ٦٩ هـ ؛ احتبي في بردتك
اشتمل في كسائك .

(٤) حاتم بن عبد الله الطائي : ممن ضرب به المثل في السماحة والسخاء ، فله
أجواد العرب في الجاهلية ثلاثة : حاتم الطائي ، وهرم بن عثمان ، وكتب بن
وحاتم أشهرهم ؛ وكان كما ذات ابنته للنبي ﷺ : إن أبى كان يفتك العاني ؛ ثم
الجائم وبسكو الماري ، ومن شعره :

أَمَا رَوَيْتَ إِنْ الدَّلَّ غَادَ وَرَأَحَ وَبَقِيَ مِنَ الْمَلِ الْأَخْنَفُ شَرُّ
أَمَا رَوَيْتَ مَا يَنْتَنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَقَى إِذَا حُسِرَجَتْ يَوْمَ مَوْتِي مَصْرُ

وَزَيْدُ بْنُ مَهْمَلٍ إِنَّمَا رَكِبَ بَيْتُكَ ^(١) ، وَالسَّائِكُ بْنُ السَّائِكَةِ إِنَّمَا عَدَا
 قَلَّ رَجُلَيْكَ ^(٢) ، وَعَامِرُ بْنُ مَالِكٍ إِنَّمَا لَاعَبَ الْأَسِنَّةَ بَيْتِكَ ^(٣) ، وَقَيْسُ
 ابْنُ زُهَيْرٍ إِنَّمَا اسْتَمَانَ بِدَهَانِكَ ^(٤) ، وَإِبَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ إِنَّمَا اسْتَضَاءَ بِمِصْبَاحِ

(١) في المجموعة الأدبية « وزيد الخيل » ؛ زيد بن مهمل الطائي من فرسان
 العرب وشعرائها المدودين ، أدرك الإسلام وأسلم وكان يسمى زيد الخيل لكثرة
 خيله ، فسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم زيد الخيل ، يقول : إنه كان طويلاً القامة
 عظيم الخامة ، يركب العرس ورحلاه يحطان في الأرض ؛ وفل له النبي (ص) :
 « إن فيك خمسين محبباً لله ورسوله : الأمانة والخلق » .
 (٢) السائك بن السائكة أحد فئك العرب وصماليكهم في الجاهلية ، وكانت
 الخيل لا تلحقه في العدو .

(٣) عامر بن مالك من بني ميمونة يُسمى ملاعب الأسنة لقول أوس
 بن حجر فيه :

يَلْعَبُ أَطْرَابَ الْأَسِنَّةِ عَامِرٌ فَرَّاحٌ لَهُ حِظُّ السَّكَنَةِ أَجْمِ
 وَقِيلَ لِقَوْلِ حَسَّانَ بْنِ نَعْبٍ — وَقَدَرَاهُ بَيْنَ فَرَسَانِ أَطَاوَرَا بِهِ فَقَانَاهُم — :
 « مَا هَذَا إِلَّا مَلْعَبُ الْأَسِنَّةِ » .

(٤) قيس بن زهير بن جذيمة العبسي شيخ بني عبس ، ثارت الحروب بينه وبين
 حذيفة بن بدر شيخ بني ذبيان بسبب تراءسهما على فرسهما إحس والمبرأ في فصة
 مشهورة ؛ وكان قيس معروفاً بالدهاء وبعد النظر ؛ ولما استطار الشر بسبب هذه
 الحروب نصح قومه بصاح بني عهم ، ومن كلامه يصف نفسه : « إني أمرؤ غبور
 فغور أرف ؛ ولست أخر حتى أبتلى ، ولا أغار حتى أرى ، ولا آف حتى
 أظلم » ومن شعره :

إِذَا أَتَى أَفْرَدَتِ الظُّلَامَةُ لَأْمَرِي دِمَاكَ بِأُخْرَى كَسَمَّيْنَاهَا مَتَفَاقِمِ

فَلَا تَبْدِلِ لِلْأَعْدَاءِ إِلَّا خَشَوْنَةَ فَالِكَ مِنْهُمْ إِنْ تَمَكَّنَ رَاحِمِ

(م — ٤١ ديوان ابن زيدون ورسائله)

ذَكَائِكَ^(١) ، وَسَحْبَانَ إِمَّا تَكَلَّهَ بِلِسَانِكَ^(٢) ، وَعَمَرَو بْنَ الْأَهْمِ
إِمَّا سَحَرَ بِلِسَانِكَ^(٣) ، وَأَنْ الصُّلَحَ - بَيْنَ بَسْكَرٍ وَتَغْلِبَ - تَمْ -

(١) إياس بن معاوية ابن قرة الزني قاضي البصرة زمن عمر بن عبدالعزيز كان مشهوراً بحدة الذكاء وسداد الإجابة ، وله نوادر في القضاء وفي سرعة البديهة مشهورة ، وله أخبار كثيرة مجموعة في كتاب يسمى « زكن إياس » ؛ قيل له يوماً : إن فيك عيوباً : دمامة الشكل ، وإعجابك بما تقول ، وعجلة بالحكم ؛ فقال : أما الدمامة فليس أمرها إليّ ، وأما الإعجاب بالقول أليس يُعجبكم ما أقول ؟ قالوا : بلى ، قال : فأنا أحق بالإعجاب بقولي ، وأما العجلة بالحكم فحكم هذه ؟ - ومبدأ أصابع يده - فقالوا : خمس ، فقال : أعجلتم بالجواب ، فقالوا : كيف نعد ما نعلم ؟ فقال : وأنا كيف أؤخر حكم ما أعلمه ؟ توفي سنة ١٢١ هـ

(٢) سحبان بن زفر بن إياس الوائلي خطيب مصقع يضرب به المثل في البيان واللسن ؛ قال الأصمعي : كان إذا خطب يسيل عرقاً ، ولا يميد كلمة ، ولا يتوقف ولا يتعمد حتى يفرغ ؛ استدعاه معاوية يوماً على غير أهبة وكأفقه الخطابة في وفد خراسان ، فتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ، ما تنحنيج ولا سعل ولا توقف ، ولا ابتداء في معنى تخرج منه وقد بقى عليه منه شيء ؛ لما زالت تلك حاله حتى أشار إليه معاوية بيده ؛ فأشار إليه سحبان : ألا تقطع عليّ كلامي ، فقال معاوية : الصلاة !! قال : هي أمامك ونحن في صلاة وتحميد ووعده ووعيد ، فقال معاوية : أنت أخطب العرب !! فقال سحبان : والمجمل والجن والإنس !! توفي سنة ٥٤ هـ

(٣) عمرو بن سنان الأهم التيمي وفد على النبي ﷺ هو والبرقان بن بدر فأسلما ، فسأل النبي عمرو بن سنان عن البرقان بحضوره ، فقال : مطاع في ناديه ، شديد المارضة في قومه ، مانع لما وراء ظهره ؛ فقال البرقان : يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكنه حسدني ، فقال عمرو : أما والله إن علمت ما قد علمت ، فإنه زمين المروءة أحق الأب لئيم الخلال ضيق العطن ؛ فرأى تعبيره

بِرِسَالَتِكَ^(١) ، وَالْحَمَالَاتِ - بَيْنَ عَبَسٍ وَذُبْيَانَ - أُسْنِدَتْ إِلَى كِفَالَتِكَ^(٢) ،
وَأَنْ أُخْتِيَالَ هَرَمٍ - لِعَلْقَمَةٍ وَعَامِرٍ حَتَّى رَضِيَا - كَانَ ذَاكَ عَنْ إِشَارَتِكَ^(٣) ،

== وَجْهَ النَّبِيِّ ﷺ أَحْمًا اخْتَلَفَ قَوْلُهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَغْضَبَنَّ الْأُمَّارَ ضَيْتُ
قُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ؛ وَلَا غَضَبْتُ قُلْتُ أَفْبَحَ مَا عَلِمْتُ ، فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ
فِي الْأَوَّلِ ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الثَّانِيَةِ ؛ فَقَالَ ﷺ : « إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » تَوَفَّى
عَمْرُو سَنَةَ ٥٧ هـ

(١) فِي الْمَجْمُوعَةِ الْأَدَبِيَّةِ « انْعَامُ » ؛ لَمَّا قَتَلَ جَسَّاسُ بْنُ مَرَّةٍ كَلْبِيًّا نَارَتْ
الْحَرْبُ بَيْنَ قَبِيلَتَيْهِمَا بِكُرٍ وَتَغْلِبٍ وَهَمَّا أَبْنَاءُ عَمُومَةٍ وَأَصْهَارُ ، وَاسْتَمَرَّتِ الْحَرْبُ أَمْدًا
طَوِيلًا حَتَّى بَرَّحَتْ بَنَاتُهُمَا بَيْنَهُمَا ، إِلَى أَنْ تَدَخَّلَ بَيْنَهُمَا الْحَارِثُ بْنُ عَمْرُو بْنِ مَعَاوِيَةَ
مَلِكُ كَنْدَةَ جَدًّا مَرِيًّا الْقَيْسِ ، وَضَمَّ الْقَبِيلَتَيْنِ إِلَى حِسْكِهِمْ وَأَسْلَحَ شَأْنَهُمْ وَكَانَ
الْحَارِثُ مَلِكًا جَلِيلًا رَفِيعَ الْهِمَّةِ وَيَلْقَبُ بِأَكْلِ الْمَرَارِ .

(٢) الْحَمَالَاتُ ؛ جَمْعُ حَمَالَةٍ وَهِيَ النِّبْيَةُ ؛ لَمَّا نَارَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ عَبَسٍ وَذُبْيَانَ
وَأَهْلَكَتِ الْكَثِيرَ مِنْ تَدَخُّلِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَنَانَ بَيْنَهُمَا وَاجْتِهَادِهِ
فِي إِسْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَحَمْلِ الدِّيَاتِ ، وَفِي هَذَا يَقُولُ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى :

تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانَ ، بَعْدَمَا تَفَانَوْا ، وَدَقُّوْا بَيْنَهُمْ عَطَرَ مَنْشَرِيمٍ
وَكَانَتْ الْبِدَ الطَّوْلَى لِلْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو ؛ وَعَاشَ الْحَارِثُ إِلَى أَنْ أُدْرِكَ النَّبِيُّ ﷺ
فَأَسْلَمَ ، وَمِنْ شَعْرِهِ :

كَمْ مِنْ يَدٍ - لَا أُوْدِي حَقَّ نَعْمَتِهَا - عِنْدِي لِمُخْتَبِطِ طَائِرٍ ، وَمِنْ مَشْنَنِ
إِذَا جَاءَ يَسْتَسْقِي إِلَى رَحْلِي لِأَسْمَفِهِ أَلَيْسَ قَدْ ظَنَّنِي خَيْرًا ، وَلَمْ يَرْنِي ؟

(٣) تَفَاخَرُ عَامِرُ بْنُ الطَّائِلِ وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَلَانَةَ فِي الْجَاعِلِيَّةِ ، وَاسْتَطَارَ
بَيْنَهُمَا اللَّجْجُ فَتَنَافَرَا - أَيْ احْتَسَمَا - إِلَى هَرَمِ بْنِ قَطْبَةَ بْنِ سِيَارٍ - لَا ابْنَ
بَشَانَ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ نَبَاتَةَ - عَلَى مِائَةِ مِنَ الْأَبِلِ ، فَأَرْجَاهُمَا عَامَا ، ثُمَّ وَقَدَا عَلَيْهِ =

وَجَوَابُهُ لِمُيَرَّ - وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ أَبِيهِمَا كَانَ يُنْفَرُ ؟ - وَقَعَ عَنْ إِرَادَتِكَ ^(١) ،
وَأَنَّ الْحِجَابَ تَقْلَدٌ وَلَايَةَ الرِّقَاقِ بِجَدِّكَ ^(٢) ، وَتَقْتِيْبَةً فَتَحَّ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ

= ومم كل منهما أشرف قومه، فأنا وأعمامنا، فأرسل سرّاً إلى عامر، فقال له :
يا عامر ما حبستك هذه الأيام إلا لتتصرف عن صاحبك ؛ أتفاخر رجلاً لا تفخر
أنت ولا قومك إلا بآبائه ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال عامر : ناشدتك الله
والرحم ألا تفعل عليّ عاتمة ، فإن كنت ولا بد فاعلاً فسيؤوب بيننا ، قال سأرى ؛
ثم استدعى عاتمة ، وقال له مثل ما قال لعمامر ؛ فناشده أن يسوي بينهما إذا لم يكن
بد ، فلما مثلا بين يديه هما وقومهما قال لهما : يا بني جعفر قد نحوكمنا مندى ، وإيكما
ميش - كرهتني البعير تقيمان ممّا على الأرض ، وكلاكما سيد كريم ، وبهذا حيزا الشر بين
قوسيهما ؛ وانصرفوا راضين ؛

في المجموعة الأدبية « كان من أشارتك » ؛ وفي نهاية الأرب : « لعمامر وعاتمة
حتى رضيا كان عن رأيك »

(١) وفي نهاية الأرب « وقم بمد مشودتك » وفي المجموعة الأدبية « عن أبيهما
ينفر كان عن رأيك » ؛ لما وفد هرم بن قطبة على عمر رضي الله عنه سأله عن
منافرة عامر وعاتمة ، وقال يا أبا عمرو أيهما كنت تنفر ؟ - أي أفتاب - وإن
كان عندك الأفضل منهما ؟ فقال هرم : لو قلت الآن فيهما كلمة أمدت - الحرب
بين الجبين - جذعة ؛ فأعجب عمر بهذه الإجابة وقل : بحق حكمتك العرب ،

(٢) الحجاج بن يوسف النخعي من قادة العرب وخطبائها المدودين ؛ ولما المراق
لهب الملك بن مروان فأخذ الفتن وشتت شمل الخوارج ، ثم قضى على ثورة
ابن الزبير بالحجاز ؛ وكان جباراً قاسياً لا يرحم ، سفكاً للدماء ، وفصيحاً مفوّهاً ؛
قال مالك بن دينار : « والله لربما رأيت الحجاج يتكلم على المنبر ، ويذكر حن
صنمه إلى العراق وسوء صنمهم له ، حتى يحيل إلى أنه مظلوم » الجلد : المخطئ ،
والجلد : الاجتهاد ، وكلاهما صالح للمعنى هنا .

بِيَدِكَ^(١) ، وَالْمُتَلَبُّ أَوْ مَن شَوَّكَةً الْأَزَارِقَةُ بِأَيْدِكَ ، وَفَرَّقَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ
بِكَيْدِكَ^(٢) ، وَأَنَّ هِرْمِسَ أَشْطَى بِلَيْتُوسَ مَا أَخَذَ مِنْكَ^(٣) ، وَأَفْلَاطُونَ

(١) قتيبة بن مسلم الباهلي كان والياً على خراسان من قبل عبد الملك بن مروان؛
وهو الذي فتح بلاد ما وراء النهر «أى ما هو شرق نهر جيحون بخراسان»
وهو قائد شجاع أبلى في حروبه أحسن البلاء، وكان دمث الأخلاق لبياً؛ وأقام
بالشرق والياً عليه ثلاث عشرة سنة «تتيم الرتبة مرهوب الجانب» وتوفي
سنة ٩٦ هـ

(٢) في شرح البيهقي «أوهى ... بيدك»؛ الأيدى: القوة؛ الهلب بن أبي سفرة
الأزدى أمير كبير طائر الذكر شجاع؛ أمره مصعب بن الزبير على البصرة، ثم ولاء
عبد الله بن الزبير خراسان، ثم أقره عبد الملك بن مروان ليتم ما بدأه من حرب
الأزارقة فشقت شملهم؛ ومن كلامه: «عجبت أن يشتري العبيد بماله، ولا
يشتري الأحرار بأفضاله» وكان يقال فيه: «ساد الأحنف بحمله»، وبالك بن مسمع
بحبه لمسيرته، وعتيبة بدهائه، وساد الأماب بهذه الحلال جميعها» وتوفي سنة ٨٣ هـ.
والأزارقة طائفة من الخوارج تنسب إلى نافع بن عبد الله بن الأزرق، ثاروا بالبصرة
والأهواز وغيرها من بلاد فارس، وعظمت شوكتهم وكثرت فتكاتهم بالمسلمين
حتى خضعت شوكتهم للمسلمين بمكائده حيناً، وحروبه أحياناً؛ وهم ينادون
ب«كفر علي» عليه السلام بسبب قبوله التحكيم، ويكفرون من يعمدون عن القتال
في صفهم، ويردون أن يرتكب الكبيرة خارج عن الإسلام مخلصاً في الشر،
فيكفرون كل من لا يدين بأرائهم من المسلمين.

(٣) في المجموعة الأدبية «أعطى جالينوس»؛ تروى الأساطير العربية أن
هرمس — عند قوم من العابثة — نبي مرسل وأنه إدريس عليه السلام، ويؤمنون
بأن الأهرام ويستندون إليه شرائعهم، ويؤمنون أن بلينوس ورثه في النبوة
وكان قد أخذ عنه العلوم والأسرار.

أوردَ على أرسططاليس ما نقلَ عنك^(١) ، وبطلينوس مَوَى الأُسْطُرْلَابَ
بِتَدْيِيرِكَ ، وَصَوَّرَ السَّكْرَةَ عَلَى تَقْدِيرِكَ^(٢) وَأَيُّرَاطَ عِلْمِ الْعِيَالِ وَالْأَمْرَاضِ
بِلُطْفِ حِكْمِكَ^(٣) ، وَجَالِينُوسَ عَرَفَ طَبَائِصَ الْحَشَائِشِ بِدِقَّةِ حِكْمِكَ^(٤) ،
وَكَلَامَهُ قُلْدَكَ فِي الْعِلَاجِ ، وَسَأَلَكَ عَنِ الْمَزَاجِ^(٥) ، وَأَسْتَوْصَفَكَ تَرْكِيبَ

(١) في نهاية الأرب « ما حدث عنك » ؛ الفلاطون من أشهر فلاسفة الإغريق
القدماء وهو صاحب نظرية النبل Ideality وخلاصتها أن الأجسام المادية تالفة
في الحقيقة لعالم مثالي معنوي سُبَّغَتْ على صورته . وهو تلميذ سقراط وأستاذ
أرسطو أشهر فلاسفة الإغريق وأعظمهم ، وقد تدارس فلاسفة العرب فلسفة أرسطو
وافتننوا بها وشرحوها وسموه العلم الأول .

(٢) في المجموعة الأدبية « وضع السكر » ؛ بطليموس صاحب كتاب الجسطل
الكبير من أشهر علماء الفلك والجغرافيا عند الإغريق ، ونفى القفطي في كتابه
إخبار العلماء بأخبار الحكماء أنه من أسرة البطالسة التي حكمت مصر كما وم
كثيرون ؛ الأُسْطُرْلَاب : آلة لرصد النجوم ؛ والسكر هنا السكر الأرضية .

(٣) ذكر القفطي أن أبقراط كان في زمن أردشير ملك الفرس ، وهو الذي بث
سناعة الطب في الناس بتوارثونها بالتلقين ولا يكتبون فيها شيئا

(٤) جالينوس من أشهر أطباء الإغريق ويسمى خانم الأطباء والمعلمين ؛ وظلت
آراؤه سائدة عند الإغريق ثم العرب قرونا متتالية ويقولون : « إنه عرف خواص
الحشائش ، وقاس أمزجة الأبدان ، ودرس طبائنها ، وشرح الأعضاء » ، ووضع
الكتب النفيسة في الطب ؛ وفي نهاية الأرب « بدقة نظرك » .

(٥) المزاج : واحد الأمزجة وهي الطبائيم ، ويقسمها القدماء إلى تسعة
أقسام : واحدة معتدلة وثمانية غير معتدلة ؛ منها أربعة مفردة هي : الحار والبارد
والرطب واليابس ، وأربعة أمزجة هي : الدم والمرة الصفراء والمرة السوداء
والبلغم ... الخ ما قالوه .

الأعضاء ، واستشارك في الداء والدواء ، وأنتك نهجت لأبي معشر طريق
القضاء^(١) ، وأظهرت جابر بن حيان على مير السكيباء^(٢) ، وأعطيت
النظام أصلاً أدراك به الخلق^(٣) ، وجعلت للسكندري رثماً استخرج به

(١) في المجموعة الأدبية « نهجت لأبي معشر »؛ أبو معشر جعفر بن محمد
ابن عمر الباهلي النجمي المشهور ، كان من أصحاب الحديث ، ثم درس الحساب
والهندسة ، ثم أحكام النجوم فمهر فيها حتى اعتبروه عالم أهل الإسلام بأحكام
النجوم ؛ وله فيها مصنفات عديدة ، وكان من أعلم الناس بسير الفرس وأخبار
سائر الأجناس ؛ ولكنه كان مدمناً على الشراب ، وكان بصييه الصريح شهورياً ؛ توفي
سنة ٢٧٢ هـ ؛ نهج الطريق ؛ أبانه وأوضحه ؛ القضاء ؛ المراد به هنا حكم النجمين
وتأثير الكواكب ؛ وهو يشير بهذا إلى قول أبي تمام — ساخراً من النجمين
حديثهم عن تأثير النجوم — :

يقضون بالأمر عنها ، وهي غائلة ما دار في فلك منها وفي قطب

(٢) ذكر ابن نيانة في شرحه لهذه الرسالة أنه لم يقف له على ترجمة صحيحة
في كتاب يعتمد عليه ، ولوراجم الفهرست لابن النديم وطبقات الأهم لابن ساعد
الأندلسي لوجد له فيها ترجمة مرجزة ، وهما كتابان يعتمد عليهما ؛ وهو أبو موسى
جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالعوفي من أشهر مؤلفي العلوم عند
العرب ، وقد بلغت تصانيفه زهاء خمسمائة كتاب ، بقي منها ؛ كتاب أسرار
الكيمياء ، وأصول الكيمياء ، وعلم الهيئة ، ومجموعة رسائل في نحو ألف
بفحة ، وكأها مطبوعة ؛ وكان من أصحاب جعفر الصادق ثم اتصل بالبرامكة
لأنه طلع إلى جعفر بن يحيى البرمكي ، وتوفي سنة ١٦١ هـ .

(٣) إبراهيم بن سيار بن هاني البصري النظام من شيوخ المعتزلة وأئمتهم ؛
لكن آية في الذكاء وقوة الجلد ، ومن آرائه ؛ أن الله خلق العالم دفعة واحدة ،
لمكنه أكن بعضه في بعض ؛ وأن في قدرة البشر أن يأتوا بمثل القرآن إلا أن =

الدُّقَائِقُ^(١) ، وَنُ صِنَاعَةُ الْأَلْحَانِ اخْتِرَانُكَ ، وَتَأْيِيفُ الْأَوْتَارِ
(وَالْأَنْقَارِ) تَوَالِيدُكَ وَابْتِدَائُكَ^(٢) ، وَأَنْ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى بَارِي
أَقْلَائِكَ^(٣) ، وَهَبِلَ بْنُ هَارُونَ مُدَوِّنُ كَلَائِكَ^(٤) وَتَعَمَّرُوا بْنُ بَرِّ

== الله تعالى صرف أذهانهم عن محاسنه ، وأن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على
الشروع . توفي سنة ٢٣٠ هـ وقيل سنة ٢٣٦ هـ

(١) يعقوب بن إسحق السكندی من أبناء الولاة والحكام ، وجدّه
الأشعث بن قيس من الصحابة ؛ سماء القدماء فيلسوف العرب ، وله مصنّفات
عديدة في العلوم الفلسفية تهاجز الحسین ، توفي سنة ٢٥٥ هـ على الأرجح .

(٢) لم ترد كلمة (الأنقار) في نهاية الأرب ؛ وفي المجموعة الأدبية « الأوتار
والأنغام » ؛ وينسب العرب إلى بطليموس أنه أول من أورد لها كتاباً سماه
كتاب الاحزون الثمانية ، الأنقار : آلات الطرب .

(٣) عبد الحميد بن يحيى بن سعيد المامري كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء
الأمرين بالشرق من أشهر الكتاب الحميديين ، ضرب به النزل في البلاغة ، وقيل
فيه : بُدِئت الكتابة بعبد الحميد ؛ وروى أنه كتب خطاباً إلى أبي مسلم الخراساني
ليعرّفه من الدعوة العباسية ، فخشى أبو مسلم تأثير الخطاب فيه فلم يقرأه وأحرقه ،
وكتب على قصاصة باقية منه :

عما السيفُ أسطارَ البلاغة ، وانتعَى عليكُ ليوثُ الغاب من كل جانب
وقد ابتدع للكتاب مناهج تبووها من بعده ، وكان إبراهيم بن جيلة
يكتب خطأ رديئاً فقل له عبد الحميد : أطل جلفة قلبك وأسمتها وحرف فـعـك
يصلح خطك . ولعل هذا ما أشار إليه ابن زيدون ؛ وغال وفيّاً لمروان
حتى قتله العباسيون سنة ١٣٢ هـ

(٤) سهل بن هرون أشهر بالبلاغة والحكمة ، قدمه الفضل بن سهل الدأون
فأعجب ببلاغته وجمله كاتباً على خزانة الحكمة ، وكان شعوبياً يتمصب على ==

مُسْتَمْلِكٌ^(١) ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ مُسْتَفْتِيكَ^(٢) ، وَأَنَّكَ الَّذِي أَقَامَ الْبَرَامِينَ ،
وَوَضَعَ الْقَوَانِينَ^(٣) ، وَحَدَّ الْمَاهِيَةَ^(٤) ، وَبَيَّنَ الْكَيْفِيَّةَ وَالْكَيْمِيَّةَ^(٥) ، وَنَظَرَ
فِي الْجَوْهَرِ وَالْمَرَضِ^(٦) ، وَتَمَيَّزَ الصَّحَّةَ مِنَ الْمَرَضِ ، وَفَكَ الْمَعْمَى^(٧)

== العرب ، وألف كتباً عارض بها كتب الأوائل حتى قيل فيه « يزر جهر
الإسلام » وقد نقل عنه الجاحظ كثيراً من آثاره ؛ توفي سنة ٢١٥ هـ .

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ شيخ كتاب العربية وإمام الفصحاء
والتسكامين ألف في شتى الفنون من أدب ودين وحيوان ونبات وفلسفة ..
وخرب به النمل فقل : « مما فضّل الله به أمة محمد عليه السلام على غيرها من
الأمم : عمر بن الخطاب في سياسته ، والحسن البصري في علمه ، والجاحظ في بياحه »
ومن أعظم كتبه الباقية الخالدة : البيان والتبيين ، والبخلاء ، والحيوان . توفي
سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) مالك بن أنس أحد الأئمة الأربعة وإمام دار الهجرة وصاحب كتاب
الروا ، خرب به النمل في العلم والورع فقل « لا يغنى ومالك بالدين » ومن
كلامه : إذا ترك العالم قول « لا أدرى » أصيبت مقاتله ؛ ليس العلم بكثرة
الرواية ، وإنما هو نور يقذفه الله في القلب ؛ توفي سنة ١٨٩ هـ .

(٣) البراهين : الأدلة ؛ القوانين : الصور الكلية التي تتعرف بها أحكام
مجهزياتها .

(٤) الماهية : الصورة الذهنية للشيء في الفكر ؛ الكيفية : التركيب
والتكوين ؛ الكمية : الهجوم والأقدار .

(٥) الجوهر : الجسم أو الطبيعة أو الأصل ؛ والمرض : الصفات الطارئة
بالأحوال المتعاقبة .

(٦) في نهاية الأرب والمجموعة الأدبية « وبين الصحة .. » ؛ المعشى : اللغز
المرحوز من تمثيت الشيء إذا أخفيته ، ومعشى الأمر : التبس .

وَفَصَلَ بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْمُسَمَّى^(١) ، وَضَرَبَ وَقَسَمَ^(٢) ، وَعَدَّلَ وَقَوَّمَ^(٣) ، وَصَنَّفَ
الْأَسْمَاءَ وَالْأَفْعَالَ ، وَتَوَبَّ الظَّرْفَ وَالْحَالَ ، وَبَنَى وَأَعْرَبَ ، وَنَفَى وَتَعَجَّبَ ،
وَوَصَلَ وَقَطَعَ ، وَتَنَّى وَجَمَعَ ، وَأَظْهَرَ وَأَضْمَرَ ، وَأَسْتَفْهَمَ وَأَخْبَرَ^(٤) ، وَأَهْمَلَ
وَقَيَّدَ^(٥) ، وَأَرْسَلَ وَأَسْنَدَ^(٥) ، وَبَنَتْ وَنَظَرَ ، وَتَصَنَّفَحَ الْأَذْيَانَ ، وَرَجَّحَ

(١) الاسم : المسمًى الذى يتميز به كل كائن ، والمسمى هو الذات التى يطلق
عليها هذا الاسم ؛ وللملاسة والتسكين أبحاث كثيرة فى هل الاسم هو المسمى
أو غيره .

(٢) فى سرح العيون «وصرف وقسم» ، وعقب عليها ابن نباتة بأنه لم يدرك
المعنى المطلوب ؛ وقد آثرنا رواية نهاية الأرب ، ومعناها أنه أنقن الحساب من
ضرب الأعداد وقسمتها . وعدل وقوم ذكر ابن نباتة أيضاً أنه لم يفهم المقصود
منها ، ولعل المعنى : إنه وازن بين الأشياء وأدرك قيمة كل منها أى إنه دقيق
النظر بارع التمييز خبير فى تقدير ما يقع عليه نظره .

(٣) الأسماء والأفعال ، والظروف والأحوال ، والبناء والإعراب ، والبنى
والتعجب ، وهمزتا الوصل والقطع ، والإفراد والثنية والجمع ، وإظهار الضمير
وإظهاره ، كلها اصطلاحات نحوية وصرفية لها أبواب وأحكام معرونة فى كتب
النحو والصرف ، أما الخبر والاستفهام (أو الخبر والإنشاء) فهما من اصطلاحات
علم المائى ؛ وفى نهاية الأرب . «وابتداً وأخيراً» فيكونان من اصطلاحات
النحو أيضاً يقصد بهما : المبتداً والخبر .

(٤) فى نهاية الأرب «واستفهم وأهمل وقيد» وقد آثرنا رواية سرح العيون ؛
أهمل : كتب الحروف بدون تنقيط وتشكيل ، وقيد : ضبطها بهما ؛ أو أهمل
وقيد : ترك واختار ، أو أسقط وحفظ ، أو خطأ وصواب .

(٥) أرسل : روى أحاديث النبى ﷺ دون أن يذكر سلسلة النسب حتى
تصل إليه ، بل تصل إلى أحد التابعين ، وأسند : روى الأحاديث سلسلة
راية عن راوٍ حتى تصل إلى من سمعها عن النبى عليه السلام .

بَيْنَ مَذْمُونِي مَائِي وَغِيلَانِ^(١)، وَأَشَارَ بِذَنبِ الْجَمْعِ^(٢)، وَقَتَلَ بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ^(٣)،
وَأَنَّكَ لَوْ شِئْتَ خَرَقْتَ الْمَادَاتِ، وَخَالَفْتَ الْمَهُودَاتِ^(٤)، فَأَحَلَّتْ الْبِحَارَ
عَذْبَةً، وَأَعَدَّتْ السَّلَامَ رَطْبَةً^(٥)، وَنَقَلَتْ غَدَاً فَصَارَ أَمْسِيًا، وَزِدَتْ
فِي الْمَنَاصِرِ فَكَانَتْ خَمْسًا^(٦)، وَأَنَّكَ التَّمُولُ فِيهِ : «كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ

(١) مائي : ظهر في أيام سابور بن أردشير ملك الفرس وادعى النبوة وتبعه
خاني كثير ، وكان يزعم أن العالم خلقه اثنان : إله الخير وهو النور ، وإله الشر وهو
الظلام ؛ غيلان بن يونس : ظهر في زمن هشام بن عبد الملك وهو أول من تكلم
في القدر وخلق الإنسان ، قتله هشام بن عبد الملك .
ولا وجه للموازنة بين المذهبين .

(٢) الجمع بن حرم مولى بني الحسك ، كان يقول بخلق القرآن ، قتله خالد
ابن عبد الله القسري والى العراق من قبل هشام بن عبد الملك لما خشي تفاقم شره .
(٣) بشار بن برد الشاعر المشهور من غمصرى الدولتين الأموية والعباسية ،
وكان متهمًا بالمجون والفسق والزندقة والتمصب للفرس ضد العرب ، أمر المهدي
بضربه بالسياط حتى تلف سنة ١٦٨ هـ .

(٤) خرق المادات : أي بما يخالف الطبيعة مثل المعجزات .

(٥) السلام : جمع سَلَمَةٍ وهي الخجرة . ثم أخذ السكاتب يمدد أمثلة خرق
المادات ، ومخالفة المهورات ، مثل تحويل البحار الملحة إلى عذبة . وتحويل سلاية
الصخور إلى ليونة وطراوة ؛ وتزعم الأساطير العربية أن الحجارة كانت آتية
على عهد نوح عليه السلام .

(٦) في المجموعة الأدبية (فصارت خمساً) . المناصر عند الأقدمين أربعة :
النار والهواء والماء والتراب ؛ وهي ليست عناصر في نظر العلم الحديث بل مركبات .
والعناصر في نظر العلم الحديث قد جاوزت التسمين .

الفرا^(١) » و

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُتَنَكِّرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ^(٢)
وَالْمَعْنَى يَقُولُ أَبِي تَمَامٍ :
فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ^(٣)
وَالْمُرَادُ يَقُولُ أَبِي الطَّيِّبِ :
ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أُنْيَانِهَا^(٤)

(١) الفَرا : الحمار الوحشي ؛ وحسبُ المثال : أن جماعة خرجوا للصيد ،
فاصطاد أحدهم أرنبا ، والثاني ظبيا ، والثالث سمرا ، فسخر الأروان من الثالث ،
فقال : « كل الصيد في جوف الفرا » أي إن ما صده يشتمل على ما عندك ،
وليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي ؛ واستأذن أبو سفيان على النبي
ﷺ فجابه قديلا ، فلما عاتبه قال له : « يا أبا سفيان أنت كما قيل : كل الصيد
في جوف الفرا » أي إذا حجبتك قنع كل محجوب .

(٢) في سرح العيون : « وليس لله بمستنكر » ؛ البيت لأبي نواس في
مدح الفضل بن يحيى من قصيدة يقول فيها مخاطبا الرشيد :

قولا لهرون إمام الهدى عند احتفال المجلس الحاشد :
أنت - على ما بك من قدرة - فاست مثل (الفضل) بالإرجد
ليس على الله بمستنكر أن يجمع السلام في واحد

(٣) البيت لأبي تمام من قصيدة في مدح هدي بن أسهرم يقول فيها :
جعلت الجودَ لآلاء السامى وهل شمس تكون بلا شعاع ؟
ورأيتك مثل رأى السيف صتعت بشورة حده عند الماع
ولو صودت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباع

(٤) البيت للمعنى من قصيدة يمدح بها محمد بن أحمد بن عمران يقول فيها : =

فَكَدَمْتُ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ ^(١) ، وَاسْتَشْمَنْتُ ذَا وَرَمٍ ^(٢) ، وَفَمَخْتُ
 فِي غَيْرِ ضَرَمٍ ^(٣) ؛ وَلَمْ تَجِدْ لِرُوحٍ مَهْزَاً ، وَلَا لِشَفْرِقَةٍ تَحْوِلاً ^(٤) ؛ بَلْ رَضِيتُ
 مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْأَبَابِ ^(٥) ، وَتَمَنَّنْتُ بِالرَّجُوعِ بِحُفَى حَنِينٍ ^(٦) ، لِأَنَّ قُلْتُ :

أَعْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحْسَلِ نَلَّتِهِ لَا تَخْرُجُ الْأَقْدَارُ عَنْ هَالَا لَيْسَ بِهَا
 ذِكْرُ الْأَيَّامِ أَنَا فَسَكَانُ قَمِيْدَةٍ كُنْتُ الْبَدْرِ بَعْدَ الْفَرْدِ مِنْ أَيْيَاتِهَا

(١) الكدم : الضم : المكدم : موضع الضم ؛ « كدمت في غير مكدم »
 مثل : يضرب ابن بطلب شيئاً لا يتمكن منه .

(٢) لم ترد هذه الجملة في نهاية الأرب ، الورم : الارتفاع ؛ والمعنى مأخوذ
 من قول التنبؤي :

أَمْسَدُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ سَادَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّعْمَ فِيمَنْ شَعْمَهُ وَرَمٌ
 (٣) في نهاية الأرب « وفمخت في غير لحم » ؛ الضرم : التهاب النار ،
 والمعنى مأخوذ من قول عمرو بن معد يكرب :

وَأَوْ نَارٍ فَمَخْتُ بِهَا أَضَاءَتُ وَالْكَنَ أَنْتَ تَنْفِخُ فِي رَمَادٍ
 (٤) في شرح البيون « ولم تجد لريح مهزاً » وفسرها بأن المرأة الرسالة لم تجد
 لريح كلامها ما يهزني ويستحياني ، ولا لشفرقة احتياها ما يحز وبه قطع ؛ وفي المجموعة
 الأدبية « لرمك » وقد آثرنا دواية نهاية الأرب ؛ « لم أجده شفرقة محراً » . بل
 يضرب في تذكر الحاجة أي لم أجده لا لعزمي ؛ والمعنى : إنها لم تجد لكلامها
 تأثيراً ولا لادعاءها مجالاً ، فما هزئت ربحاً ولا سلت حداً .

(٥) « رضى من الغنيمة بالأبواب » : مثل : يضرب ابن قنح — بعد ما بذل من
 جهد — بالرجوع إلى بيته سالماً . وهو مأخوذ من قول امرئ القيس :

وَقَدْ طَوَّعْتُ فِي الْآفَاقِ ، حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْأَبَابِ
 (٦) كان حنين إسكافياً ساومه أمرأى على حننين فأغاضه ؛ فوضع حنين

« لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّمَالِبُ » (١)

وَأُنْشِدَتْ :

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ ، حَتَّى آيَسَ فِيهَا عَجَائِبُ (٢)
وَنَحَرْتُ وَكَفَرْتُ ، وَعَبَسْتُ وَبَسَرْتُ (٣) ، وَأَبْدَأْتُ وَأَعْدْتُ ، وَأَبْرَقْتُ

في طريقة أحد الحنن ، فقال الأعرابي : لو كان معه زميله أو ثم سار قليلا فوجد الخلف الآخر ، فقل بعيره ، ورجع ليأخذ الأول ؛ فخرج الإسكافي من مكانه وأخذ البعير ، ورجع الأعرابي بالحنن وأضاع بعيره ؛ فقل فيه « رجع بخفي حنين » وهو مثل يضرب للخيبة .

(١) في المجموعة الأدبية ومجموع الأمثال « لقد ذل » ؛ كان غاوي بن ظالم سادنا لعنه يعبده بنو سليم في الجاهلية ، فرأى ثعلباً أقبل على العنم وبال عليه ، فقال : يا بني سليم والله ما يضر ولا ينفع ؛ ولا يهمل ولا يمنع ، ثم أنشد :
أَرَبُّ يَهْوِلُ الثَّمَلِبَانُ بِرَأْسِهِ ؟ لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّمَالِبُ
وذعب غاوي بن ظالم إلى النبي ﷺ فأسلم ، فسماه راشداً بن عبد ربه ؛ الثملبان : ذكر الثمالب .

(٢) في المجموعة الأدبية « وأنشدت لها » ، البيت لأبي نعام من قصيدة يرفي بها غالباً الصغدي بقول فيها :

وَقَلْتُ أُخِي اأَقْلُوا أَخِي ذُو قَرَابَةِ ؟ قَلْتُ لَهُمْ : إِنْ الشُّكُولَ أَفَارِبُ
سَدِيقِي فِي رَأْيِي وَعَزْمِي وَمَذْهَبِي وَإِنْ بَاعَدْتُنَا فِي الْأَسْوَلِ النَّاسُ
عَجِبْتُ لِمَجْرَى بَعْدِهِ وَهُوَ مَيِّتٌ وَكُنْتُ أَمْرًا أَبْكِي دَمًا ، وَهُوَ غَاب
عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

(٣) السخير : صوت يصدر من الأنف وأكثرنا يكون عند الغضب ، الكبر

التبرؤ من الشيء ، قال تعالى : « وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ » ؛ التبرؤ : التبرؤ

وَأَزَعَّتْ ، وَهَمَّتْ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي ^(١) ، وَلَوْلَا أَنَّ لِلْجَوَارِ ذِمَّةً ،
وَالضِّيَافَةِ حُرْمَةً ، لَكَانَ الْجَوَابُ فِي قَذَالِ الدُّمُسْتَقِ ^(٢) ؛ وَلَكِنَّ الذَّمَّ

== قَطَوبُ الْوَجْهِ مِنْ ضَيْقِ الْعَصْرِ ؛ الْبَسْرُ : التَّقْطِيبُ وَالْمَبُوسُ أَوِ الْقَهْرُ ، قَالَ
تَعَالَى : « وَوَجَّوْهُ يَوْمَئِذٍ بِمِصْرَةٍ تَنْظُرُونَ أَنْ يُفْسَلَ بِهَا فَاقْتَرَعَتْ أَيْ كَالْحَةِ تَتَوَقَّعُ أَنْ
تَحْمِلَ بِهَا كَارِثَةً ، قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُنِيرَةِ : « ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ » .
وَفِي مَرْحِ الْمَبُوسِ « وَنَحَرَتْ وَبَسَرَتْ ، وَعَبَسَتْ فَسَكَفَتْ » وَقَدْ آثَرْنَا رِوَايَةَ
الْمَجْدُوعَةِ الْأَدَبِيَّةِ وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ .

(١) أَيْ هَمَّتْ بِقَتْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ وَلَمْ أَفْعَلْهُ ، وَقَدْ كَدْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُهُ ؛
وَهُوَ شَطْرُ بَيْتِ لُعْنَابِيءَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَرْطَاةَ ، كَانَ بَذِيئًا كَثِيرَ الشَّرُورِ حَبِيسَهُ
عُمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ دَمَّ سَبِيحًا بِدَابَّتِهِ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ ،
فَاسْتَمَارَ كَلْبُ سَيْدٍ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ وَمَا طَلَّ فِي رَدِّهِ ، فَالْحُوا عَلَيْهِ فَقَالَ :

فَأَمْسِكُمْ لَا تَتْرَكُوهُمَا وَكَابَسَكُمْ فَإِنْ عَقَرْتِ الْأُمَهَاتِ كَبِيرِ
إِذَا اكْتَشَفْتَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ شَخْمَهُ

يَظُلُّ لَهُ فَوْقَ الْفَرَاشِ هَرِيرُ

فَاسْتَعْمَدُوا عَلَيْهِ عُمَانُ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ أَمَا سَمِعْتَ أَحَدًا يَرْمِي امْرَأَةً بِكَلْبٍ
مُحْرَكٍ ، ثُمَّ حَبَسَهُ ؛ فَأَعَدَّ حَدِيدَةً لِقَتْلِهِ فَأَخَذَتْ مِنْهُ وَتَرَكَ مَهْمَلًا فِي السِّجْنِ فَقَالَ :
هَمْتُ ... وَلَمْ أَفْعَلْ ... وَكَدْتُ ... وَلَيْتَنِي

تَرَكَتُ عَلَى عُمَانٍ تَبْكِي حَالَهُ

(٢) الْقَذَالُ : جَمَاعٌ مَوْخِرُ الرَّأْسِ ؛ الْمَنَى : لَوْلَا أَنَّهُ سَارَ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ حُرْمَةٌ
بِيَدْخُولِ مَنْزِلِ وَضِيَافَتِي لَفَعَلْتُ بِهَا فَعْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِالدُّمُسْتَقِ وَهُوَ بِطَرِيقِ
قَدِيبَتَا مِنَ الرُّومِ لِلْحَرْبِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَارْتَدَّ مَهْزُومًا مَنكُسِرًا ؛ وَالْمَنَى مَا خُوِذَ
مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ مِنْ قَصِيدَةِ يَمْدَحُهَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ يَقُولُ فِيهَا :

يَرَأَى مَلِكُ الرُّومِ أَرْتِيَا حَكَ لِنَدَى فَمَامَ مَقَامَ الْمَجْتَدَى الْمُتَمَلِّقِ
كَدْتُ إِذَا كَانَتْهُ قَبْلَ هَدَى كَدْتُ إِلَيْهِ فِي قَذَالِ الدُّمُسْتَقِ

حَاضِرَةٌ إِنْ عَادَتْ الْعَقْرَبُ^(١) ، وَالْعَقْرَبَةُ مُمَكِّنَةٌ إِنْ أَصَرَ الْمَذْنِبُ ؛
وَمِنْهَا آءٌ تَلَاخِظُكَ بِمَعْنَى كَلِيلَةٍ عَنْ يُؤْيُوكَ^(٢) ، وَأَوْهَا حَبِيبُهَا^(٣) ،
وَحَسَنٌ فِيهَا مَنْ تَوَدُّ^(٤) ، وَكَانَتْ إِنْمَا حَلَّتْكَ بِحُجْسِ الْإِلَهِ وَوَسَمَتْكَ

(١) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفي مريح العيون والمجموعة الأدبية
« والنمل حاضرة » وهو مثل مأخوذ من قول الفضل بن العباس المأثور :

إِنْ عَادَتْ الْعَقْرَبُ عَدْنَا لَهَا وَكَانَتْ النَّمْلُ لَهَا حَاضِرَةً

(٢) كَلِيلَةٌ : ضَعِيفَةٌ ؛ وَالْمَعْنَى : هَبْ هَذِهِ الرَّاةَ الْمُرْسَلَةَ صَدَقَتْ فِيهَا تَحَدُّثٌ
بِهِ عَمَكَ ، وَقَالَتْ مَا اعْتَقَدْتَنِي فِيكَ (إِنْ مِنْظَرُكَ الْقَبِيحُ يَنْفَى عَنْ خَبْرِكَ) ،
وَمِنْ الْأَحَادِيثِ الْمَأْثُورَةِ « حَبْلُكَ الشَّيْءُ يَمْسِي وَيَسْمُ » وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمَاشِي :

وَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً فَإِنْ عَرَضَتْ أَبْقَعْتُ إِلَّا أَخَالِيَا

وَمَعْنَى الرِّضَى عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنْ عَيْنُ السَّخَطِ تَبْدِي السَّوْبَا

(٣) مَاؤُهَا حَبِيبُهَا : تَرَى حَبِيبَهَا كُلَّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ
مُجَنَّدٍ لَيْلَى :

أَهَابِكَ إِجْلَالًا ، وَمَا بِكَ قَدْرَةً هَلَى ، وَلَكِنْ مِلَّةٌ عَيْنِ حَبِيبُهَا

وَمَا هَجَرْتُكَ النَّفْسُ أَلَيْكَ عِنْدَمَا قَلِيلٌ ، وَلَكِنْ نَفْسُكَ نَعِيبُهَا

(٤) الْمَعْنَى : إِنْ حَبِيبُهَا فَنَانٌ فِي نَظَرِهَا وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ
مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

وَلَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابِ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ — وَتَمَرَّتْ تَبَرِّدُ —

: أَلَمْ يَنْعَتْنِي تَبَعْرَانِي ؟ مَرَكَنَ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ ؟

فَتَضَاحَكُنَّ ، وَقَدْ قُلْنِ لَهَا : « حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ »

بِسْمَاكَ^(١) ، وَلَمْ تُعِرْكَ شَهَادَةً ، وَلَا تَكَلَّمْتُ لَكَ زِيَادَةً ، بَلْ صَدَقْتُ
 سِنَ بَكْرِيهَا فِيمَا ذَكَرْتُهُ عَنْكَ^(٢) ، وَوَضَعْتُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ بِمَا
 نَسَبْتُهُ إِلَيْكَ^(٣) ، وَلَمْ تَسْكُنْ كَاذِبَةً فِيمَا أَثْنَيْتَ بِهِ عَلَيَّ ، فَلَا مَعْيَدِي
 تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ^(٤) .

== حسدٌ مُحْتَمَلٌ مِنْ أَجْلِهَا وَقَدْ يَكُنْ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ
 ومثل هذا قولهم : « زين في عين والدٍ ولده » و « كل فتاة بأبيها معجوبة »
 (١) وَسَمَّيْتُكَ بِسْمَاكَ : مِيزْتُكَ بِمَا أَمَزْتُ بِهِ .

(٢) الْبَكْرُ : الْفَتَى مِنَ الْإِبِلِ ، وَفِي الْأَمْثَالِ « صدقني سنٌ بكركه » وهو
 مثل يضرب في الصدق ، وأصله أن رجلاً ساءم أعرابياً في بعيده ، وسأله عن سنه ،
 فقال له : بكركه ، فقال الرجل « صدقني سن بكركه »

(٣) الْهِنَاءُ : الْقَطْرَانُ ، النَّقَبُ : النَّقْبُ الَّذِي تُحْدِثُهُ جَرْتُومَةُ الْجَرْبِ فِي الْجَسَمِ
 أَوْ الْجَرْبُ نَفْسُهُ ؛ وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ أَيْبَاتِ قَالِمَا دَرِيدُ بْنُ الصَّمَةِ ، وَكَانَ قَدْ مَرَّ
 بِالْخَفَسَاءِ وَهِيَ تَطْلِي بِعِزَالِهَا بِالْقَطْرَانِ حَتَّى فَرَّغَتْ مِنْهُ ، فَخَضَّتْ ثِيَابَهَا وَاغْتَسَلَتْ
 وَدَرِيدٌ بَرَاهَا وَلَا تَشْعُرُ بِهِ ، فَقَالَ فِيمَا :

حَيْثُ مَا تَمَاضَرُوا وَارْبَعُوا مَعِي وَقَفُوا ، فَإِنْ وَقَفَكُمْ حَسْبِي
 مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ كَالْيَوْمِ هَانِيءٍ أَيْتَقِرْ جَرْبٌ
 مُتَبَدِّلاً تَبْدُو مَحَا سِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ
 . أَيْ يَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا ، ثُمَّ خَطَبَهَا فَرَدَّ تَهْلُكُ سِنُهُ ؛ وَفِي نَهَابَةِ
 الْأَرْبِ « فِيمَا نَسَبْتُهُ إِلَيْكَ » .

(٤) فِي نَهَابَةِ الْأَرْبِ « .. تَسْمَعُ بِهِ لَا أَنْ تَرَاهُ » وَهُوَ مِثْلُ مَشْهُورٍ ، وَرَدَّ
 عَلَى عِدَّةٍ مِنْهَا : « أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَعْيَدِ ، أَوْ : لِأَن تَسْمَعَ بِالْمَعْيَدِ ، =
 (م — ٤٢ ديوان ابن زيدون ورسائله)

مَجِينُ الْقَذَالِ^(١) ، أُرْعَنُ السِّبَالِ^(٢) ، طَوِيلُ الْمُنْقَى وَالْمَلَاوَةِ^(٣) مُفْرِطُ
الْحُمْقِ وَالْعَبَاوَةِ ، جَانِي الطَّبْعِ ، سَيِّءُ الْجَابَةِ وَالسَّمْعِ^(٤) ، بَغِيضُ الْهَيْئَةِ ،
سَخِيفُ الذَّهَابِ وَالْجَيْئَةِ ، ظَاهِرُ الْوَسْوَاسِ ، مُنْتِنُ الْأَنْفَاسِ ، كَثِيرُ الْمَعَايِبِ ،
مَشْهُورُ الْمَثَابِ^(٥) ، كَلَامُكَ تَمْتَمَةٌ ، وَحَدِيثُكَ غَنَمَةٌ ، وَبَيَانُكَ فَهْمَةٌ ،
وَضَحِكُكَ قَهْقَهَةٌ ، وَمَشْيُكَ رَوَلَةٌ^(٦) ، وَغِنَاكَ مَسْأَلَةٌ ، وَدِرْبُكَ

== والمختار : تسمع بالميم يدي خير من أن تراه ، ويروى : لا أن تراه « وهو مثل
يضرب لمن يكون خبره خيرا من منظره ، وهو مثل قوله النعمان ، لأن شقة بن
ضمرة كان يغير على ماله ويطلبه فلا يقدر عليه ، فأثمه — وكان يعجبه ما يسمعه
عنه — فلما رآه قال : « تسمع بالميم يدي خير من أن تراه » فقال : آيت
الامن يا ابن الرجال ليسوا بحزير ، وإنما يهين المرء بأصغريه قلبه واسانه .
فصارت مثلا ؛ والجزر : الشاء السمينة .

(١) المجين : من في نسبه هجنة أى تبج من جهة أمه ، والمُتْقِرِفُ من
في نسبه تبج من جهة الأب ؛ القذال : جماع مؤخر الرأس ؛ مجين القذال : ليم
النسب يبدو لؤم نسبه من النظر إلى قذاله إذا أدبر ، لأنه ينخفض رأسه ذلا وحياء
أو لأنه كثير القرار في الحروب .

(٢) السِّبَالُ : جمع سَبَلَةٍ وهى الشارب ؛ أُرْعَنُ السِّبَالِ : أحرق الشارب ،
وخصمت الرءولة به لأنه مظهر الرجولة .

(٣) الملاوة : أعلى الرأس والعرب يمسدون طول الرأس والمنق من
دلائل الحق .

(٤) الجابة : الإجابة ، وفي الأمثال : « أساء سمعا فأساء جابة » ، أى
الجموعة الأدبية « سىء الإجابة »

(٥) المثاب : النقائص .

(٦) التمتمة من معاييب النطق المدودة ، قال الجاحظ : إنها التردد في التاء ؛ =

رندقة ، وعلمك مخزقة^(١) فها .

مساو ! لو قسمن على النواني لما أهنرن إلا بالطلاق^(٢)
حتى إن أقلا موصوف بالبلاغة إذا قرن بك^(٣) ، وهبنة منحق

الغبنة : أن يمدد الصوت مسموعا ، ولا تظهر فيه مقاطع الحروف ، القهقهة :
الضحك الشديد ، وهو خصلة منافية للوقار ، والأفضل فيه التبسيم ؛ المروءة :
ضرب من المدو فوق الكى ودون الجرى ، وهى مشية تنافى الأزان وتشر
بالزق ؛ وشبهه بهذا قول المتنبي فى هجاء إسحق بن كلفن من قصيدة :

وارفق بنفسك ! إن خلتك ذاتى . واستر أباك ، فإن أسلك مظلم
وغناك مسألة ، وعيشك نفخة ورشاك فيشة ، وربك درهم

(١) الرندقة : الليل إلى وثنية الفرس القديمة نسبة إلى كتاب زند وزند بن
النسوين إلى زرادشت ومزدك ؛ ثم أصبحت الرندقة تطلق على كل من خرج على
شرعية الإسلام ؛ المخزقة : نوع من التحايل لإظهار البراعة إيهاما للناس بأنها
كرامات .

(٢) البيت لأبي تمام من أبيات يهجو بها الأعمش يقول منها :

دع ابن الأعمش السكين يبكى لدار ظال منه فى وثاق
كبعات ببيع سوره ، فأضحى لما إنسان عيني فى السياق
مساو لو قسمن على النواني لما أهنرن إلا بالطلاق

(٣) باقل بن عمرو بن ثعلبة الإيادى بضرب به المثل فى العى يقال : « أعمى

من باقل » ، قال أبو عبيدة : بلغ من عيّه أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما
وحمله ، أسأله شخص عن ثمنه ففتح كفيه ، وفرق أصابعه وأخرج لسانه ، يشير
بذلك إلى أحد عشر فرب الظبي ، قال المبرى :

لَأَنَّمِ الْعَقْلُ إِذَا نُسِبَ إِلَيْكَ^(١) ، [وَأَبَا غَبْشَانَ مُحَمَّدٌ مِنْهُ سَدَادُ النَّفْسِ
إِذَا أُضِيفَ إِلَيْكَ]^(٢) ، وَطَوَيْسًا مَأْثُورٌ عَنْهُ يُنِنُ الطَّائِرَ إِذَا قِيسَ.

إذا وصف الطائي بالبخل مادرٌ وعيرٌ نَسًا بانتهاءه بأقل
فباموت زراً إن الحياة ذميمةٌ وبأ نفس جدي ، إن دهرك هازل
والطائي : حاتم الطائي المشهور بالجود ، ومادر يضرب به المثل في البخل ،
وقس مغرب المثل في البلاغة .

(١) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفي شرح العيون والمجموعة الأدبية
« ... مستوجب لاسم العقل إذا أضيف إليك » ، هينقة : هو يزيد بن رومان أحد
بنى قيس بن ثعلبة ، ويسمى أبا الودعات لأنه نظم ودعاً لنفسه في سلك ،
وجعله في عنقه علامة لنفسه اثلاً يضيغ ، فغافله أخوه يوما ولبس العقد ، فارتبك
هينقه وقال له : أنت أنا ، فترى من هو أنا ؟

(٢) لم ترد هذه الجملة في شرح العيون ولا في المجموعة الأدبية ، وقد زدنا ما
عن نهاية الأرب : وأبو غبشان مغروب به المثل في الحماقة ، ذكر الميداني في جمع
الأمثال : أن أبا غبشان خزاعي كان يلبس دنانير السكبة ، فخدعه قهسي وأسكره ،
ثم اشترى منه مفاتيح السكبة بزق نحر ، وأشهد عليه ودفعها لابنه عبيد الدار ،
وطير به إلى مكة ، فلما أشرف عليها رفع عقيرته سائلاً : مما أمر قريش هذه بماتبيح
بيت أبيكم اسماعيل قد ردّها الله عليكم من غير عذر ولا ظلم ، فلما أفاق أبو غبشان
من سكره ندم ولات حين مندم ، فقال الناس : « أحق من أبي غبشان » قال
الشاعر :

أبو غبشان أظلم من قهسي وأظلم من بني فهر خزاعي
فلا تلاحوا قهسيًا في شراء ولوموا شيخكم إن كان بآء

عَلَيْكَ^(١) ؛ فَوُجُودُكَ عَدَمٌ ، وَالْإِغْتِبَاطُ بِكَ نَدَمٌ ، وَالْخَيْبَةُ مِنْكَ ظَفَرٌ ،
وَالْجَنَّةُ مَعَكَ سَقَرٌ^(٢) ؛ كَيْفَ رَأَيْتَ لَوْمَتَكَ إِكْرَمِي كِفَاءً ؟ وَضَعَتَكَ
لِشَرِّهِ وَفَاءً^(٣) ؟ وَأَنْتِ جَهَلْتِ أَنَّ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَنْجَذِبُ إِلَى أَشْكَالِهَا ؟
وَالطَّيْرَ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى أَمْثَالِهَا^(٤) ؟ وَهَلَّا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ
لَا يَجْتَمِعَانِ ؟ وَشَعَرْتَ أَنَّ (نَادِي) الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ لَا يَتَقَارَبَانِ^(٥) ؟

(١) التَّيْسُ : البركة ؛ طوبى : هو عيسى بن عبدالله مولى بنى مخزوم كان
ماجنا ظريفاً ، يقال إنه أول من غنى على الدف بالمربية ، ويُفَسَّرُ بِهِ الْمَثَلُ فِي
الشُّومِ لِأَنَّهُ وَلَدَ يَوْمَ قُبُضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَفُطِمَ يَوْمَ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ ، وَخَتَنَ
« وَقِيلَ بِلَغِ الْحِلْمِ » يَوْمَ قُتِلَ عُمَرُ ، وَزَوَّجَ يَوْمَ قُتِلَ عُمَانُ ، وَوُلِدَ لَهُ يَوْمَ
مُقْتَلِ عَلِيٍّ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَمُشِي بِالنَّمِيمَةِ بَيْنَ نِسَاءِ الْأَعْيَارِ .

(٢) الْمَعْنَى : حَيَانُكَ مِثْلُ فَقْدِكَ ، وَالْفَرَحَةُ بِكَ تَجْلِبُ النَّدَمَ ، وَالْفُشْلُ مِنْكَ
رَبْحٌ عَظِيمٌ ، وَالْجَنَّةُ فِي مَحَبَّتِكَ تَنْقَلِبُ إِلَى الْجَحِيمِ .

(٣) اللَّوْمُ : الدَّنَاءَةُ فِي الْأَمَلِ وَفِي الْأَخْلَاقِ ؛ كِفَاءٌ : مِمَّا تَلَّ وَمِنَاطِرُ أَوْ مُجَازٍ ؛
الْوَفَاءُ : الْعَدْلُ أَوِ الطُّوْلُ ؛ الْمَعْنَى : كَيْفَ رَأَيْتَ لَوْمَتَكَ إِكْرَمِي مِمَّا تَلَّ ؟ وَذَلِكَ
لِشَرِّهِ مِمَّا دَلَّ أَوْ مِطَاوَلَةٍ ؟

(٤) فِي نِهَايَةِ الْأَرْبِ وَسَرَحِ الْعَبُودِ « تَقَعُ عَلَى الْأَفْهَامِ » وَقَدْ آثَرْنَا رَوَايَةَ الْجُمُوعَةِ
الْأَدَبِيَّةِ ؛ أَنَّى : كَيْفَ ؟ الْمَعْنَى : كَيْفَ تَجْهَلِينَ أَنَّ الشَّيْءَ يَنْجَذِبُ إِلَى مِثْلِهِ ؟ وَالطَّيْرَ
تَقَعُ عَلَى أَنْظَارِهَا ؟ فَلَا عَجَبَ إِذَا مَاتَ إِلَى شَكْلِي وَإِلْفِي ، وَلَسْتَ مِنْهُمَا

(٥) كَلِمَةُ (نَادِي) : زَيْلَةٌ مِنْ نِهَايَةِ الْأَرْبِ ، وَفِيهِ « أَنَّ نَادِي الْمُؤْمِنِ
وَالْكَافِرِ لَا يَتَرَاءَيَانِ » وَقَدْ آثَرْنَا رَوَايَةَ سَرَحِ الْعَبُودِ وَالْجُمُوعَةِ الْأَدَبِيَّةِ ؛
النَّادِي وَالنَّدَى وَالنَّدْوَةُ : مَجْلِسُ الْقَوْمِ وَمَكَانُ حَدِيثِهِمْ وَتَشَاوُرِهِمْ مَا دَامُوا فِيهِ ؛
يُقَالُ الْمَعْنَى : لَا سَبِيلَ إِلَى تَقَارُبِنَا كَمَا لَا سَبِيلَ إِلَى اجْتِمَاعِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، وَلَا يُمْكِنُ
اجْتِمَاعُنَا كَمَا لَا يُمْكِنُ اتِّفَاقُ مَجْلِسِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِ .

[وَقَاتَ] : التَّحِيُّثُ وَالطَّيِّبُ لَا يَسْتَوِيَانِ ؟ ^(١) وَتَمَثَّلَتْ :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سَهِيلاً عَمَّرَكَ اللَّهُ ! كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ ^(٢) ؟
وَدَّ كَرِهْتُ أَنِّي عِلَاقٌ لَا يُبَاعُ مِنْ زَادٍ ^(٣) ، وَطَارٌ لَا يَصِيدُهُ مَنْ أَرَادَهُ
وَعَرَضٌ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَنْ أَجَادَ ^(٤) ، مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا كُنْتَ قَدْ تَهَيَّأْتَ
لِلتَّهْنِئَةِ ، وَتَرَشَّحْتَ لِلتَّرَفُّةِ ^(٥) ،

(١) نَظَرَ الْكَاتِبُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « لَا تَلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ،
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ » وما بين القوسين ساقط من المجموعة الأدبية .
(٢) البيت لعمر بن أبي ربيعة في الثريا بنت عبد الله حينما تزوجها سهيل
ابن عبد العزيز بن طلحة أو سهيل بن عبد الرحمن بن «وف الزهري ورجل بها
إلى الشام فقال عمر (وفي البيتين تورية بنجمي الثريا وسهيل » :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سَهِيلاً عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ ؟
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسَهِيلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ بِمَانِي
عَمَّرَكَ اللَّهُ : قَسَمَ بِيَقَاءِ اللَّهِ وَدَوَامِهِ ، أَوْ سَأَلَتْهُ اللَّهُ تَعْمِيرَكَ ، وَعَلَى مَعْنَى
الْمَعْنَى بِكَوْنِ غَيْرِ قَسَمٍ .

(٣) الْعِلَاقُ : الثَّمِينُ ؛ لَا يُبَاعُ مِنْ زَادٍ : أَيُّ لَرِنْ زَادٍ ، كَيْفَ ؟ بِمَعْنَى الْإِثْمِ
مِنْ اسْتِعْمَالِ الْمَقَهَاءِ كَمَا فِي مَرْجِ الدَّوْوَى عَلَى مَسَلٍ .

(٤) الْفَرَضُ : الْمَهْدَفُ .

(٥) التَّرْشِيحُ : الْإِسْتِعْدَادُ لِلشَّيْءِ ؛ التَّرَفُّةُ : التَّهْنِئَةُ بِالزَّوْاجِ مِنْ قَوْلِهِ
الْمُتَزَوِّجُ : « بِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينَ » أَيُّ بِالْإِثْمَامِ وَالْإِتْفَاقِ وَجَمِ الشَّمْلِ ، وَمَعْنَى
قَوْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِمَا أُسْبِحَ مَعْرَسًا بِأَمِّ كَلْتُومَ بِنْتِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ
زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ : رَفَثُونِي ؛ ثُمَّ سَارَتِ التَّرَفُّةُ عَامَةً فِي الزَّوْاجِ وَغَيْرِهِ ؛ وَفِي
الْحَدِيثِ : « إِذَا رَفَعْنَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَقُلْ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ ، وَدَعَا
بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ »

[أَوَّلَى لَكَ ! !] ^(١) وَلَوْلَا أَنْ جَرَّحَ الْمَجْمَاءُ جُبَّارَ ^(٢) ، لَلَقِيتَ مِنْ
الْكَوَاعِبِ مَا لَاقَى يَسَارَ ^(٣) ، فَمَا هُمْ إِلَّا بِدُونِ مَا تَهَمَّتْ بِهِ ، وَلَا تَعْرِضَ
إِلَّا لِأَيْسَرِ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ ^(٤) ، أَيْنَ ادَّعَاؤُكَ رِوَايَةَ الْأَشْعَارِ ؟ وَتَعَاطِيكَ

(١) زيادة واردة في نهاية الأرب ، أولى لك ! ! : تهديد ووعيد أى فأربك
ما يهلكك ، أو الشر أقرب إليك ، أو اندم على ما فاتك ، أو كلمة تلهف بقولها
الرجل إذا أفلت من مصيبة ، أو دنوت من المهلكة ، قال تعالى : « فَلَاحِذْ حَقِّكَ
وَلَا سَلِّ وَسَلِّ كَذِبٌ وَتَوَلَّى ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ، أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ! ! ثُمَّ
أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ! ! » أى قربت من الوبال ، قالت الخنساء :

هَمْتُ بِنَفْسِي كُلِّ الْمُدُومِ فَأَوَّلَى لِنَفْسِي ! ! أَوَّلَى لَهَا ! !

(٢) « جرح المجماء جبار » حديث شريف : المجماء : البهيمة : جبار :
هدير ، وعدم القصاص في جرح البهيمة لأنها لا تعقل ، ويغرب به المثل
لما يستهان به .

(٣) يسار : عبد أسود دميم يقال له يسار الكواعب لأن النساء كن
يضحكن منه لقبحه ، فكان يظنهن معجبات به ، حتى نظرت إليه امرأة مولاه
(أو بنته) فضحكت فطمع فيها وراودها ، فقالت له : مهلا فإن للحراثر طيبا أشمك
إياه ، فقال : هاتيه ، فأنت بطيب وموسى فأشمته الطيب ثم أنحت بالموسى فقطعت
أنفه ، فصاح ! ! فقالت له صبرا على مجامر الكرام ، فضرب به المثل :

ولما ماتت امرأة الفرزدق أراد الخطبة إلى بسطام بن قيس ، فقال جرير يهجوهُ :

فهل أنت - إذ ماتت أتانك - راحلٌ إلى آل بسطام بن قيس بمخاطب ؟

وإني لأخشى إن رحلت إليهم عليك الذى لاقى يسار الكواعب

(٤) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفي شرح الميون « فاقم » إلا ببعض ما به

تهمت ، ولا تعرض إلا لأيسر ما تعرضت »

حِفْظَ الشَّرِّ وَالْأَخْبَارِ ؟ [أَمَا ثَابَ إِلَيْكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ ؟]^(١) :
 بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ وَتَنْسَكُحُ فِي أَكْفَانِهَا الْحَبِطَاتُ^(٢)
 وَهَلَا عَشِيَّتَ وَلَمْ تَنْتَرِ^(٣) ، وَمَا أَمْنَكَ أَنْ تَسْكُونَ وَافِدَ الْبَرَاجِمِ^(٤) ؟

(١) ما بين القوسين ساقط من نهاية الأرب ؛ ثاب إليك ؛ رجع إلى ذمك .

(٢) البيت للفرزدق ، ومعناه : إن بني دارم لا ينبغي أن يساهروا إلا بنو مسمع فأما بنو الحبطات فلا ؛ بنو دارم : من ذرية دارم وهو مالك بن حنظلة التميمي بيته أكبر بيوت بني تميم ؛ آل مسمع : بيت بكر بن وائل من بني قيس بن ثعلبة ؛ الحبطات : بنو الحارث بن مالك بن مروة بن تميم ، وفيهم يقول الشاعر :

وجدنا النِّيبَ مِنْ شَرِّ الطَّايَا كَمَا الْحَبِطَاتُ شَرُّ بَنِي تَمِيمٍ
 (٣) في الأمثال « عَشَى وَلَا تَنْتَرِ » وهو مثل يضرب للاحتياط والأخذ بالثقة ؛ ومعناه : هلا رفقت بإهلك فأطعمتها بالمشي لأبك لا تضمن ما يكون في غد ؛ عَشَى : رَفَقَ ،

(٤) في شرح الميرون والمجموعة الأدبية « وما أشك أنك تسكون واند البراجم » وقد آثرنا بعض الروايات في نهاية الأرب .
 من الأمثال : « أشقى من واند البراجم » والبراجم خمسة من أولاد حنظلة ، وسبب المثل أن مروة بن هند أحرقت تسعة وتسعين رجلاً في نار أخ ، وكان قد آلى أن يحرق منهم مائة ؛ فمرَّ رجل اسمه مزار (أحد البراجم) فشم رائحة اللحم فظنه طاماً فأتى إليه ، فأكل الملك به المائة ؛ وتغيّرت بنو تميم بحب الطعام بسببه ، قال الشاعر :

إذا ما مات مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ وَنَزَلَكَ أَنْ يَمِيشَ فَجِيءَ بِزَادٍ

أَوْ تَرْجِعَ بِصَحِيفَةِ الْمُتَلَمِّسِ^(١) ؟ أَوْ أَفْعَلْ بِكَ مَا فَعَلَهُ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ
بِالْجَهَنِيِّ ، إِذْ جَاءَهُ خَاطِبًا ، فَذَهَنَ اسْتَهْ بَزَيْتٍ وَأَذْنَاهُ مِنْ قَرْيَةِ النَّمْلِ^(٢) ؟
وَمَتَى كُنْتَ تَلَا قَيْنًا ؟ وَاتَّصَلَ تَرَانِينًا ؟ فَيَدْعُونِي إِلَيْكَ مَا دَعَا ابْنَةُ الْخُسِّ^(٣)
إِلَى عَهْدِهَا مِنْ طَوْلِ السَّوَادِ ، وَقُرْبِ الْوَسَادِ^(٤) ؛ وَهَلْ قَدَّمْتُ الْأَرَاقِمَ

(١) « صحيفة المتلمس » تضرب مثلًا لمن يحصل له الضرر من حيث يتوقع
النفع ؛ والمتلمس : شاعر مجيد من شعراء الجاهلية ، وفد مع ابن أخته طرفة بن
العبد على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة ، فحنق عمرو عليهما بوما ، فلم يظهر لهما
الرجدة خوف عجاجها ، وأرسل كلا منهما بكتاب إلى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما ،
وأومهما أنه كتب لهما بصلة من عامله ؛ ففتح المتلمس صحيفته وعرف ما بها فزقها ؛
ولصح طرفة أن يفعل كما فعل ، فأبى وظن أن الملك لا يجرؤ على هذا خيفة قومه ؛
فلاقى مصرعه .

(٢) عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ اليروعي من شعراء الدولة الأموية ، كان أهوج جانبًا
شديد الاعتزاز بنسبه عتيف الغيرة ، وكان لا يرى أحدا كفتا لمصاهرته ؛ خطب
عبد الملك بن مروان إحدى بنات عقيل لأحد أبنائه فأطرق ساعة ، ثم قال : إن
كان ولا بد فحجبني هجئاءك ، أي أولاد الإماء ، ودخل على عثمان بن حيان وإلى
اللدنية فقال له : زوجني بمض بناتك ، فقال عقيل : أبكرة من إيلي تعني ؟ فنهرو
عقال ؛ وكان له جار جهني تقدم لخطبة ابنته وكان أحمر اللون ، فغضب عقيل وكتبه
ودهن استه بوزيت وأذناه من قرية النمل فأذنه أشد الإيذاء ، وقال فيه :

رَدَدْتُ صَحِيفَةَ الْقَرِشِيِّ كَأَنَّ ابْنَتَ أَعْرَاقِهِ إِلَّا أَحْمَرَارًا

(٣) ابنة الخُسِّ : هي هند بنت الخُسِّ بن حابس الإيادي ، وكانت تعد من
شبهات نساء العرب ؛ ولكنها زنت بعد ما فلما سئلت : ما حملك على الزنى ؟ قالت :
قُرْبُ الْوَسَادِ وَطَوْلُ السَّوَادِ ، وزاد بعضهم في حديثها « وحب السَّفَادِ » لأن
الأسود كان قد منعها من الزواج ، الأسود : السواد ؛ يقال ساودته إذا أمررت إليه
وما وأسر هو إلى كلاماً ، وفي الحديث الشريف : « السواد من السحر »

فَأَنسَكَحَ فِي جَنْبِ (١) ؟ أَوْ عَضَلَنِي مُهَامُ بْنُ مَرْةَ فَأَقُولُ : « زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ
خَيْرٌ مِنْ قَعُوْدٍ » (٢) ؟

وَأَمَرِي أَلَوْ بَدَأْتُ هَذَا الْمَبْلَغَ لَا رَتَفَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْخَطَةِ ، وَمَا رَضِيْتُ
بِهَذِهِ الْخَطَةِ (٣) ، فَأَلْبَنَارُ وَلَا الْعَارُ ، وَالْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّيَّةُ ، وَالْمَرْءُ تَجْوَعُ
وَلَا تَأْكُلُ بِشَدَائِيهَا (٤)

(١) الأرقام : حى من تغلب ؛ جنب : حى من اليمن ، وقد أشار بهذا إلى
قول مهمل بن ربيعة لما رحل عن قومه بعد أن أضلهم حرب البسوس ، وازل
في طريقه على حى من اليمن فخطبوا إليه ابنته ، وساقوا إليها جلودا من آدم
فقال :

أَعَزُّ عَلَى تَغْلِبٍ بِمَا لَقِيتُ أَخْتُ بَنِي الْأَكْرَمِينَ مِنْ جُشَمٍ
أَنسَكَحَهَا فَمَدُّهَا الْأَرْاقِمَ مِنْ جَنْبٍ ، وَكَانَ الْجَبَاءُ مِنْ أَدَمٍ
(٢) عضل الولي فقاته : منعها من الزواج ؛ عضل مهام بن مرة بن ثعلبة
بناته الأربع من الزواج . فاستمع إليهن مرة وهن لا يملن ، فسمع كلاً منهن
تتمنى الزواج من رجل يكون متصفا بصفات خاصة ذكرها ، إلا الصغرى
فإنها صمت ، فلما ألت عليها أخوانها بأن تذكر صفات الزوج الذى تتمناه ،
قالت : « زوج من عود خير من قعود » فصارت مثلاً ؛ ولما سمع أبوه من هذا
الحديث أسرع فى تزويجهن .

(٣) فى شرح الميرون والمجموعة الأدبية « .. ولا رضىت بهذه الخطه » وقد
أخذنا برواية نهاية الأرب ؛ والمعنى : وحياتى لو بلغ بى الأمر مبالغته لأرتفعت
عن هذه المذلة ولم أرض بهذه السببة .

(٤) فى المجموعة الأدبية « من كد ثديها » ؛ أمثلة ثلاثة أغرب لمن يؤثر
التلف على قبح السيرة ؛ فالحر يفضل التعذيب بالنار على احتمال العار ، ويؤثر =

فَكَيْفَ؟ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِكَ مَنْكَحٌ وَفَتَيَانُ هِزَّانِ الطَّوَالِ الْفَرَاتِ (١)

مَا كُنْتُ لِأَتَمَطَّى الْمَيْسَكَ إِلَى الرَّمَادِ ، وَلَا لِأَمْتَعِي الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَادِ (٢)
فَلِنَّمَا يَنْدِيمُ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً ، وَيَرْغَى الْهَشِيمَ ، مَنْ عَدِمَ الْجِيمَ (٣) وَيَرْكَبُ

== الموت على الذل ، والمرأة الشريفة الحرة ترضى بالجوع ولا ترضى أن تتجور
بشرفها وكرامتها . وتكون مرضعاً بمنزلة الخادم .

(١) البيت للأعشى ، هزان بن يقدم : بطن من العرب ؛ الفراتية : جمع
غروق أو غرنيق وهو الشاب الأبيض الجليل ؛ تزوج الأعشى امرأة من عنزة فلم
يرضاها ، فطلقها وقال فيها من أبيات :

أيا جارني ببني ، فإبك طائفة كذاك أمور الناس غادر وطائفة

وبيني حسان الفرج غير ذميمة ومومونة فينا كذاك وروامة

وذوقني فتي قوم ، فإني ذائق فتاة أناس مثلما أنت ذائقة

وكيف ؟ وفي شبان قومك منكح . وفتيان هزان الطوال الفراتية

وفي شرح العميون « نقد كان في أبناء قومك منكح » ؛ وفي المجموعة
الأدبية « في أبناء عمي » .

(٢) في شرح العميون والمجموعة الأدبية « ولا أمتطي » وفي نهاية الأرب « دون
الجواد » ؛ المعنى : ما كنت لأترك فتیان قومي لأنصرف إليك ، مع أن نسبته
إليهم كنسبة الرماد إلى للسك والثور إلى الجواد ، قال المتنبي :

ومن ركب الثورَ بمسد الجواد رد أنكر أظلافه والنسب

النسب : اللحم المتدلى تحت الحنك .

(٣) في المجموعة الأدبية « فلنما يتيمم من لا ماء له » ؛ الهشيم : النبات .
الياس التسكر ؛ والجيم : الثبت الكبير أو الذي نهض واتشرب ، أو الذي ==

الصَّعْبَ مَنْ لَا ذُلَّ لَهُ^(١) ؛

وَلَمَّا غَرَّكَ مَنْ عَلِمْتَ صَبَوْتِي إِلَيْهِ ، وَشَهِدْتَ مُسَانَفَتِي لَهُ ، مِنْ أَفْكَارِ
الْعَفْرِ ، وَرِيَّاحِينَ الْمَغْرِ^(٢) الَّذِينَ هُمْ السَّكَّوَاكِبُ عَلَوْهُمْ وَالرِّيَّاخُ طَيْبَ شَيْمٍ
مَنْ تَلَقَى مِنْهُمْ تَقُلْ لَا قَيْتُ سَيِّدَهُمْ

مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي^(٣)

فَيَحْنُ قَدْحٌ آيَسٌ مِنْهَا^(٤) ، مَا أَنْتَ وَهُمْ ؟ وَأَيْنَ تَتَعُ مِنْهُمْ ؟ وَهَلْ

== طال بهض الطول ولم يتم غرضه ؛ والمعنى ، برعى النبات المتسكمر من عدم النبات
الأخضر الغض ، وفي شرح العيون « من عدم الحميم » ؛ وشبهه بهذا قول أبي
علي البصير :

لَمَرَّ أَيْبُكَ مَا تُسَبِّحُ الْمَلَى إِلَى خَيْرٍ ، وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمُ
وَالسَّكَنُ الْبِلَادَ إِذَا اقْشَعَرَّتْ وَنُوحٌ نَدَمًا دُعَى الْمَشِيمُ

(١) الصَّعْبُ مِنَ الْمَطَايَا : الْجَامِحُ ؛ وَالذُّلُّ مِنْهَا : السَّهْلُ الْقِيَادُ .

(٢) آثَرْنَا رَوَايَةَ نَهَايَةِ الْأَرْبِ ، وَفِي سِرْحِ الْعُيُونِ وَالْمَجْمُوعَةِ الْأَدَبِيَّةِ « وَرِيَّاحَانَ

الْمَغْرِ » ؛ الصُّورَةُ : الْبَلِّ وَالشُّوْقُ ؛ الْمَغْرِ : الْمَدِينَةُ ،

(٣) الْبَيْتُ مِنْ شِعْرِ عَمِيدِ بْنِ الْعَرَنْدَسِ فِي مَدْحِ بَنِي بَدْرِ الْغَزَوِيِّينَ مِنْ أَيْبَاتِ

يَقُولُ مِنْهَا :

هَيْنُونَ لَيْزُونَ أَيْسَارُ ذَوُوكَرَمٍ مُسَوَّاسٍ مَكْرَمَةٍ أَبْدَاءُ أَيْسَارٍ

مَنْ تَلَقَى مِنْهُمْ تَقُلْ لَا قَيْتُ سَيِّدِهِمْ مِثْلُ الْبُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

(٤) مِنَ الْأَمْثَالِ « حَنْ قَدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا » الْقَدْحُ : أَحَدُ قَدْاحِ الْيَسْرِ ،

وَإِذَا كَانَ أَحَدُ الْقَدْاحِ مِنْ غَيْرِ جَوْهَرِ الْقَدْاحِ ثُمَّ أَجَالَ الْفَيْضَ خَرَجَ لَهُ سَوْتٌ بِحَالِ

أَصْوَاتِهَا فَيَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهَا ؛ وَيُضْرِبُ بِالرَّجْلِ يَفْتَخِرُ بِقِيَلَةِ الْيَسْرِ مِنْهَا أَوْ يَتَمَدَّحُ ==

أَنْتِ إِلَّا وَارُ عَمْرٍو وَفِيهِمْ^(١) . وَكَأَلَوْ شَيْطَانٌ فِي الْعَظَمِ بَيْنَهُمْ^(٢) ، وَإِنْ كُنْتُ
إِنَّمَا بَلَغْتَ قَدْرَ تَابُوتِكَ^(٣) ، وَتَجَافَيْتَ [إِيصِيصِكَ] عَنْ نَعْصِ قُوْتِكَ^(٤) ،

== بما ليس فيه ، وتمثل به عمر بن الخطاب حين أراد النبي ﷺ قتل عقبة بن أبي معيط ،
فقال عقبة : أَأُقْتَلُ مِنْ بَيْنِ قُرَيْشٍ ؟ فقال عمر : « حن قدح ليس منها » ؛ وفي
الجموعة الأدبية وسرح الميون « نحن قدح »

(١) المعنى : إنك لست منهم ، فأنت مثل الواو التي تُلَحَقُ في الكتابة باسم
عَمْرٍو ، وليست من حروفه ؛ والمعنى مأخوذ من قول أبي نواس في أشجيم
السلي :

أَيُّهَا الْمَدْعَى سَلِيمًا سَفَاهَا لَسْتُ مِنْهَا وَلَا قَلَامَةٌ ظَفَرُ
إِنَّمَا أَنْتِ مِنْ سَلِيمٍ كَوَاوٍ أَلْحَقْتُ فِي الْمِجَاءِ ظَلَمًا بِعَمْرٍو
ويروى « قل لمن يدعى ولاء سليم » .

وفي سرح الميون « وأنى تقع منهم » وقد آثرنا رواية نهاية الأرب .
(٢) الشريطة : قطعة عظم تكون زائدة عن العظم الصميم ، أو قطعة خشب
يُسْتَبَدُّ بِهَا الْقَدَحُ ، وهم وشريطة في قومهم أي حشوتهم فيهم ، قال الحسين رضي الله
عنه لعمر بن الماص : « ولعل في قريش ، وإنما أنت منها كالوشيطرة في
العظم » .

(٣) لعل معناها : لا زمت منزلك ، واختفيت فيه معظم وقتك بخلا ، حتى
لا تنورط في النفقات ؛ أو لعل : أتيت بآخر ما عندك ، وأنفقت آخر ما مالك
لتظهر بمظهر الغراء .

(٤) عبارة (إِيصِيصِكَ) زيادة من نهاية الأرب ؛ والمعنى : تنازلت عن بعض
لطفائك لتظهر بمظهر حديد تؤم به الناس أهلك ترى ؛ أي جعت لتتزين -

وَعَطَّرْتَ أَرْدَاكَ ، وَجَرَزْتَ هَمْيَاكَ^(١) ، وَأَخْتَلْتَ فِي مِشْيَتِكَ ، وَحَذَفْتَ
فَضُولَ إِحْيَاكَ^(٢) ، وَأَصْلَحْتَ شَارِبَكَ ، وَمَطَطْتَ حَاجِبَكَ^(٣) ، وَرَقَّتْ
خَطَّ عِذَارِكَ^(٤) ، وَأَسْتَأْنَفْتَ إِزَارَكَ^(٥) ، رَجَاءَ الْإِكْتَابِ فِيهِمْ^(٦) ،

(١) الأردن : أكام القميص ؛ الحميان : السراويل أو كيس يشده
الإنسان في وسطه لحفظ الدراهم ، قال الشاعر :

يشد هميانه على عمام
وفاك من حقه ومن تبه
والمنى : عطرت ملابسك ، وسحبت ذبول التيه والكبرياء ، أو سحبت
كيس النقود لإظهارا للثروة والوجاهة .

(٢) اختال في مشيته : تبحر وتمايل فيها نهبها وكبرا ؛ وحذف فضول لحيته :
قص ما تنار أو شذ فيها من الشعر ليعودها حتى يبدو في مظهر مناسب .
(٣) مسط حاجبيه : تسكبر ؛ أو مدعها لجانبى الوجه بقصد الزينة كما تفعل
بعض السيدات الآن .

(٤) في نهاية الأرب « ودقت خط عذارك » ؛ العذار : منبت اللحية من
الخددين ؛ والمنى : إنك سويت مسيل لحينك في أعلى خديك وجعلتها ، نبتة حنيفة
مبالغة منك في الزينة .

(٥) الإزار : الرداء ؛ والمنى : استأنفت إصلاح ملابسك ومطافف
إقتضيات زينتك .

(٦) أثرنا رواية نهاية الأرب ، وفي شرح العيون والمجموعة الأدبية ما عدا
الاكتنان فيهم « . » ؛ الاكتنان : التستر أى راجيا أن تلتصق في وسط عذرا ،
الفتيان « أقمار المعمر ورياحين المعمر » ، الاكتتاب : الاندماج فى
من اكتتب : كتب نفسه فى ديوان السلطان مع الخاصة .

وَطَمًا فِي الْإِعْتِدَادِ مِنْهُمْ ^(١) ، فَظَنَنْتُ عَجْزاً ^(٢) ، وَأَخْطَأْتُ أَسْئَلَكَ
الْخَفَرَةَ ^(٣) ؛ وَاللَّهِ لَوْ كَسَّكَ نُحْرُفُ الْبُرْدَيْنِ ^(٤) ، وَحَلَّتْكَ مَارِيَةُ
بِالْقُرْطَيْنِ ^(٥) ، وَقَلَّدَكَ عُمَرُو الصَّمَامَةِ ^(٦) ، وَحَلَّتْكَ الْحَارِثُ عَلَى

(١) الاعتداد منهم : الاندماج في عددهم .

(٢) المني منظور فيه إلى قول الخنساء :

وَمَنْ ظَنَّ مَنْ يَلْقَى الْحَرَّ بَآلَا بِصَافٍ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزاً

(٣) هذا مثل يغرب أن يطلب أمراً فيخطئه ، أو ينهياً لمنزلة فلا ينالها .

(٤) محرق هو عمرو بن النذر بن ماء السماء الشهير بعمرو بن هند ، وسمي
بمحرقاً لأنه أحرق مائة من بني حنظلة في ثار أخ له ؛ أما قصة البردين فخلاصتها
أن وفود العرب اجتمعت عند عمرو بن هند ، فأخرج بردين من لباسه ، وقال :
لَيْسَ لِي أَعَزُّ الْعَرَبِ فَلْيَأْخُذْهُمَا ؛ فقام عامر بن أحيمر وأخذها قائلاً : المر كله في معد ،
والمعد في معد ، ثم في تزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في
كعب ثم في يهدلة ؛ فمن أنكر هذا فلينافرني ؛ فسكت الناس ؛ وقال عمرو :
هذه مشيرتك !! فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك ؟ فقال : أنا أبو عشرة وأخو
عشرة وخال عشرة ثم أخذ البردين وانصرف ..

(٥) مارية بنت ظالم بن وهب ، السكندی : زوجة الحارث الأكبر الفسائي
ملك الشام ، كان في قرطبيها أولادان كبيرتان بتوارثهما الملك ؛ وقد وصلت إلى
إلى عبد الملك بن مروان فأمداهما إلى ابنته لما روجها لعمر بن عبد العزيز ، ويقال
إن مارية أهدتهما إلى الكعبة .

(٦) في مروح السون « بالصمصامة » وقد آثرنا رواية نهاية الأرب ،
والجموعة الأدبية ؛ عمرو بن معد يكرب الزبيدي من فرسان العرب الممدودين في
الجاهلية والإسلام ، وقد أبلى في موقعة القادسية أعظم البلاء وله شعر وأخبار
مشهورة ؛ والصمصامة : سيفه ، ويغرب به مثل في المعناء ، يقال إنه توارثه من =

النعمانة^(١) ، مَا شَكَّكَتْ فِيكَ ، [وَلَا تَسْكَلْتُ بِمِلَّةٍ مِنْكَ] ، وَلَا سَتَرْتُ
أَبَاكَ ، وَلَا كُنْتُ إِلَّا ذَاكَ^(٢) .

وَهَبَكَ سَامِيَّتَهُمْ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ وَالْحَسْبِ ، وَجَارِيَّتَهُمْ فِي غَسَايَةِ
الظُّرْفِ وَالْأَدَبِ^(٣) ، أَنْتِ تَأْوِي إِلَى بَيْتِ قَمِيصِدْتُهُ لَكَاعِ^(٤) ؟

== هدايا بامقيس لسليمان عليه السلام؛ وُروى أن عمر بن الخطاب عليه منه، فهداه
إليه فلم يجده كما سمع، فحدثه في هذا فقال: إني بعثت إليك السمصامة، ولم
أبعث إليك اليد التي تضرب به .

(١) الحارث بن عباد التغلبي سيد بني وائل، والنعمانة اسم فرسه، وكان
قد اعتزل حرب البسوس، فلما قتل ابنه فيها اشترك في خوض عمارها، وقال:

قربا مربط النعمانة مني لَقِيَحْتُ حَرْبَ وَائِلٍ مِنْ حِيَالِ

لم أكن من جناتها علم إلا ، وإن يجرها اليوم ميسال

(٢) عبارة « وَلَا تَسْكَلْتُ بِمِلَّةٍ مِنْكَ » زيادة من نهاية الأدب، المعنى:

لو كساك محرق البردين، وحلتك ماريه بالقرطمين... ما حملت من كبر الشك
فيك، لأن عيوبك أظهر من أن تخفى وأرضح من أن تتوارى. باب التبرين
والتصنع؛ وإيساك أن تفتخر بعمل، فلك لأن معايبك تميل أسماك من
الافتخار، ولن تقدر أن تستر نسبك الوضع؛ وإن تسكون إذا عيرك؛
فأنت أنت، مهما تزينت وتصنعت .

(٣) المساماة: المباراة في السمو؛ الذروة: أعلى الشيء؛ الحسب: ما...

الإنسان من مفاخره، أو ما يحسبه من مفاخر آبائه؛ وقيل: حسب سره...
وقيل: الحسب والكرم يكونان في الرء وإن لم يكن له آباء له شرفاء، وهو
ابن السكيت مثل هذا، وزاد أن المجد والشرف لا يكونان إلا بالآباء.

(٤) القميصة: الزوجة؛ اللكاع: اللثيمة النفس، قال الحماني في هجره: و...

أَطَوَّفُ مَا أَطَوَّفُ ثُمَّ آوِي إِلَى بَيْتِ قَمِيصِدْتُهُ لَكَاعِ

إِذْ كَانُمْ عَرَبٌ خَالِي الذَّرَاعِ^(١) ، وَأَيْنَ مَنْ أَنْفَرِدُ بِهِ ، يَمْنُ لَا أَغْلَبُ إِلَّا
عَلَى الْأَقْلِ الْأَخْسَ مِنْهُ^(٢) ؟ وَكَمْ بَيْنَ مَنْ يَعْتَمِدُنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ ،
وَالشَّوَّةِ الْوَافِرَةِ ، وَالنَّفْسِ الْمَقْرُوفَةِ إِلَى ، وَاللِّذَّةِ الْمَوْقُوفَةِ عَلَى ، وَبَيْنَ
آخِرٍ قَدْ نَضَبَ غَدِيرُهُ ، وَنَزَحَتْ يَدُهُ ، وَذَهَبَ نَشَاطُهُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا
ضُرَاطُهُ^(٣) ؟

وَهَلْ يَجْتَمِعُ لِي بِكَ إِلَّا الْحَشَفُ وَسُوءُ الْكَيْلَةِ^(٤) ؟ وَيَقْتَرِنُ لِي بِكَ

= والمعنى : هبك أحرزت جميع الفضائل منهم ، أليس متزوجا ؟ وكيف
أنصرف عن عذب إلى متزوج ؟

(١) المرب : غير المتزوج ؛ خالي الذراع : كناية عن أنه متحرر لا تتعلق
به زوجة ..

(٢) في شرح الميرون « من لا غلب إلا على الأقل ... » وقد آثرنا رواية
المجموعة الأدبية ونهاية الأرب ؛ والمعنى : كيف أوازن بين زوج أنفرد به ، وآخر
لا أنال منه إلا ضلة غيري من الزوجات ؟

(٣) في نهاية الأرب « قد نزع يده ونضب غديره » ؛ نضب غديره :
جف مجرى مائه ، نزع يده : لم يبق سواه ماء ؛ والمعنى : كيف أنصرف عن
الفستى القسبي المصور على وحدي إلى آخر من ذهب حيويته وفتر نشاطه
وبرعت به الملل والأمراض ؟

(٤) الحشف : أردأ التمر ؛ الكيلة : اسم هيئة من الكيل ؛ « أحشفاً
وسوء كيلة ؟ » : مثل يضرب لمن يجمع بين خصتين كريهتين « سوء البضاعة
وتعطيف الكيل » ، وفي نهاية الأرب « وهل كان يجمع لي فيك إلا الحشف
وسوء الكيلة ؟ » .

(م — ٤٢ ديوان ابن زيدون ورسائله)

إِلَّا الْغُدَّةُ وَالْمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ^(١) ؟

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرِو أَذَلَّ الْخَرْصُ أَغْنَاكَ الرُّجَالُ^(٢)

مَا كَانَ أَخْلَقَكَ بِأَنْ تَقْدِرَ بِذَرِيَّتِكَ^(٣) ۥ ۥ ۥ وَتَرْبِعَ [بِذَلِكَ] عَلَى ظَلَمِكَ^(٤) ۥ ۥ وَلَا تَسْكُونَ بِرَأْسِ الدَّالَّةِ عَلَى أَهْلِهَا^(٥) ، وَعَنْزَ الشَّوْءِ الْمُسْتَشِيرَةِ

(١) « غدة كغدة البعير ، وموت في بيت سلولية ۥ ۥ ۥ مثل يضرب في خصاتين تجتمعان وكل منهما شر من الأخرى ؛ وسببه : أن عامر بن الطفيل وفد على النبي ﷺ فقال : يا محمد مالي إن أسلمت ؟ قال ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم ؛ قال نجمل في الأمر بعدك ؛ قال لا ليس ذاك ، إنما ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء ، قال فتجملني على الورى وأنت على الدر ؛ قال لا ؛ فقال عامر وهو منحرف : والله لأملأنها عليك خيلا مجردا وفتيانا مرءدا ، فدعا عليه النبي ﷺ ؛ وعاد عامر ونزل في بيت امرأة من سلول ، فلما أصبح ظهرت له غدة كغدة البعير ، فلما أحس الموت ، قال : « غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ۥ ۥ فصارت مثلا لاقتران المرض بالذل والخوان » .

(٢) البيت لأي المتاعية يخاطب به سلم بن عمرو ، ويليه هذا البيت :

هب الدنيا تصير إليك عفوا أليس مصير ذلك للزوال ؟

(٣) في نهاية الأرب « ما كان أحقك بأن ... » وفي المجموعة لأدبية « ما كان أخلقك أن ... » ؛ ما أخلقك ۥ ۥ ما أجدرك ۥ ۥ تقدر بذرعك ؛ تقيس الأمر بجهلك قبل أن تتورط فيه ؛ الذرع : الجهد ، ومنه ضاق فلان ذرعا ، وأصل الذرع بسط اليد كأنه جهد في بسطها .

(٤) اربع : أقم ، الظلم : النمز في الشيء بما يشبه العرج ؛ « اربعم على ظلمك » : مثل يضرب لمن يكلف نفسه مالا يقدر عليه ؛ ومعناه : أقم على ضعفك وارفق بنفسك أو اسكت على ما فيك . عيب أو على قدر طاعتك ، وفي نهاية الأرب والمجموعة الأدبية « وتربم على ظلمك » .

(٥) في سرح الميون « ولا تسكن برأش » ؛ « على أهلها نجني برأش » .

بِظِلِّهَا لِحَتْفِهَا^(١) ، فَمَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى سِرْحَانَ^(٢) ،
وَبِكَ لَا يَطْفِي أَعْفَرُ^(٣) ، قَدْ أَعْدَرْتُ إِنْ أَعْنَيْتُ شَيْئًا ، وَأَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ

== مثل يضرب لمن يعمل عملاً يرمي ضرره إليه ، واختلفت الروايات في سببه ،
وأما معناه : أن براقة كلبه أقوم من العرب أغير عليهم فهربوا ، ومعهم كلابهم
براقش ، فاتبع المنبرون آثارهم مستدلين بنباح الكلبة حتى أدركوهم فأوقعوا بهم ،
قال حمزة بن يحيى :

لَمْ تَسْكُنْ عَنْ جَنَابَةِ لِحَتْفِي لَا بِسَارَى وَلَا بِعَيْنِي رَمْتَنِي
بِإِلْجَنَابِهَا أَخِي عَلَى كَرِيمٍ وَعَلَى أَهْلِهَا بَرَاقِشُ تَجْنِي
(١) في نهاية الأرب والمجموعة الأدبية : « وعز السوء المستتيرة لحنفها » ؛ ومن الأمثال
« الباحنة عن حنفها بظالمها » ؛ وهو مثل يضرب لمن يمين على الإضرار بنفسه ،
وسببه أن رجلاً أراد ذبح عذرا فلم يجد سكيناً ، فبينما هو يتطلبها إذ بحوت المنز بظلمها
فأستثارت سكيناً فذبحها بها .

(٢) « سقط العشاء به على سرحان » : مثل يضرب لمن أراد غنيمة فقاده إلى
نكبة ؛ والسرحان : الذئب ، ومثله « سقط العشاء به على متقمر » والمتقمر :
الأسد يطلب الصيد في القمراء ؛ والمعنى : أراد أن يتمشى فخرج طالبا عشاءه
فقاده قدماه إلى ذئب افترسه أو أسد بطش به ، وقال ابن الأعرابي : سببه أن
سرحان بن هزلة كان بطلا فأنكاها به الناس ، فاندفع رجل بإياه يطلب الرعي
في وادي سرحان ، فهجم عليه سرحان ففتقه وأخذ إبله ، وقال :

أَبْلَغُ نَمِيحَةٍ أَنْ رَاعَى أَهْلَهَا سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانَ

سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمَّرٍ طَلَقَ الْيَدَيْنِ مِمَّاوِدَ الطَّعْمَانِ

في سرح الميرون والمجموعة الأدبية « فَمَا أَرَاكَ إِلَّا سَقَطَ بِكَ الْعِشَاءُ عَلَى
سِرْحَانَ » وفي نهاية الأرب « إِلَّا قَدْ سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى السَّرْحَانَ » .

(٣) « به لا يطفى أعفر » : مثل يضرب عند الثماته ، أي تزل به ==

حَيًّا^(١) ، [وَقَرَعْتُ عَصَا الْعِتَابِ ، وَحَذَرْتُ سُوءَ الْعِقَابِ]^(٢) ؛
 إِنَّ الْمَصَا قَرَعَتْ لِيذِي الْحَلْمِ وَالشَّيْءُ تَحَزَّرُ^(٣) وَقَدْ يَنْمِي^(٤)
 وَإِنْ بَادَرْتُ بِالْفَدَاةِ ، وَرَجَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِاللَّامَةِ ، كُنْتَ قَدْ

= المكروه ونجا منه الظبي ؛ الأعر الذي لونه مثل التراب ؛ قاله الفرزدق حينما
 بلنه نمي زياد ابن أبيه ؛

أقول له - لما أتاني نبيك - : به لا يظبي في الصريمة أعفرا
 (١) المني ؛ لقد أبلغت في عذرك لو سمعت نصيحتي لا وأسمعتك إن كانت
 بك حياة لا قال دريد بن الصمة ؛

لقد أسمعت لونا دبت حياء ولكن لا حياة إن تنادى لا
 ولو نار انفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد
 وفي شرح الميرون « أعذرت إن أغويت ... »

(٢) ما بين القوسين زيادة من نهاية الأرب ؛ والمني ؛ لقد نهيتك بأهات
 قبل العقاب ، وحذرتك سوء العاقبة ؛ فلا عذر لك بعد الآن ..

(٣) « إن المصا فرمت لذي الحلم » ؛ مثل يضرب لمن يذبحه إذا نبه ،
 وأول من قرعت له المصا عامر بن الطرب ، أو قيس بن خاله ، أو عمرو بن حمزة ،
 وقيل عمرو بن مالك ، وذلك أنه لما طعن في السن أنكروا من عقله شيئا ، فقال أبيه ؛
 إذا أيتهموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره ، أفرموا إلى الجبن بالمصا ، وكان
 إذا فعلوا تنبه وعاد إلى سوابه وإليه أشار الحارث بن وائلة في قوله ؛

وَرَحِمَتْهُمُ الْأَحْلُومَ لَنَا إِنَّ الْمَصَا قَرَعَتْ لَذِي الْحَلْمِ
 وقال التلمس ؛

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع المصا وما تعلم الإنسان إلا ليهما =

اشتريت العافية لك بالعافية منك^(١) ، وإن قلت : « جمجمة » ،
ولا طحننا^(٢) و « رب سلف تحت الراعدة^(٣) » ، وأنشدت :

لَا يُؤْسِنُكَ مِنْ نُحْدَرَةٍ قَوْلُهُ تَغَاظُهُ وَإِنْ جَرَحَا^(٤)
فَعُدَّتْ لِمَا نُهَيْتَ عَنْهُ ، وَرَاجَعْتَ مَا أَسْتَعْفَيْتَ مِنْهُ ، يَهْتُ نَنْ

== « الشئ تحقره وقد ينمى » : مثل يضرب للأمر الصغير يكبر ويستأثرى أمره ، قال الحارث بن وائلة — وقد قتل بعض سادات قومه أخاه — من أبيات :

لَا نَأْمَنُ قَوْمًا ظَلَمَهُمْ وَبَدَأَهُم بِالْشَرِّ وَالْفُتْمِ
أَنْ يَأْبُرُوا نَحْلًا لغيرهم والشئ تحقره وقد ينمى
أى يستولوا على نخل غيرهم فينقلوا طالع التذكير من ذكره إلى الإناث

(١) المعنى : إذا ندمت على ما فرط منك ولت نفسك على ما قدمت من
إساءات فإنك بهذا تشتري نجات نفسك بأن تعفينا من إلحاحك وإلحافك .

(٢) الجمجمة : صوت الرمح ؛ الطحن : الدقيق ؛ « جمجمة ولا طحننا »
مثل يضرب لمن يمد أو يتوعد ولا يستطيع الوفاء ، ويروى : « أسمع جمجمة » ،
ولا أرى طحننا .

(٣) السحاب السلف : كثير الرعد قليل الماء ، وفي المثل « رب سلف
تحت الراعدة » يضرب لمن يتوعد ثم لا يقدر على التنفيذ ؛ أو للبخل الفنى ؛ أو لمن
يكتر الانتخار بلا طائل .

(٤) البيت لبشار بن برد : ومعناه : لا تياس من الوصول إلى قلب امرأة
عجيبة وإن أغلقت لك القال ؛ وبمده :

عسر النساء إلى مياسرة والصعب يركب بعدما جحا

يُرْجِعُكَ إِلَى الْخَضِرَاءِ دَفْعًا ، وَبَسْتَحِثُّكَ نَحْوَهَا وَكَرًّا وَصَفْعًا^(١) .
فَإِذَا صِرْتَ إِلَيْهَا عَيْتَ أَكَارُوهَا بِكَ ، وَتَسَلَّطَ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ^(٢) ،
فَمِنْ قَرْعَةٍ مُعَوَّجَةٍ تَقُومُ فِي قَفَاكَ ، وَمِنْ فُجَلَةٍ مُنْقِنَةٍ يَرْمِي بِهَا
تَحْتَ خَصَاكَ^(٣) ، [ذَلِكَ بِمَا قَدَمْتَ بِدَاكَ^(٤)] ، لِيَتَذَوَّقَ وَبَالَ

(١) استمنى : طلب المني ؛ الخضراء : الزرعة أو اسم ضيعة ؛ استحثت
الفارسين جواده : صاح به أو خبطه برجل أو ضرب ؛ الوكر : الدفع وهو ضرب
الظهر ، وقيل : الضرب يجمع اليد على الذقن أو الظهر ؛ الصفع : الضرب بيد
مبسوطة على القفا أو البدن ، وإذا كانت الكف مقبوضة لا يسمى صفعا ؛
والمني : إذا عدت إلى وقاحتك وتبعجعتك وادعائك بمثث إليك من يسوءك
إلى الخضراء ، ويدفعك بالضرب والصفع المتوالي .

(٢) في نهاية الأرب « صرت بها » ؛ الأكارون : الفلاحون جمع أكار ؛
النواطير : جمع ناطور وهو حافظ الكرم والنخل ، قال المتنبي في هجاء كافور :
نامت نواطير مصر عن ثمالها فقد شمن ، وما تغني المناقيد
والمني : إذا صرت إلى هذه الزرعة انتفض عليك فلاحوها وحراسها
فأذاقوك الوبال .

(٣) المني : ينال الفلاحون والحراس بالضرب والتنكيل فيضربك أحدهم
بالقرعة المعوجة في قفالك حتى تستقيم (وهي لانستقيم أبدا) ، ويدخل آخر
الفجلة في دبرك ، حتى يشهروا بك كل تشهير .

(٤) ما بين القوسين ساقط من نهاية الأرب ؛ والمني : ذلك بسبب فمالك ؛
والعرب تقول : هذا ما كسبت بدأك ، أي فعلناه وإن لم نكن اليد هي
الفاعلة ، قال تعالى : « ذَلِكَ بِمَا قَدَمْتَ بِدَاكَ » ، وأن الله ليس بظلام للعبيد .

أَمْرِكَ^(١) ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ^(٢) ؛

فَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى^(٣)

(١) في نهاية الأرب «لـسـي تـذوق...»؛ الوبال : سوء المأقبة ، قال تعالى :
- في شأن من قتل المـسـيـد وعـو «عـُـرِم - « لـيـذوق و بـال أمره ».

(٢) وترى ميزان قدرك أي نعرف مكانك فلا تتعدها

(٣) البيت للمتنبى في هجاء كافور ، وقوله :

وأسود مشفره نصفه يقال له : أنت بدر الدجى

فما كان ذلك مدحاً له ولكنه كان هجو الورى

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

٢- الرسالة الجديدة

لابن زيدون

الرسالة الجديّة

كتب الشاعر هذه الرسالة من سجنه إلى أبي الحزم
ان جمهور (١)

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَّادِي لَهُ ، وَأَعْتَدَايَ عَلَيْهِ ، وَأَعْتَدَايَ بِهِ (٢) ،
[وَأَعْتَدَايَ مِنْهُ] (٣) ، وَمَنْ أَبْنَاهُ اللَّهُ تَعَالَى (٤) مَاضِي حَدِّ الْعَزْمِ وَارِي

(١) يظهر أن هذه الرسالة وصلت إلينا غير كاملة ، بدليل عبارة ابن بسام
في الذخيرة : « وله من رقعة خاطب بها ابن جمهور من موضع اعتقاله » وبدليل قوله
في أنبا الرسالة : « وفي فصل منها » . وقد اعتمدنا في تحقيق الرسالة على الجزء
الأول من الذخيرة لابن بسام ص ٢٩٢ - ٢٩٧ ؛ كما اعتمدنا على الجزء السابع من
نهاية الأرب للنوري ص ٢٩٠ - ٣٠٢ ؛ وعلى تمام التون في شرح رسالة ابن زيدون
للسفدي ؛ وعلى الجزء الثاني من الواهب الفتحية للشيخ حمزة فتح الله ص ١٧١ - ٢٠٥ .
وقد ذكر السفدي - في تمام التون عند شرحه عبارة « وتأنات في بيمة
العقبة » - هذا النص : « هكذا قاله ابن زيدون ، وهكذا أثبتته ابن بسام عنه في
في الذخيرة ؛ وكذا نقلته من خط علي بن ظافر رحمه الله في كتاب نقائس
الذخيرة له » .

(٢) في الذخيرة ونهاية الأرب « واعتدادي به واعتمادي عليه » ؛ المولى :
ابن العم أو الحليّ أو النعم أو المنق أو العتيق

(٣) هذه العبارة زيادة في تمام التون والواهب الفتحية

(٤) في الذخيرة ونهاية الأرب « واعتمادي عليه ؛ أبقاك الله ماضى حد العزم »

زَنْدِ الْأَمَلِ^(١) ، ثَابِتَ عَهْدِ النُّعْمَةِ ؛ إِنْ سَلَبْتَنِي - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لِبَاسِ
 إِنْعَامِكَ^(٢) ، وَعَظَّمْتَنِي مِنْ حَلِيِّ إِنْشَائِكَ^(٣) ز وَأَظْلَمْتَنِي إِلَى بَرُودِ
 إِسْمَاعِكَ^(٤) ، وَنَفَضْتَ بِي كَفَّ حَيَاظِكَ^(٥) [، وَخَفَضْتَ عَنِّي طَرَفَ
 رِعَايَتِكَ^(٦) ... بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي إِلَيْكَ ، وَتَمَسَّحَ الْأَعْمَى تَذَاوِي
 عَالَمِكَ^(٧) ، وَحَسَّ الْجَمَادُ بِاسْتِنَادِي إِلَيْكَ - فَلَا غُرُورَ^(٨) بِرُقُودِ يَنْفَعِ

(١) وري الزند : خرجت ناره عند فدحه ، والمعنى : جعل الله
 أمك مهياً معداً .

(٢) في الواهب الفتحية « لباس نعمتك » .

(٣) المعنى : إن سلبتني السر الذي أسدلتته علي وانتزعت مني ما حلينني
 به من أنسك وإقبالك (فلا عجب في هذا فقد بنص بالماء شاربته ..)

(٤) البرود : البارد ؛ الإسماع : الإنجماد .

(٥) ما بين القوسين ساقط من الذخيرة ونهاية الأرب ؛ النفذ : الطرح ؛
 الحياطة : الإحاطة بالشئ ؛ المعنى : أعطشتني إلى برد إغاثتك ونفضت مني
 كف رعایتك .

(٦) غصن طرته : خفض بصره ؛ الحماية : الوقاية ؛ المعنى : صرفت عن
 بصرك ، وتركت وقايتي ، فعرت عرصة للمصائب والآلام .

(٧) المعنى : لقد أبصر تأميلي لك كل إنسان حتى الأعمى ، وسمع به كل أمرئ
 حتى الأعمى ، يشير بهذا إلى قول المتنبي :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلهم من به صم

(٨) في الذخيرة « باستنادي إليك » وكذلك في رواية لتسام التون ، وفي
 رواية أخرى فيه وكذلك في الواهب الفتحية « باستنهادي إليك » ، وقد آثرنا
 رواية نهاية الأرب . (٩) لا غرور : لا عجب .

بالتاء شاربته^(١) ، ويقتل الدَّواء المُستشفي به ، ويؤتى الخدير من
تأنيده^(٢) ، [وتسكون ندية المتسنى في أمنيته^(٣) ، والحين قد يسبق
جهد الحريص^(٤)]

كُلُّ المصائب قد تمرُّ على الفتي وتمون ، غير شمانة الحساد^(٥)]

(١) في الذخيرة « فقد يغص » و« قد » هنا للتقليل مثل قولهم : قد يصدق
السكران ، وقد يبدو الحسام ، وقد يبعث الجواد ؛ والمعنى : إن الماء الذي يزيل
الغصة قد يكون هو سبب الغصة ، قال الشاعر :

من غص داوى بشرب الماء غمته فيكيف يصنم من قد غص بالاء ؟

(٢) المعنى : ربما قتل الدواء المريض ، وأصيب المحترس من الجهة التي
كان يطمئن إليها .

(٣) المنية : الموت ؛ الأمنية : الأمل ، قال أبو العتاهية :

وقد يهلك الإنسان من باب أمنه وينجو بإذن الله من حيث يحذر

استمده من قوله تعالى : « وعسى أن تسكروها شيئا وهو خير لكم ، وعسى
أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

(٤) الحين : الموت ، قال عدي بن زيد :

قد يدرك البطيء من حظه والحين قد يسبق جهد الحريص

(٥) ما بين القوسين لم يرد بالذخيرة ؛ والبيت لم يرد في نهاية
الأرب ، وهو لعبد الله بن محمد بن أبي عتبة الهلبي يعاتب ذا البين من أبيات
يقول فيها :

من مبلغ عني الأمير رسالة محصورة عندي من الإنشاد ؛
واظن لي منها لديك خبيثة ستكون عند الزاد آخر زاد =

وَإِنِّي لَا أَتَجَلَّدُ ، [وَأَرَى الشَّامِتِينَ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَمُّعٌ ^(١)] ؛
 فَأَقُولُ : هَلْ أَنَا إِلَّا يَدٌ أَذْمَاهَا سِوَاهَا ^(٢) ؟ وَجَبِينَ نَحْسٌ بِهِ إِكْلِيلُهُ ^(٣) ؟
 وَمَشْرِفِي الصَّقَّةُ بِالْأَرْضِ مَسَاقِيلُهُ ^(٤) ، وَسَمْهَرِي عَرْضُهُ عَلَى النَّارِ مُدْتَنِّفُهُ ^(٥) ؟

= مالى أرى أمرى لديك كأنه - من ثقله - طود من الأطواد ؟
 كل العائب قد تمسح على الفتى وتهون ، غير شمانة الحساد
 (١) ما بين القوسين ناقص من الذخيرة ، وفي نهاية الأرب « وإني لأتجلد .
 وأرى الشامتين أنى لا أتضمض ، وأقول . . . » ؛ وهو مقتبس من بيت لأبي
 ذؤيب المذلى في قصيدة يرثى بها أولاده :

وتجأدى للشامتين أريهمو أنى لرب الدهر لا أتضمض
 والبيت من قصيدة طويلة أوردها صاحب جمهرة أشعار العرب مظاهها :
 أمن النون وريها تتوجع ؟ والدهر ليس بمعتب من يجزع
 (٢) المني : إذا آلى الأمير بمقابله فقد زانى بإمامه ؛ فإساءته ناجمة عن
 إحسانه ، كاليد التي يدميها السوار ؛ وهو معنى مأخوذ من المتنبي حيث يقول :
 « ألبتو كعب وما أرت فيهم يدٌ لم يدمها إلا السوارُ
 لها من قطعه ألم ونقص وفيها من جلالته افتخار
 (٣) في الذخيرة وبعض نسخ نهاية الأرب « عضه إكليله » ، الإكليل :
 التاج أو عصابة للرأس مكللة بالزواجر .

(٤) مشرفي : سيف منسوب إلى مشارف (نسبة غير قياسية) وهى قرى
 بين مشهورة بصناعة السيوف الجيدة ؛ الصاقل : الحداد الذى يحمل السيوف .
 (٥) السمهرى : الرمح الصلب ، أو منسوب إلى سمهر وهو رجل اشتهر
 بتقويم الرماح ؛ والتخفيف : التقويم .

[وَغَيْدٌ ذَهَبَ بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الذِّبْيِ يَنْوَلُ]

فَتَسَا لِيَزْدَجِرُوا ، وَمَنْ يَلِكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ ^(١)

هَذَا الْعَتَبُ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ ^(٢) ، وَهَذِهِ النَّبُوءَةُ غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي ^(٣) ،

وَهَذِهِ النَّسَكَةُ سَحَابَةٌ صَيِّفٌ عَنْ قَرِيبٍ نَقَّشُ ^(٤) ، [وَلَنْ يَرِيْبَنِي مِنْ]

(١) ما بين القوسين ساقط من الذخيرة ؛ الازدجار ؛ الارتداع ؛ والمبيت

من نصيدة لأبي تمام في مدح مالك بن طوق مطلقا ؛

أرض معددة وأخرى تشجم منها التي رزقت ، وأخرى محرم

(٢) في الذخيرة ونهاية الأرب « والعتب محمود عواقبه ، والنبوة ...

والنسكة ... » ؛ العواقب ؛ جمع عاقبة ، وهي آخر كل شيء ؛ وقد أخذ هذه

الأمثلة من قول المتنبي ؛

امل عتبك محمود عواقبه ورما صحت الأجسام بالملل

(٣) النبوة ؛ البعد أو الجفوة ؛ الغمرة ؛ الشدة الشديدة ؛ تنجلي ؛ تذهب

وتنكشف ، ومن الأمثال « غمرات ثم تنجلين » ومنه قول الرازي ؛

الغمرات ثم ينجلين ... عتبا ، وينزلن بآخرين ... شدائد يلقين ابن

وقال شرف الدين المبارك ؛

وما هي إلا غمرة ثم تنجلي سريعا ، وإلا نبوة تتسرم

(٤) آثرنا رواية الذخيرة ونهاية الأرب ، وفي تمام المتن « عن فليل

نقشتم » ؛ نقشمت السحابة ؛ أقلت ، قال ابن الخياط ؛

سحابة بر أن منها انقشاعها وأيكة مجد حان منها ذبولها

سَيِّدِي أَنْ أَبْطَأَ سَحَابُهُ^(١) ، أَوْ تَأَخَّرَ - غَيْرَ صَنِينَ - عَنَاوُهُ^(٢) ، فَأَبْطَأَ
الدَّلَاءَ فَيَضَا أَمْلَاؤُهَا^(٣) وَأَثْقَلَ السَّحَابَ مَشْيَا أَحْقَلُهَا^(٤) وَأَنْفَعُ الْحَيَا
مَا صَادَفَ حَذْبًا^(٥) ، وَالَّذِ الشَّرَابِ مَا أَصَابَ غَلِيلًا^(٦) ، وَمَعَ الْيَوْمَ غَدًا^(٧) ،

(١) في رواية لتمام المتون : « أَنْ أَبْطَأَ سَقْبُهُ » ؛ يَرِيئِي : يحملني على
الشك والارتياب .

(٢) صَنِينَ : بخيل ؛ غَنَاوُهُ : نغمه .

(٣) من الأمثال : « لَمَلْ أَبْطَأَ الدَّلَاءُ أَمْلَاؤُهَا » ، قال ابن المنذر :

قلت : - وقد صاح رافعاً يده - دعوا البرايا لله يكاؤها

واستيقنوا بالدواء منه ، كما أَبْطَأَ وفر الدلاء أملاؤها

(٤) أَحْقَلُهَا : أكثرها امتلاءً ، قال المتنبي :

ومن الخـير بقاء سبيك عني أسرع السحب في السير الجمام

(٥) الحيا : الطير ، الجذب : القفر ، وشبيه به قول ابن حيوس :

وإن ألد القرب ما قبله نوى وأحلى وصال ما تقدمه صد

(٦) الغليل : العطش ، ومنه قول كشاجم :

هنا الشراب أخو الحياة ، وماله من لذة حتى يصيب غليلا

(٧) من الأمثال : « إن مع اليوم غدا » : أي إن الحالات تتغير ، والدول تنقلب ،

قال ابن طباطبا العلوي :

يا من يخاف أن يكو ن ب ما يكون - سرمد

أما سميت قولهم : إن مع اليوم غدا ؟

وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ^(١)

لَهُ الْخَمْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ^(٢) وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ^(٣) :

فَإِنْ يَكُنِ الْفَعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَرْنَ الْوَفَّ^(٤)

(١) الأجل : المدة ، والجملة مقبوضة من الآية الكريمة « وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله » ، لكل أجل كتاب « ومعناها : لكل أجل كتاب أثبتته الله فيه لا يتقدم عنه ولا يتأخر » قال تعالى : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

(٢) الاهتبال : الاغتنام والاحتياط ، أو التكل ، أو الفرصة ، أو القصاص ، وفي الحديث « من اهتبل جوعة » ، ومن كان له كيت وكيت « أي تحيئها وأعتد لها » ، واهتبل وتهبل : تسكسب ، والهبال : السكسب المحتمل ؛ والمعنى : للأمير الحمد على ما أغنمته من إياه .

(٣) ورد ما بين القوسين في الذخيرة ونهاية الأرب كما يأتي : « عن قريب تنشق » ، وسيدى إن أبطأ مذكور ؛ فإن يكن الفعل .. « الإغفال : الترك والإهمال ، وقرب من هذا قول البهاء زهير :

ومن شغفى فيكم ووجدى أننى أهون ما ألقاه وهو هوان
ويحسن قبحُ الفعل إن جاء منكم كما طاب ربح المود وهو دخان
(٤) هذا البيت للمتنبي من أبيات يعاتب فيها أبا العشائر على أن أغرى به غلامه فرماه بنباله قائلا : خذها وأنا غلام أبي العشائر ، فقال المتنبي :

ومنتسب عندي إلى من أحبه ولنبيل حولي من يديه خفيف
فهيج من شوقي ، وما من مذلة حنفت ، ولكن الكريم ألوف
فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا فأفعاله اللائي سررن ألوف

وَأَعُوذُ فَأَقُولُ : (١)

[مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسْعَهُ عَمَلُكَ ؟ وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ مِنْ
وَرَائِهِ حِلْمٌ ؟ وَالنَّطَاطُلُ الَّذِي لَمْ يَسْتَعْرِفْهُ تَطَوُّلُكَ (٢) ؟ وَالتَّحَامُلُ الَّذِي لَمْ
يَفِ بِهِ اخْتِيَالُكَ (٣) ؟ وَلَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا فَأَيْنَ التَّدَلُّ ؟ أَوْ مُسِيئًا
فَأَيْنَ التَّفَضُّلُ (٤) ؟]

إِلَّا يَسْكُنْ ذَنْبٌ فَمَعْدَلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ (٥)

(١) في القصيدة بدل هذه العبارة « وليت شعري ما الذنب ؟ » وفي
نهاية الأرب « وليت شعري ما الذنب ؟ »

(١) النطاول والاستطالة : الترفع والتكبر ؛ وفي الحديث « أربى الربا
الاستطالة في عرض الناس » أي استحقارهم والترفع عليهم والوقيمة فيهم ،
التطاول : التفضل والاحسان .

(٢) التحامل : الكاف على مشقة ، وتحامل على نفسه : تسكف الأمر على
مشقة ، والتكاف أيضا : النيل ، يقال : تحامل عليه أي مال عليه ؛ الاحتمال :
الغزو والإغضاء .

(٣) في إحدى روايات تمام التوكل « بريئاً فأين عدوك ؟ أَوْ مُسِيئاً فَأَيْنَ
فَضْلُكَ ؟ » .

(٥) البيت للبحتري في مدح الخليفة التوكل وهتابه من قصيدة مطالعها :

شوق إليك تفيض منه الأدمع وجوى عليك تضيق عنه الأضلع

حَنَانِيكَ^(١) ۱۱ قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَيْحَةَ^(٢) ، وَبَالَغِي مَا خَشِي بِهِ^(٣) ۱۱
وَكَفَى ۱۱^(٤) وَمَا أَرَانِي إِلَّا نَوْ [أَنِي]^(٥) أُمِرْتُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ
فَأَبَيْتُ [وَأَشْتَكِبَرْتُ]^(٦) ، وَقَالَ لِي نُوحٌ : « أَزَكِبُ مَعَنَا »
فَقُلْتُ : « سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِيَنِي مِنَ الْمَاءِ^(٧) » وَأُمِرْتُ بِبِنَاءِ

(١) حنانيك ۱۱ وال حنانك ورحمتك حناناً بعد حنان ، قال طرفه بن العبد

للنعمان بن المنذر :

أبا منذر أفنيت ۱۱ فاستبق بعضنا حنانيك ابعض الشرا هون من بعض

(٢) الزبي : جمع زبية وهي حفرة تتخذ لصيد الأسود وتختار في مكان مرتفع

لا يملوه الماء ، فإذا بلاءها السيل كان جارفاً مجحفاً ؛ وهذا مثل يضرب لكل
ما تجاوز الحد .

(٣) المعنى : لقد أصابني ما فيه كفاية لي من الآلام .

(٤) ورد ما بين القوسين في الذخيرة ونهاية الأرب على الصورة الآتية :

« ما الدب الذي أذنبت ولم يسمه الغزو ؟ ولا أخلوا من أن أكون بريئاً
فأين المدل ؟ أو مسيئاً فأين الفضل ؟ » .

(٥) زيادة عن تمام المتون والمواهب الفتحية .

(٦) ما بين القوسين ساقط من الذخيرة ؛ أخذ الشاعر بمدد كبار الذنوب ، ويقوله :

لو أني ارتكبتها جميعاً لكفاني ما نالته من عقابك ؛ وكان أولى به أن يمدد بمواقف
الصفح ويشيد بمواقف العلماء ؛ وقد ابتدأ بذكر إبليس ونكبره عن السجود
لآدم عصياناً منه لأمر الله ..

(٧) أشار إلى قصة سيدنا نوح عليه السلام وطلبه من ابنه الجاحد أن =

الصرح^(١) أَمَلَى أَطْلَعَ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى^(٢) ، وَتَسَكَّنَتْ عَلَى الْمِجَلِ^(٣) ،
وَاعْتَدَيْتُ فِي السَّبْتِ^(٤) ، وَتَعَاظَيْتُ فَمَقَرْتُ^(٥) ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ

== يركب منه في السفينة لينجوا من الطوفان فرفض وقال : « سَأَوَى إِلَى جَبَلٍ
يَمُصُّنِي مِنَ الْمَاءِ » فقال له أبوه : « لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مِنْ رَحْمِهِ ،
وَحَالُ بَيْنَهُمَا الْوَجْهُ فَسَكَانُ مِنَ الْغُرَقَيْنِ » سورة هود آية ٤٢ ، ٤٣ «

(١) الصرح : القصر أو كل بناء عال ، يشير إلى قصة فرعون وطلبه من
وزيره هامان بناء صرح عال كما ورد في الآية الكريمة « وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ
ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي
لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا » سورة طافر : ٣٦ : ٣٧ .

(٢) ما بين القوسين « وقال لي نوح ... إله موسى » ساقط من النسخة .

(٣) إشاوة إلى المجل الذي صنمه السامري ابني إسرائيل فعبدوه من دون الله
ولم ينتظروا رجوع موسى عليه السلام من النجاة « راجع قصته في سورة
الأعراف ١٤٨ - ١٥٢ ، وسورة طه : ٨٣ - ٩٨ »

(٤) إشاوة إلى تحريم الصيد على بني إسرائيل يوم السبت وعصيانهم لهذا
الأمر وانتقام الله منهم « سورة الأعراف : ١٦٣ » .

(٥) تعاطى : قام على أطراف أصابعه ، ثم رفع يده منهيًا للضرب
أو الطعن ؛ عقر : جرح ، وعقر البعير : ضرب قوائمه بالسيف أو ذبحه ؛ إشارة
إلى قصة الناقة التي خلقتها الله من الصخر ممجدةً لآية صالح عليه السلام وعقرها
أحد الطغاة من قومه ثمود « سورة القمر : ٢٧ - ٣٠ ، وسورة الشمس :
١١ - ١٥ » . وقد وردت هذه العبارة في نهاية الأرب قبل قوله « وأسرت ببناء
الصرح ... »

(م - ٤٤ ديوان ابن زيدون ورسائله)

الَّذِي انْتَلَى بِهِ حُنُودُ طَالُوتَ^(١) ، وَقَذَتْ الْفِيلَ لِإِرْهَةِ^(٢) ،
وَعَاهَدَتْ قَرِيْشًا عَلَى مَا فِي الصَّحِيفَةِ^(٣) ، وَتَأَوَّلَتْ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ^(٤) .

(١) في الذخيرة « وشربت من الهر »؛ وفي بعض نسخ تمام التون « جيوش و
طالوت » وكذلك في الواهب الفتحية ، وقد آثروا رواية الذخيرة ونهاية الأرب
وما صح من تمام التون مسابقة لفظ القرآن الكريم؛ والإشارة هنا إلى أن الله بعث
طالوت ملكا ابني إسرائيل لينتقم من عدوه الطاغية جالوت ، وقد أوصى طالوت
جنده ألا يشربوا من الهر بمعنى معظمهم أمره « فشربوا منه إلا قليلا منهم » سورة
البقرة : ٢٤٦ - ٢٥٢ .

(٢) إشارة إلى قصة إرهة وتجهيزه جيشا لهدم الكعبة يقدمه فيل ضخم ؛
فلما وصل إلى مكة شقت الله شمل الحبش وحطمت جندوده فرجع مهزوما مكسورا
« سورة الفيل » وفي الذخيرة « وقذت لإرهة الفيل » .

(٣) لما رأى مشركو مكة انتشار الإسلام وإيمان عمر بن الخطاب وغيره
من الأشراف به اجتمعوا وتعاهدوا على ألا يقدروا صهرا مع بني هاشم ولا يتحجروا
مهم ، وكتبوا هذا العهد في صحيفة علقوها في جوف الكعبة توثيقا وتوكيدا ،
فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى شحيب أبي طالب وظلوا كذلك سنتين أو ثلاثا
حتى أجهدم الضيق ، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سرا يستخفي به من أراد
صلتهم من قريش؛ حتى نقض الصحيفة نفر من عقلاء قريش .

(٤) إشارة إلى بيعة الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة التي بين مكة
ومدى ، وهي ثلاث بيعات : ببيعة في الأولى ستة من الأوس ، وفي الثانية اثنا عشر
منهم الستة الذين بايعوه أولا ، وفي الثالثة سبعون وامرأتان ؛ وروى الصفدي
أن الذين بايعوه أخيرا ثلاثة وتسعون وامرأتان ؛ قال الصفدي : « لم أنف
مما علمته على أن أحدا من أهل الملم بالسيرة تناول في بيعة من البيعات أو صدر منه
بعد المبايعة فعل يخالف قوله » ثم أول كلام ابن زيدون بأن مراده : لو حدث أن
أحدا نقض البيعة متأولا ونقضت هامة مقترنا هذه الكبيرة ... (لكان فيما نالت
من العقاب ما يكفي) .

وَنَفَرَتْ إِلَى الْعِيرِ بِبَدْرِ^(١)، وَانْخَذَاتِ بِثَلْثِ النَّاسِ نَوْمَ أَحَدٍ^(٢)، وَتَخَلَّفَتْ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ^(٣)، [وَجِئْتُ بِالْإِنْفِكِ عَلَى عَائِشَةَ السَّدِيقِيَّةِ^(٤)]،

(١) يشير إلى غزوة بدر الكبرى ، فقد علم أبو سفيان زعيم المشركين أن المسلمين سيتمرضون لقافلته التجارية أثناء عودته من الشام ، يخاف الطريق الممهد ، وأرسل إلى قريش بمكة يستنفرهم إلى إلقاء أمرهم ، فنفروا مراعاة والتحموا مع المسلمين في موقعة بدر الكبرى ونصر الله الإسلام ؛ العير : الإبل التي تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة .

(٢) أحد : جبل يقع شمال المدينة التحم عنده المسلمون بالشركين فقتل من المسلمين حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم وكثير من أبطالهم ، وانخدع من المسلمين عبد الله بن أبي بن سلول — رأس المنافقين بالمدينة — بثلك الناس ، وترك النبي وأصحابه في الميدان .

(٣) ما كاد المسلمون يعضون سلاحهم بعد غزوة الخندق حتى أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالنهوض لغزو بني قريظة فذلا : « لا يستدين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة » فنفروا إليها ؛ وأدركتهم العصر بالطريق فصلاها بهم ففهموا منه لأمر النبي ﷺ بأن القصد منه السرعة ، وأخبرها الباقر حتى فات وقتها امتثالا لنص الأمر الكريم ، فلم يمتنع رسول الله ﷺ أحدا منهم ، فلا وجه لابن زيدون في عده التخلف من الذنوب ؛ وفي الذخيرة « وتخلفت عن سلاتي ... » .

(٤) لم ترد هذه الجملة في الذخيرة ، ولم ترد كلمة « السديقية » في نهاية الأرب ؛ وملخص حديث الإنفك أن النبي ﷺ قفل من غزوة بني المصطلق ، وكانت السيدة عائشة أم المؤمنين معه ، فتخلفت في مكة ، بالطريق تلتمس عقداً انفرط منها ، ثم أدركها صفوان بن المطلب السلمي فأركبها بهيره وعلق بها الجيش ، فأطلق المناقون ألسنتهم فيهما بغياً وبهتاناً حتى نزل القرآن الكريم يبرأهما

« سورة النور : ١١ - ٢٦ » .

وَأُيِّنَتْ مِنْ إِمَارَةِ أَسَامَةَ^(١)، وَزَعَمْتُ أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً^(٢).

وَرَوَيْتُ رُحَيْمِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ^(٣)، [وَزَعَمْتُ الْأَدِيمَ الَّذِي بَارَكْتَ

(١) في نهاية الأرب « وأُيِّنَتْ مِنْ إِمَارَةِ أَسَامَةَ » ؛ يشير إلى أن النبي ﷺ أعد جيشا لغزو الروم وأمر عليه أسامة بن زيد بن حارثة ، وكان في هذا الجيش كبار المهاجرين الأولين مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة ... فانتقد جماعة إمرة أسامة على هذا الجيش وفيه أمثال هؤلاء ، وهو شاب لم يبلغ سبع عشرة سنة . وبخاصة أن أباه من الموالى أعتقه رسول الله ﷺ ؛ فلما بلغ النبي هذا النقد غضب غضبا شديدا ، وكان مريضا فخرج من بيته ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، أيها الناس ، فإني أقال بلفظي عن بعضكم في تأميري أسامة ؟ ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وإيم الله إنه كان خليقا بالإمارة ، وإن ابنه من يمه خلقي بها » فاذعن الجميع ؛ وتوفي النبي ﷺ فأمرني أبو بكر إنقاذ هذا الجيش بقيادة أسامة ؛ ولانبي ﷺ حكم في هذه الإمارة منهاهات جميع الشباب وتأهيله لهما الأمور ، ومنها المساواة بين السادة والموالى ، ومنها أن يأخذ أسامة بأمر أبيه من الروم ، فضلا عن أن أسامة بهذه الإمارة جدير .

(٢) في التذخيرة « وزعمتُ أن خلافة السديق فلته » وفي نهاية الأرب « أن خلافة أبي بكر كانت فلته » وقد وردت هذه الجملة في خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما بلغه أن ناسا يقولون : لو مات أمير المؤمنين لبايعنا فلانا ، فقال من خطبة طويلة : « ... وقد بلغني أن قائلا يقول : لو مات عمر لبايعت فلانا ؛ فلا يفترون أمروا منكم أن يقول : كانت بيعة أبي بكر فلته ، وليس فيكم من تقطع دونه الأعناق مثل أبي بكر وإنه كان من خيرنا ... » .

(٣) كان أبو شجرة السلمي من فُتُك العرب جمع قومه والمرتبين من العرب لقتال خالد بن الوليد بعد فضائه على المرتدين من بني حنيفة ، وقال في هذا :

وَرَوَيْتُ رُحَيْمِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَ أَنْ أَعْمُرَا =

يَدُ اللَّهِ فِيهِ ^(١)، وَضَحَّيْتُ بِالْأَشْمَطِ الَّذِي عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ ^(٢) [وَبَدَلْتُ أَقْطَاعَ
ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً وَضَرَبْتُ عَلَى بِالْحُسَامِ الْمُسَمِّ ^(٣)

= وعارضتها شهباء تخطر بالقنسا ترى البيض في حافاتها والسَّنُورُ
السَّنُورُ: لبوس من الجلد كالدرع، أو جملة السلاح؛ ثم أسلم أبو شجرة بعد هذا.
(١) لم ترد هذه الجملة بالذخيرة؛ وفي تمام المتن «باركت يد الله عليه»؛
الأديم: الجلد؛ يشير إلى فتك أبي إزاة المجوسي بعمربن الخطاب رضي الله عنه
حين طمنه بمنجبره، وقول الشماخ فيه:

جزى الله خيرا من إمام، وباركت يدُ الله في ذاك الأديم المزق

(٢) الأشمط: الذي في شعره بياض يخالطه سواد؛ عنوان السجود به؛
في جبهته أثر من كثرة السجود، قال تمالى «سيهام في وجوههم من أثر السجود»
والإشارة هنا إلى مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقول حسان في رثائه:

سَجَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يَقَطُّعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحًا وَقَرَأْنَا
اتَّسَمَنَ وَشَيْكََا فِي دِيَارِهِمْ «الله أكبر»، يا ثارات عثمان !!

(٣) في نهاية الأرب «بالحسام المخدَّم» أي المرفف القاطم؛ والإشارة هنا
إلى مصرع الإمام علي رضي الله عنه بيد عبد الرحمن بن ملجم، وكان قد تقدم
لخطبة قُطَام فاشتطت عليه أن يبذل في صداقتها: ثلاثة آلاف وعبدا وجارية
مفنية وقتل علي، فقال:

ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَعَبْدٌ وَقَيْنَةٌ وَضَرَبْتُ عَلَى بِالْحُسَامِ الْمُسَمِّ
فَلَا مَهْرَ أَغْلَى مِنْ عَلَى، وَإِنْ غَلَا وَلَا فَتَكَ إِلَّا دُونَ فَتَكَ ابْنِ مَلْجَمٍ
وقال لما: والله ما أنيتُ إلا لفتك به، ولا أقدمني هذا المصرا غير ذلك؛
وعبد الرحمن بن ملجم أحد ثلاثة من الخوارج تأمروا على اغتيال علي ومعاوية
ومعمر بن العاص فأساب الأول وأخفق الأخيران.

وَكُنْتُ إِلَى عَمْرِ بْنِ سَعْدٍ : أَنْ جَمَعَ بِالْحُسَيْنِ ^(١) وَتَمَثَّلَتْ عِنْدَهُ
بِلَفَنِي مِنْ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ ^(٢) :

لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُرُ شَهْدُوا جَزَعَ الْقَرْجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ ^(٣)
(قَدْ قَتَلْنَا الْقَرْنَ مِنْ أَشْيَاخِهِمْ وَتَدَلَّنَا بِبَدْرِ فَأَعْتَدَلْ) ^(٤)

(١) قاد عمرو بن سعد بن أبي وقاص جيشا لقتال الحسين رضي الله عنه
حين خرج إلى السكونة بإشارة من أهلها إياهموه ، ، وقدسها ابن زيدون حيث
جعل الرسالة مرسلة إلى عمرو بن سعد ، ، والحقيقة أن الرسالة كتبها عبيد الله
ابن زياد إلى الحر بن يزيد التميمي الذي انتدبه لقتل الحسين يقول فيها :

« أما بعد فجمع بالحسين حين يبلغك كتابي ، ويقدم عليك رسولي ،
فلا تنزله إلا بالراء ، في غير حصن وعلى غير ماء ... » ؛ فجمع به ؛ أحبسه
أو ضيق عليه .

(٢) حرّة واقم : إحدى حرائر المدينة وهي الشرقية ، وسبب الوقعة أن أهل
المدينة ، ثاروا في سنة ٦٣ هـ على يزيد بن معاوية وخلصوا بيعة وحاصروا بني أمية
بالمدينة ، فبعث إليهم يزيد بجيش يقوده مسلم بن عقبة ، فقتل عددا كبيرا من الرجال
واستباح النساء والأموال ؛ ولهذا سُمِّيَ مسلم مُسِيرًا لشدة مرفقه في سفك
الدماء ، وقد تمثل يزيد بالبيتين ، وهما من شعر عبد الله بن الزبيري في الفخر
بانتصار الشركين على المسلمين في أحد .

(٣) في بعض نسخ تمام التوثيق « ليت أشياخي يبدروا علموا » ، الأسلي : إلماح
(٤) لم يرد هذا البيت في سلب الرسالة إلا في نهاية الأرب ، القرن :
السيد ، القرن : كفؤك في الشجاعة أو من يقاومك في علم أو قتال أو غير ذلك ؛
والبيتان لعبد الله بن الزبيري مفتخرا بانتصار قريش على المسلمين يوم أحد ،
ورواية الشطر الأول من البيت الثاني في سيرة ابن هشام « فقتلنا الضف من
أشرافهم وعدلنا ميل بدر ... » .

وَرَجَعْتُ الْكَعْبَةَ ، وَصَلَّيْتُ الْعَائِدَةَ بِهَا^(١) عَلَى النَّمِيَةِ^(٢) [لَسَّكَانَ فِيهَا
جَرَى عَلَى مَا يُحْتَمَلُ أَنْ يُسَمَّى نَسْكَالًا ، وَيُدْعَى - وَلَوْ عَلَى الْمُجَازِ - عِقَابًا :
وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَ^(٣)]

* * *

فَكَيْفَ^(٤) ؟ وَلَا ذَنْبَ إِلَّا نَمِيَّةٌ أَهْدَاهَا كَاشِحٌ ، وَتَبَأُ جَاءَ بِهِ
فَاقٍ^(٥) ، [وَهُمْ الْهَمَّازُونَ الْمَشَّاءُونَ بِنَمِيمٍ^(٦) . وَالْوَاشُونَ الَّذِينَ

(١) زيادة عن نهاية الأرب .

(٢) ما بين القوسين لم يرد بالذخيرة ؛ والإشارة هنا إلى محاصرة الحجاج
لكعبة الكرمة أثناء ثورة عبد الله بن الزبير بها ، وقذفه المسجد الحرام بمحجراته المنجنيق
من فوق جبل أبي قبيس حتى تهدم ، ثم قتله عبد الله بن الزبير وصلبه إياه على
الثنية . وقد سُمِّيَ عبد الله بن الزبير عَائِدًا لأنه عاذ ببيت الله الحرام .

(٣) المعنى : لو فعلت هذه الذنوب جميعها لكان ما وقع على من المقاب كافيا
بل كان فوق ما أستحق من جزاء ، وأصبح تنكيلا ، وحسبك من المقاب
ما يشير رحمة الأعداء قبل الأولياء . والبيت للمعنى ، وقيل لعبد الممد بن المذل

(٤) المعنى : كيف أنعرض لهذا النكال ؟ وألاقي هذا المقاب مع أني غير مذنب .

(٥) النميّة والتّميم : السعى بين الناس بالفتنة ونقل الأحاديث الثيرة
الكاذبة للإيقاع والإغراء ؛ الكاشح : الذي يضر المدا ؛ الفاسق : الخارج
عن طاعة الله ؛ قال تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ
تَصِيبُوا قَوْمًا يَهِيمُونَ فَتَصَيَّبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » .

(٦) المهملون : المتناهبون الطمانون الذين يتناولون أعراض الناس بالتشهير ؛
التميم : النميّة وهي نقل الكلام السيء بقصد الوقعة ؛ قال تعالى في حق الوليد =

لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْدَعُوا الْعَصَا ^(١) ، وَالنَّوَاةُ الَّذِينَ لَا يَتْرَكُونَ أَدِيمًا
صَحِيحًا ^(٢) ، وَالسِّمَاءُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ^(٣) ، فَقَالَ :
« مَا ظَنُّكَ بِقَوْمِ الصَّدَقِ تَحْمُودُ إِلَّا مِنْهُمْ » ^(٤) .

== ابن الغيرة « ولا تطعم كل حلاف » ابن همام مشاء بنميم ... « وقال صلى الله عليه
وسلم « لا يدخل الجنة تمام » .

(١) الصدع : الشق ؛ صدع العصا : تفريق الجماعة ، أو الخروج على جماعة
المسلمين ، قال كثير عزة :

لأمر أبي الوائشين لا تمسّر مريم لقد كافوني خبطة لا أريدها
ولا يلبث الوائشون أن يصدعوا العصا إذا هي لم يصاب على البرى عودها

(٢) النواة : جمع نواة وهو الضال أو الخائب ؛ الأديم : الجلد ؛ كتب
عبد الملك بن مروان إلى الحجاج « والبيتان ينسبان إلى الإمام على » :
ولا تُسَفِّسْ سِرِّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنْ اسْكَلْ نَصِيحَ فَضِيحَا
فإني رأيت نواة الرجا ل لا يتركون أديما صحيحا

(٣) السماء : جمع ساع وهو الماشي ، ثم غلب في العرف على من يذكر
الناس بالسوء ويسمى بينهم بالوقيمة ؛ الأحنف بن قيس : سيد من سادات تميم
شرب به الثل في الحلم والسؤدد والحكمة ، ومن حكمه : رب غيظ قد تجرعت
مخافة ما هو أشد منه ؛ ثلاث ما أقولهن إلا ليعتبر معتبر : لا أخلف جليسي
بنير ما أحضره به ، ولا أدخل نفسي فيما لا مدخل لي فيه ، ولا آتي السلطان
أو يرسل إلي . وسأله معاوية يوما في أمر بلغه عنه ، فأنكر الأحنف ، فقال
معاوية : الثقة بلغني ، فقال الأحنف : الثقة لا يبلغ .

(٤) المعنى : الصدق رأس الفضائل ، والكذب أسوأ الرذائل ، ولكن الصدق
في بعض المواطن وبال ؛ ولهذا يُسْتَحَسَبُ الكذب في الصلح بين متخاصمين ،
أو في السكيد للأعداء في ميادين القتال ، أو في دفع شر محقق النكال .

خَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ رَأَى اللَّهِ لِمَرَّةٍ مَذْهَبُ [١]
وَاللَّهُ مَا غَشَّشْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ [٢] ، وَلَا أُنْحَرَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاعِغِيَّةِ [٣] ،
وَلَا نَصَبْتُ لَكَ بَعْدَ التَّشْيِيعِ فِيكَ [٤] ، [وَلَا أَرْمَعْتُ بِأَسَا مِنْكَ مَعَ صَدَائِكِ
تَكْفَلْتُ بِهِ الثَّمَّةُ عَنْكَ [٥] ، وَعَهْدِي أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ [٦] ؛ فَفَيِّمِ

(١) البيت من قصيدة للناطقة الديباني يمتدح فيها للنعمان بن المنذر ، ومعناه :
لقد أقسمت لك على براءتي ، فلم أدع لك مجالاً للشك ، وليس تمت حكمي بحكمي
إليه بعد الله . وبعد هذا البيت بأبيات :

لئن كنت قد بُلِّغْتَ عني خيانة لَمُبْلِغِيكَ الْوَائِي أَغْشُ وَأَكْذِبُ
وما بين القوسين ساقط من الذخيرة ونهاية الأرب .

(٢) الغش : التدليس والتضليل ؛ قال صلى الله عليه وسلم « من غشنا
فليس منا » .

(٣) الانحراف : الميل عن الشيء ؛ الصاعغة إلى الشيء : الميل إليه ؛ قال تعالى :
« إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما » .

(٤) نصبه : عاداه ؛ التشييع : الميل إلى قوم والدخول في أمرهم ؛ والكاتب
يقصد هنا : الناصبة وهم أعداء علي عليه السلام وأمرته من بعده ، والشيعه وهم
أنصاره وأنصار قريته من بعده .

(٥) قال الخليل : أزمع فلانٌ على الأمر : ثبت عزمه عليه ، وقال
الكسائي : يقال أزمعتُ الأمر ولا يقال أزمعت عليه ؛ تكفل بشئ : ضمنه
وتعهد بأدائه .

(٦) المهد : الوثق أو اليمين أو الوصية ، قال تعالى : « وأوفوا بالعهد ،
إن العهد كان مسئولا » ؛ وما بين القوسين لم يرد بالذخيرة ولا نهاية الأرب

عَيْتَ الْجَمَاهِرَ بِأَدْبَتِي^(١)؟ وَعَاثَ الْعَفْوَ فِي مَوْدَتِي^(٢)؟ إِنْ مَسَكَنَ الصَّيَاحُ
 مِنْ وَسَائِلِي؟ وَإِلَيْمَ صَاقَتْ مَذَاهِبِي؟ وَأَكْدَتْ مَطَالِبِي^(٣)؟ وَعَلَامَ رَصِيصَتِي
 مِنْ الْعَزْ كَبِّ بِالْتَّمْلِيْقِ^(٤)؟ إِنْ مِنْ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ؟^(٥) ، وَأَنْتَ غَلَبْتَنِي
 الْمُغْلَبُ؟ وَفَخَرَ عَلَيَّ الْعَاجِزُ الضَّعِيفُ^(٦)؟ وَلَطَمْتَنِي ضَرْبُ ذَاتِ

(١) المبعث : اللعاب أو اللهو أو الإفساد ؛ الأذمة : جرم دمام وهو الحرمة
 وسيلة المودة أو القربى .

(٢) في الذخيرة ونهاية الأرب « وعاث في مودتي » وفي تمام التون
 « في موائتي » الموات : جرم مائة وهي الحرمة أو الوسيلة ؛ عاث : أفسد ؛
 العفوق : كفران النعمة ومنه عقى الولد أباه إذا جحد فضله وأساء جزاءه .

(٣) المذاهب : الطرق ؛ أكدي : منم ، قال تعالى : « أفرأيت الذي تولى
 وأعطى قليلاً وأكدي » وأكدي الحافر ؛ بانم السكدي من الأرض فلم يستطع
 حفرها ، وأكمت الأرض : أبطأ نباتها ، وأكدي الرجل : قل خيره .

(٤) من الأمثال : « إرض من المركب بالتمليق » أي اكتف من الركوب
 بتمليق أمتعتك على الدابة أي اقم من عظيم الأمر باليسير .

(٥) من الأمثال « رضى من الغنيمة بالإياب » قال امرؤ القيس :

وند طوّفت في الآفاق حتى رضىت من الغنيمة بالإياب
 أي قنعت من الغنائم بسلامة العودة ، ومثله قول البحترى :

وكان رجائي أن أوب مملكا فصار رجائي أن أوب مسلما

وما بين القوسين ساقط من الذخيرة ونهاية الأرب .

(٦) في الذخيرة « فخر على الضعيف » ؛ أنى ؟ : كيف ؟ ، المغلَب : المغلوب ،

قال امرؤ القيس :

وإنك لم بفخر عليك كفاخير ضيف ، ولم يغلبك مثل مغلب

سوار^(١)؟ وَمَالِكَ لَا تَمْنَعُ مِنِّي قَبْلَ أَنْ أَفْتَرَسَ؟ وَتَذَرُكُنِي وَلَكَا أَمْرُقُ؟^(٢)
 أَمْ كَيْفَ لَا تَتَضَرَّمُ جَوَانِحُ الْأَكْفَاءِ حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوصِ بِكَ^(٣)؟
 وَتَتَقَطَّعُ أَنْفَاسُ النُّظَرَاءِ مُنَافَسَةً فِي السَّكَرَامَةِ عَلَيْكَ؟^(٤)

(١) من الأمثال « لو ذات سوار لطمتني ١١ » أى لو ظلمني من كان كفتالي
 لهان الأمر على ، ولكن ظلمني من هو دوني وكانت العرب قلما تُنيسُ الإمامَ
 السوار ، فهو يتألم من أن أمةً لطمته ، ويروى أن قائل المثل حاتم الطائي وكان
 أسيرا فلطمته أمةٌ فتماله ؛ ومثل هذا قول الشاعر :

ولو أني بُليتُ بِهَاشِمِيٍّ خِثْلَتُهُ بِهَوِ عَبِيدِ الْمَدَانِ
 لَهَانَ عَلَيَّ مَا أَلَقَى ، وَلَكِنْ تَمَالَوْا فَانظُرُوا بِمَنْ ابْتَلَانِي

(٢) في نهاية الأرب وتمام التون والواهب الفتحية « لم تمنع مني » وقد
 آثرنا رواية الذخيرة ؛ المعنى : مالك لا تدفع عني قبل أن يدركني الافتراس ؟
 وتلاحظني قبل أن ينالني التمزيق ؟ وقد نظر في هذا إلى قول المثلث العبدى :
 فإن كنتُ مأْكولا فكن خيرا آكلٍ وإلا فأدركني ، ولما أَمَزَّقَ
 وقد تمثل بهذا البيت سيدنا عثمان في رسالة كتبها وهو محاصر في بيته
 إلى الإمام على .

(٣) تتضرم : تتوقد ؛ الجوانح : الأضلاع التي تحت الترائب مما يلي الصدر ؛
 الأكفاء : جمع كفء وهو النظير أو الذي ينهض بالأعباء الجسيمة ، والكفاءة
 في النكاح : هي التماثلة في الحسب والنسب ، وهي واجبة عند الشافعية فلا يجوز
 تزويج المرأة من غير كفء إلا برضاها ، ويرى الحنابلة أن الكفاءة شرط
 في سعة الزواج ؛ الخصوص : الاختصاص ؛ وفي الواهب الفتحية « كيف
 لا تضطرم .. » .

(٤) المعنى : كيف لا تخفت أنفاس الناظرين لي في التنافس على بلوغ
 منزلي السكرة عندك ؟

فَكَيِّفَ [١]؛ وَقَدْ زَانِي رَمَمُ حِدْمَتِكَ [٢]، [وَرَهَانِي وَسَمُ بِعُمَتِكَ] [٣]،
وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي سَمَاطِكَ [٤]، وَقُمْتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ عَلَى بِسَاطِكَ [٥]،
أَلَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ غُرَّ قَصَائِدِ هِيَ الْأُنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ الْأُنْجُمَا؟ [٦]
ثَنَاءُ الرُّوضِ مِنْهُ مُنَوَّرًا ضُحَى، وَيُخَالُ الْوَشْيُ فِيهِ مُنَمَّمًا [٧]

(١) ما بين القوسين ساقط من الذخيرة ونهاية الأرب .

(٢) آثرنا رواية المواهب الفتحية ، وفي الذخيرة ونعام المذون ونهاية الأرب
« اسم خدمتك » .

(٣) هذه الجملة ساقطة من الذخيرة ونهاية الأرب ؛ زها : تكبير ، ومثله
زُهَيْسى ، وزهاه : استخفّسه ؛ الوسم : العلامة .

(٤) في الذخيرة « وقد زانى اسم خدمتك ، وأبليت الجميع من سمائك » ،
أبليت البلاء الجميل : صنعت الصنم الحسن ، يقال أبلاه الله بلاءً حسناً ، وأبليته
معدوفاً : أوليته إياه ، قال زهير :

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذى يبلى
أى صنع بهما خير الصنيم ؛ السباط : الجانب أو العف ، والمقام بين
السباطين من الناس من المواقف العظيمة ، قال الرستمي :

وما كنت لولا طيب ذكرك شاعرا ولا منشدا بين السباطين فى حفل

(٥) فى بعض نسخ تمام المتون « فى ساطك » .

(٦) البيتان من قصيدة للبحترى فى عتاب الفتح بن خاقان وزير الخليفة
المتوكل ؛ وفى الذخيرة ونهاية الأرب « نظم قصائد » ولم يرد البيت الثانى
فيهما فى سلب الرسالة ، ولسكنه ورد بها فى تمام المتون والمواهب الفتحية ، ورواية
الديوان له هى :

(٧) ثناء كأن الروض منه منورا ضحى ، وكان الوشى فيه مسهما =

وَقُلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بُرْدًا طَرَزْتُهُ بِفَضَائِلِكَ؟^(١) وَتَقَلَّدَتْ الْجُوزَاءُ
إِلَّا عِندًا فَصَلَّتُهُ بِمَآزِرِكَ؟^(٢) [وَأَشْتَمَلِي الرَّبِيعُ إِلَّا ثَنَاءً مِثْلَانَهُ مِنْ
مَحَاسِنِكَ؟]^(٣) وَبَثَّ الْمَسْكُ إِلَّا حَدِيثًا أَذَعَّتُهُ فِي مَحَامِدِكَ؟^(٤) مَا يَوْمُ
حَلِيمَةَ بِسِيرَةٍ؟ [وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكُنْكَ سَلِيًّا ، وَلَا حَلِيمَتُكَ عَطْلًا ،

== ومعني البيت : لقد واليت في الثناء عليك نظم القصائد التي أضاءت في ظلام
الليل مع النجوم كالنجوم ، بمدح إذا قرنته بالرباوض رأيت قد ضمها بالأضواء
الوئجة كالضوء ، وإذا وازنته بالغلائل والأبراد وجدته مزخرفاً بأبهى الألوان .

(١) في الذخيرة ونهاية الأرب « بمحامدك » : التطريز : تزيين حواشي
الثوب وقد يكون الثوب مطرزا بالذهب ؛ المعنى : لقد صُنِّتُ فيك من
الثناء الخالد ما هو حلية للدهر وزينة للصباح .

(٢) آثرنا رواية تمام المتون ونهاية الأرب ، وفي الذخيرة « بمشاهرك » ؛
والمعنى : لقد نَوَّمتُ بمآزرك حتى جعلتها عتدا تزين به كواكب الجوزاء .
(٣) لم ترد هذه الجملة في الذخيرة ونهاية الأرب ؛ المعنى : لقد استعار الربيع
بمهيته مما نشرته على الدنيا من محاسنك .

(٤) في الذخيرة « وقت المسك » ، وفيها وفي نهاية الأرب « أذعته بمفاخرك » ؛
فَتِ الْمَسْكُ : سحبه ؛ بث الحديث : نشره ، وقد استعار الحديث لرائحة المسك ،
وشبهه بهذا قول ابن حيوس .

وطيب ثناء طَبَّقَ الأرض ، فَاكْتَسَتْ مشارقها من عرفه والمغارب
(٥) في الذخيرة « وما يوم .. » ، ومن الأمثال « ما يوم حليلة بسر » يضرب
للأمر المشهور الذي لا يمكن إنكاره ، وحليمة هي بنت الحارث الأكبر بن
أبي شمر ملك غسان ، وكان أبوها قد وجه جيشا إلى التنوين ماء السماء وانتدب
لأغتياله مائة من الأبطال المشهورين فأخرجت لهم بنته حليلة طيبا طيبتهم به ، قال .
بالنابة الذبياني يصف السيوف :

تخيرن من أزمان يوم حليلة إلى اليوم قد جُرَّين كل التجارب

وَلَا وَتَمَتُّكَ غُفْلًا^(١) ، بَلْ وَجَدْتُ آجُرًا وَحِصًّا فَبَيَّضْتُ^(٢) وَمَسَكَانَ الْقَوْلِ
ذَا مَتَّعَ فَقُلْتُ^(٣) وَحَاشَى لِلَّهِ أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ^(٤) ، وَأَكُونُ

(١) المعنى : لم أكسبك من ثنائي ما كنت منه عاريا ، ولا حليتك به وكنت
عاطلا من الزينة ، ولم أميزك به وكنت مجردا من التميز ؛ وشبهه بهذا قول أبي تمام :
أنا من كساك - وما كساك خلعة - حرَّ القصاد فوفقت تفويضا

وقول أبي الحسين بن الحزار :

ولقد كسوتك من قريضي حلة جلت عن التلبيق والترقيع
حسنت برقم من جلالك ، فاغتمدت كالروض في التسميم والترصيع
(٢) الأجر : الطوب المحروق المخصص للبناء ؛ الجص : السكس ، ويستعمل
إطلاء الجدران

(٣) ما بين التوسين ساقط من الذخيرة ونهاية الأرب ؛ المعنى : لم أخلع
عليك من الثناء ما ليس فيك ، فقد وجدت أساسا أبني عليه فبنيت ، ووجدت
مكان القول واسما فيك فقلت ؛ قال ابن الخازن :

ومن سقيا سحايك جاد طبعي ولولا الغيث لم ينبس قلب

وقال المتنبى :

وقد وجدت مكان القول فاسمة فان وجدت لسانا قائلا فقل

وقال ابن قلائس :

ومنك وفيك تنتظم القوافي ومن وجد القال الرحب قال
(٤) آثرنا رواية الذخيرة ونهاية الأرب ؛ وفي تمام المتن والواهب الفتحية « حاش
لك » ؛ حاشى لله ، وحاشى له : تنزيها له ؛ العاملة الناصبة : مأخوذة من الآية الكريمة
« وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى نارا حامية » القصود بها وجوه
السكران التي عملت في الدنيا وتعبت دون أن تفوز بجزاء في الآخرة ، قال تعالى :
« وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » .

كَالذِّبَالَةِ الْمَنْصُوبَةِ تُفْنِي لِلنَّاسِ (وَهِيَ) تَحْتَرِقُ ^(١) ، [قَلَّكَ الْمَثَلُ
الْأَعْلَى ، وَهُوَ بِكَ - وَبِي فِيكَ - أَوَّلَى] ^(٢) .

وفي فصل منها : ^(٣)

وَلَمَّزْتُكَ مَا جَهِلْتُ أَنَّ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ أَتَحَوَّلَ إِذَا بَلَغَتْهُ الشَّمْسُ ،
وَتَبَا بِنِ الْمَنْزِلِ ؛ ^(٤) وَأَضْمَحَ عَنِ الْمَطَامِيرِ الَّتِي تَقَطُّعُ أَعْنَاقَ

(١) (وهي) : زيادة من الذخيرة ونهاية الأرب ؛ والمعنى : معاذ الله أن تمدني
في مصاف الكمداء الذين يشقون وبكدهون دون فائدة ، أو تجعلني كالشمعة
المنصوبة التي تسمى للناس وهي تفنى وتذبل ، قال العباس بن الأحنف :
أحسب منك ما أقول ، وقد نال به الماشقون ما عشقوا
مرت كأنني ذبالة نصبت تفنى للناس وهي تحترق
وهو مأخوذ من الحديث الشريف « العالم بمنير عمل كالصباح يحرق نفسه
ويضيء للناس » .

(٢) - مقط . ما بين القوسين من الذخيرة ونهاية الأرب ؛ المثل الأعلى :
الصفة العليا ، قال تعالى « وله المثل الأعلى في السموات والأرض » أي ليس
كذلك شيء ؛ المعنى : والمثل الأعلى أولى بك ، وبى كذلك إذا كان فيك .

(٣) وردت هذه العبارة بالذخيرة ونهاية الأرب ، وهي تدل على أن الرسالة
لم ترد كاملة .

(٤) في الذخيرة ونهاية الأرب « ولم يري ما جهلت أن الرأي في أن أتحوّل » ؛
لم يرك : وحياتك ؛ صريح الرأي : الرأي الواضح السديد ، وهو مأخوذ من
قول أبي تمام :

وإن صريح الرأي والحزم لا يرى إذا بلغت الشمس أن يتحوّل =

الرُّجَالِ^(١) فَلَا أُسْتَوِطِي الْعَجَزَ^(٢) ، [وَلَا أَطْعِمُ إِلَى الْغُرُوزِ] ^(٣) فَيُضْرَبُ بِي
الْمَثَلُ^(٤) «خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ»^(٥) وَإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ أَنَّ الْجَلَاءَ سَبَابُ^(٦) وَالنَّقْلَةُ مُثْلَةُ^(٧) .

= وَنَسَبًا بِي الْمَنْزِلَ : جَفَانِي الْمَنْزِلَ أَوْ لَمْ يَسْتَقِرَّ بِي فِيهِ قَرَارٌ ، قَالَ عَنَتَرَةُ :
احْذَرِ مَحَلَّ السُّوءِ ، لَا تَحْتَسِبْ لَهُ . وَإِذَا نَسَبًا بِكَ مَنَزَلٌ فَتَجُولُ
(١) فِي الذَّخِيرَةِ وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ «وَأَضْرِبْ عَنِ الطَّامِعِ» : ضَرْبٌ عَنْهُ : أَعْرَضَ ؛
وَمِثْلُهُ صَفَحَ عَنْهُ ؛ الْمَعْنَى : كَثِيرًا مَا يَقُودُ الطَّامِعُ إِلَى الْهَلَاكِ ، قَالَ الْبَعِيثُ :
طَمَشْتُ بَلِيلَ أَنْ تَزِيغَ ، وَإِنَّا نَقْطَعُ أَعْنَاقَ الرُّجَالِ الطَّامِعِ
تَزِيغَ : تَرْجِعُ وَتَعُودُ ، وَقَالَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ :

تَسَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحَرْصُ أَعْنَاقَ الرُّجَالِ
(٢) فِي الذَّخِيرَةِ وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ «وَلَا أُسْتَوِطِي الْعَجَزَ» ، اسْتَوِطَا الْمَرْكَبُ :
وَجَدَهُ وَطِئًا لَيْسَ سَهْلًا ، وَفِي الْأَمْثَالِ «الْعَجَزُ وَطِئٌ» أَيْ سَهْلٌ .

(٣) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطٌ مِنَ الذَّخِيرَةِ وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ .
(٤) فِي تَمَامِ الْمَثَلِ وَالْمَوَاقِبِ الْفَتْحِيَّةِ «وَمِنَ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ» .
(٥) مِنَ الْأَمْثَالِ «خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ» ، خَامِرِي : اسْتَتَرِي ، أُمَّ عَامِرٍ :
كُنْيَةُ الضَّعِيفِ ، وَالْمَثَلُ يَضْرَبُ لِمَنْ يَعْرِفُ أَنَّ الدُّنْيَا غَدَارَةٌ ثُمَّ يَفْتَرِّ بِهَا مِثْلَ الضَّعِيفِ
يُقَالُ لَهَا خَامِرِي فَتَهْدَأُ وَتَسْكُنُ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهَا الصَّائِدُ فَيَصِيدُهَا ، قَالَ الْبَهَا زَمَرِي :

يَا عَزْهَ لَا تَفْطَلْطِي وَاللَّهِ مَالِي فِيكَ خَاطِرُ
خَدَعُوكَ بِالْقَوْلِ الْمَحْسَالِ لِي ، فَصَحَّ أَنَّكَ أُمُّ عَامِرٍ

(٦) الْجَلَاءُ : الرَّحِيلُ عَنِ الْوَطَنِ ، السَّبَابُ وَالسَّبْيُ ، الْأَسْرُ : وَفِي الذَّخِيرَةِ
وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ «بَأَنَّ الْجَلَاءَ» .

(٧) الْمَثَلَةُ : التَّنْكِيلُ ، يُقَالُ مَثَّلَ بِهِ : رَزَقَ حِجَّتَهُ وَأَذَاقَهُ الْوَبَالَ ، قَالَ
الصفدي : وَقَدْ قُلْتُ أَنَا «النَّوَى تَوَى (أَيْ الْفِرَاقُ هَلَاكٌ) ، وَالْقُرْبَةُ كَرْبَةٌ ،
وَالسُّفَرُ سَفَرٌ ، وَالشَّتَاتُ مِمَاتٌ ، وَالْإِفْتِرَاقُ اخْتِرَاقٌ» ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ يَتَقَرَّبُ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ : تَجَرًّا وَمَسْحَبًا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ ، وَإِنْ يُسَى

يَسْكُنُ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا^(١)
لَعَارِفٌ أَنْ الْأَدَبَ الْوَطَنُ الَّذِي لَا يُخَشَى فِرَاقُهُ ، وَالْخَلِيطُ الَّذِي لَا يُتَوَقَّعُ
زِيَالُهُ ، وَالنَّسَبُ الَّذِي لَا يُخْفَى ، [وَالْجَمَالُ الَّذِي لَا يُجْفَى^(٢)] ، ثُمَّ مَا قِرَّانُ

= ما من غريب - وإن أبدى تجمُّده - إلا سيذكرُ عند الغربة الوطن

وقال شوقي :

وطني لو شَغِلْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ نَازَعْتَنِي إِلَيْهِ فِي الْخُلْدِ نَفْسِي

(١) لم يرد هذان البيتان بالذخيرة ولانهاية الأرب ، وينسبان لعروة بن الورد ،
وقيل هما للأعشى وهو الأسح ؛ وممنهما : إن الغريب عن وطنه لا يزال يواجه الممالك في
شقي صورها ، وإذا أحسن أنكر الناس إحسانه ، وإذا أساء أعلنوا كل إعلان
إساءته ، (كبكب : جبل عال بعرفات) وشبيه بهذا قول الشاعر :

إِنْ يَسْمَعُوا الْخَيْرَ يَخْفَوْهُ ، وَإِنْ سَمِعُوا شَرًّا أَذَاعُوا ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا
وقول الآخر :

إِنْ يَسْمَعُوا رِيبة طَارُوا بِهَا فَرَحًا مَنَى ، وَمَا سَمِعُوا مِنْ سَالِحٍ دَفَنُوا

(٢) آثرنا رواية الذخيرة ونهاية الأرب وإن كانت عبارة نهاية الأرب
« لا يتوقع زواله » ، وفي تمام المتن والواهب الفتحية « عارف بأن الأدب
الوطن لا يخشى فراقه ، والخليط لا يتوقع زواله ، والنسب لا يخفى ، والجمال لا يخفى » ؛
والمنى : وإلى - مع على بما في الجلاء من أمور - لعارف بأن لي من أدبي
وطناً علياً ؛ فالأدب وطن لا يخشى صاحبه فراقه ، وعشير لا يتوقع زواله ؛ ونسب
: ظاهر لا يمكن إحدؤه ؛ وجمال فتان لا سبيل لمقته ، وشبه بهذا قول البارودي :
أنا ابن قولي ، وحسبي في الفخار به وإن غدت كريم العم والجمال

(م - ١٥ : ديوان ابن زيدون ، ص ١٩٤)

السَّيِّدِ لِلْكَوَاكِبِ أَهْيَ أَثَرًا ، وَلَا أُسْنَى خَطَرًا مِنْ أَفْتِرَانٍ غَنَى النَّفْسِ بِهِ ،
وَأَنْتِغَامُهَا نَسَقَاتُهَا^(١) ؛ وَإِنْ الْخَائِزُ لَهُمَا الضَّارِبَ بِسَتِيمٍ فِيهِمَا^(٢) - وَقَلِيلٌ
مَا مُمْ^(٣) - [أَيْنَمَا تَوَجَّهَ وَرَدَّ أَعَذَبَ مَنَهْلٍ^(٤) ، وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولِ

(١) افتران الشيء بغيره وقرانه به : مصاحبته له ، وقران السمد للكواكب :
مصاحبة الطالع الحسن لها ، وكان العرب يعتقدون أن للكواكب منازل صعود
ومنازل محوس ؛ أسنى خطرا : أرفع قدرا ؛ انتظامها نسقا : ترتيبها على وتيرة
واحدة ، ونغر نسق : أسنانه منضدة مستوية ، قال أبو الفتح البستي :

ما قران السمدين في الجر أبهى منظرا من قران شكير وبر
واللهي : ليس قران السمد للكواكب أحسن أثرا وأبهج منظرا من افتران
الأدب بغير النفس ، قال الشاعر :

إِنْ الْمَسْنَى هُوَ النَّسْنَى بِنَفْسِهِ وَلَوْ أَنَّهُ عَادَى النَّاكِبَ حَاقٍ
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيَا فَإِذَا قَعَمَتْ فَبَعْضُ شَيْءٍ كَافِي
(٢) الضارب والضرب : الوكل بالقداح أو الذي يضرب بها ، وضرب
في الأمر بسهم : شارك فيه بنصيب ؛ وهو يوىء إلى أنه جمع بين الأدب البارع
وغنى النفس وشارك فيهما بنصيب وافر .

(٣) ما بين القوسين ساقط من الذخيرة ونهاية الأرب ، وقليل ما م : أي
الجامعون بين الأدب البارع والنفس المفيدة قليلون ، والجملة مقتبسة من القرآن
الكريم ، قال تعالى « وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَفَلْيَلْ مَا مُمْ » .

(٤) آثرنا رواية الذخيرة ؛ وفي بقية الأصول « ورد منهل بر » ؛ المنهل :

مورد الماء .

فَنَزَلَ^(١) ، وَضُوحِكَ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ^(٢) ، وَأُعْطِيَ حُكْمَ الصَّبِيِّ
عَلَى أَهْلِهِ^(٣) :

وَقِيلَ لَهُ : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَهَذَا مَبِيتُ صَالِحٍ وَصَدِيقُ^(٤)

(١) عبارة « نزل » زيادة عن بعض نسخ الذخيرة ؛ الجنب : الفناء
أو ما قرب من الساكن ؛ القبول : الرضاء ، وجنب القبول هو المكان الذي
يجد فيه الإنسان من يقبل عليه ولا يدبر عنه .

(٢) ضوحك قبل إنزال رحله : قول بالبشر والترحاب لأول قدومه قبل
إنزال مثاه ، قال حاتم الطائي :

أضادك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي ، والزمان جديب
وما الخصب للضيف أن يكثر القرى ولكننا وجه الكريم خصيب

(٣) من كلام العرب : « نزلنا على فلان فجعل لنا حكم الصبي على أهله » أي أكرمنا
بغاية الإكرام ، لأن الصبي يلقى من أهله كل رعاية وعناية ومحبة على الرغم
من يحشمهم إياه من المتاعب والأهوال ، قال الشاعر :

ولا نحمكما حكم الصبي ، فإنه كثير على ظهر الصديق بجاهله
وكان أبو سفيان إذا نزل به جار قال له : « يا هذا إنك قد اخترتني دارا ،
واخترت داري دارا ، فجناية يدك علي من دونك ، وإن جنت عليك يد فاحتمكم
حكم الصبي على أهله » .

(٤) في بعض نسخ الذخيرة ، وبعض نسخ تمام المتون ، والواهب الفتحية
« ... مبيت صالح وقيل » والبیت من نظم عمرو بن الأهتم ، قل أبو تمام :

يعطى عطاء المحسن الخضل الندى عفوا ، ويمتذر اعتذار المذنب
ومرحب بالزائرین ، وبشره يفنيك عن أهل لديه ومرحب

غَيْرَ أَنَّ الْمَوْطِنَ مَحْبُوبٌ^(١) ؛ وَالْمَنْشَأُ مَأْلُوفٌ ؛ وَاللَّيْبُ يَحْنُ إِلَى وَطَنِهِ
 (حَنِينَ النَّجِيبِ إِلَى عَطْنِهِ^(٢)) ؛ وَالْكَرِيمَ لَا يَخْفُو أَرْضًا بِهَا قَوَائِلُهُ ،
 وَلَا يَنْسَى بِلَادًا فِيهِ مَرَاضِعُهُ^(٣) ؛
 أَحَبُّ بِلَادٍ اللَّهُ مَا بَيْنَ مَنْعِجٍ إِلَى وَسَلَمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا^(٤)

(١) آثرنا رواية نهاية الأرب لطابقة المنشأ الموطن . وفي باقي الأصول
 « الوطن » .

(٢) لم ترد هذه العبارة في نهاية الأرب ؛ وفي بعض نسخ الذخيرة « حنين
 الناب » والناب : الناقة المسنة ؛ النجيب : الفحل الكريم ، العطن : مبرك البعير
 عند الماء ؛ قال ابن الرومي في الحنين إلى بغداد :

بلد صحبت به الشبية والصبا ولبست ثوب العيش وهو جديد
 فإذا تمثل في الضمير رأيت عليه أغصان الشباب تميد
 (٣) القوايل : جمع قابلة وهي التي تبشر ولادة النساء « الداية » .

(٤) البيتان وردا في الأمل (ج ١ ص ٨٣) مصدرين بالمعارة الآتية :
 « أنشدنا عبد الله بن تقطويه ، قال أنشدنا أحمد بن يحيى النحوي ثعلب :
 وهذه العبارة لا تقطع باسم قائلها ؛ وأوردتها ياقوت في معجم البلدان وقال إنهما
 لبعض الأعراب ، وقد أورد لسان العرب البيت الثاني منهما في مادة (نوط)
 ونسبه إلى رقاع بن قيس الأسدي ؛ ولبيتين أول ذكره الصفدي هو :

ألم تعلمي يا دار بلحاء أنني إذا أخضبت أو كان خصبا جناها
 منعج : واد يأخذ بين حفر أبي موسى والتباج ويدغم في بطن فلج
 (ياقوت) ؛ سلمى : جبل على شرق المدينة (تاج العروس) ؛ يصوب سحابها :
 ينزل مطرها .

بِلَادٍ بِهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمَامِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَاهِي^(١)
هَذَا إِنِّي مُغَالَتِي بِعَقْدِ جَوَارِكِ^(٢)؛ وَمُنَافَسَتِي فِي الْحَظِّ مِنْ قُرْبِكَ^(٣)،
وَأَعْتِمَادِي أَنْ الطَّمَعُ فِي غَيْرِكَ طَبَعٌ، وَالْغِنَى مِنْ سِوَاكَ عَنَاءٌ^(٤)، وَالْبَدَلُ

(١) في الأملى ومعجم البلدان « حل الشباب تمامي » وفي لسان العرب مادة
(نوط) « بلاد بها نيطت على تمامي » ؛ عَقَّ : شَقَّ ؛ التَّمَامُ : جمع تَمِيمَةٍ ، وهي
عوزة تعلق على الطفل لتقيه الحسد ، وقد تكون خورزة أو صحيفة بها أدعية
وملاسم أو غير ذلك ، وفي الحديث « من عاق تميمه فلا أتم الله له » ، وقال
أبو ذؤيب الهذلي :

وَإِذَا الْمَنِيَةُ أُنْشِبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَسِمُ

والمعنى : لقد نشأت في هذه البلاد ولما بلغت بها سن الشباب أزلت عني
التأمم ، وهي أول أرض لمس جلدي تراها ، ومثله قول الشاعر :

ذَكَرْتُ بِلَادِي فَاسْتَهَلْتُ مَدَامِي أَشَوْقِي إِلَى عَهْدِ الْعَبَا الْقَدَامِ

حَنَنْتُ إِلَى أَرْضِ بِهَا اخْضُرُّ شَارِبِي وَحُلْتُ بِهَا عَنِي عَقُودُ التَّمَامِ

(٢) في الذخيرة « مع مغالاتي بملو جوارك » وفي نهاية الأرب « في تعلق

جوارك » .

(٣) في تمام التورن والمواهب المتحفية « في لحظة من قربك » وقد آثرنا

رواية الذخيرة ونهاية الأرب .

(٤) الطَّبِيمُ : الدُّنْسُ ، قال الشاعر :

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يَدْنِي إِلَى طَبِيمٍ وَغُفَّةٌ مِنْ نَعِيمِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي

الغُفَّةُ : الزَّادُ الْقَلِيلُ يُقْبَلُ بِهِ الْجَائِمُ إِلَى حِينٍ ، الْعَنَاءُ : التَّعَبُ وَالْمَشَقَّةُ .

مِنْكَ أَغَوْرُ^(١) وَالْعَوَضُ لَقَاءُ^(٢)

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أُمِيرِي زَادَنِي ضَنْكًا بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ^(٣)
وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا^(٤) ، وَفِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ ،
وَأَسْتَمَجِدَ الْمَرِخُ وَالْمَقَارُ^(٥) ، فَمَا هَذِهِ الْبَرَاءَةُ يَمُنُّ

(١) في الذخيرة «عوز» ، من الأمثال « بدل أعور » وسببه - كما في مجمع
الأمثال للميداني - أن يزيد بن الهباب سُـرِفَ عن ولاية خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلي ،
وكان شاعرا أعور ، فقال الناس هذا بدل أعور ، وقال فيه بعض الشعراء :

كَانَتْ خِرَاسَانُ أَرْضًا إِذْ يَزِيدُ بِهَا وَكُلُّ بَابٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ مَفْتُوحٍ
حَتَّى أَتَانَا أَبُو حَفْصٍ بِأَمْرِهِ كَأَنَّ وَجْهَهُ بِالْحِلِّ مَنُجُوجٍ

(٢) اللقاء : الحسيس الحقيق ، أو التراب ، أو هو ما دون الحق ، يقال فلان
رضى من الوفاء باللقاء ، وفي الأمثال « أعطاني اللقاء غير الوفا » يضرب لمن
يخسرك حَقَّكَ .

(٣) البيت لعمد بن الرقاع ، ومعناه : يزيدني اعتراضاً بأُميري ما أرى عليه
بقية الأمراء من نقص وضمف وهوان .

(٤) « كل الصيد في جوف الفراء » مثل مشهور : الفراء : الحمار الوحشي ،
وأصل المثل : أن ثلاثة خرجوا للصيد فاسطاد الأول أدنيا ، والثاني ظبيا ، والثالث
سمار وحش ؛ فتناول الأولان على الثالث فقال : « كل الصيد في جوف الفراء » .
واستأذن أبو سفيان على النبي ﷺ فحجبه قليلا ، وعاتبه أبو سفيان فقال له :
« يا أبا سفيان أنت كما قيل : كل الصيد في جوف الفراء » معناه : إذا حجبتك
فتم كل محبوب .

(٥) استمجد : استكثر ، المرخ : شجر يطول ويتفرع حتى يُسْتَنْظَلُ به ،
ويؤخذ منه الزناد الذي يقتدح به ؛ المقار : شجر خوار يؤخذ منه الزناد أيضا ، =

وَالرَّحْمُ^(١)؛ فَمَا أَبَسْتُ لَكَ إِلَّا لَتَدِرَ^(٢)، وَمَا حَرَّكَتُ لَكَ الْجَوَارَ إِلَّا لَتَجِنَ^(٣)،
وَمَا نَبَّهْتُكَ إِلَّا لِأَنَامَ^(٤)، وَمَا سَرَّيْتُ إِلَيْكَ إِلَّا لِأَحْمَدَ السَّرَى لَدَيْكَ^(٥)؛

== ومن يقترب بحسب عدوا صديقه ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم
ومن الأمثال « كدمت غير مكدم » أى عضضت غير موضع لعض،
يُسَرَّبُ لمن يطلب شيئاً في غير مطلبه .
(١) مقتبس من قول المتنبي :

وَلَا تَشَاكَ إِلَى خَلْقٍ تَشْتَمُهُمْ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعَقْبَانِ وَالرَّحْمِ
الرحم : جرم رنخة من جوارح الطير تشبه النسر في الخلقة ؛ والمعنى : إن
جوارح الطير تفتري الجريح، فكيف يشكو إليها ما يلاقيه من جروحه ؟ وهذا
مثل قولهم « كالمسجور من الرمضاء بالنار » .

(٢) الإيساس : أن يقول الحالب للناقة « بُس ، بُس » لتسكن وتدر اللبن .
(٣) الجوار : ولد الناقة ، ولا يزال دواراً حتى يغسل عن الرضاع ، وفي الأمثال
« حَرَّكَتُهَا حَوَارَهَا تَحْنُ » أى أظهره للناقة لتستثير حنانها .
(٤) مأخوذ من قول بشار :

إِذَا أَيْظَنَّتْكَ حُرُوبُ الْعِيْدَا فَبِهْ لَهَا عَمْرَا ، ثُمَّ تَمَّ
(٥) السرى : السفر ليلاً . وفي الأمثال : « عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى »
قاله خالد بن الوليد من أرجوزة منها :

عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى وَتَنْجَلِي عَنْهُمْ غِيَابَاتِ الْكَرَى
وفي الذخيرة ونهاية الأرب « وَإِنَّمَا أَبَسْتُ لَكَ لَتَدِرَ ، وَحَرَّكَتُ لَكَ الْجَوَارَ لَتَجِنَ ،
وَبَنَّبْتُكَ لِأَنَامَ ، وَسَرَّيْتُ إِلَيْكَ لِأَحْمَدَ ... » وفي نهاية الأرب « لِيَحْمَدَ
السَّرَى إِلَيْكَ » .

بَعْدَ الْيَقِينِ مِنْ أَنَّكَ إِنْ سَنَيْتَ عَقْدَ أَمْرِي تَيْسَّرُ^(١) ، وَمَتَى أَعْذَرْتَ
 فِي فَكِّ أَمْرِي لَمْ يَتَمَذَّرْ^(٢) ، وَعِلْمُكَ مُحِيطٌ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ ثَمَرَةُ النِّعْمَةِ^(٣) ،
 وَالشَّفَاعَةُ زَكَاةُ الْمُرُوءَةِ^(٤) وَفَضْلُ الْجَاءِ - تَعَوُّدُ بِهِ - صَدَقَةٌ^(٥) .
 وَإِذَا أَمْرٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَدِيقَةً مِنْ جَاهِهِ فَكُتِّبَتْهَا مِنْ مَالِهِ^(٦)
 أَعْلَى أَلْنِي الْعَصَا بِذَرَاكَ . وَتَسْتَقِرُّ بِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ ،^(٧) (فَتَسْتَلِذُّ

(١) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفي الذخيرة « بمدايقين أنك » ، وفي تمام التون
 والمواهب الفتحية « وإنك إن سنيت » وفي بعض نسخ تمام التون « متى سنيت »
 وفي نهاية الأرب « إن شئت » ؛ سنيت : سهلت ، قال بشار :

فبالحق إن عز ما تبغى ، وقل إذا الله سني أمر تيسرا

(٢) أعذر : طلب العذر أو بالغ في طلبه ، لم يتمذر : لم يصعب .

(٣) المعروف : ضد النكر ؛ والمعنى : من أحسن الله إليه وجب أن يقدم
 معروفًا إلى الناس ليكون ثمرة نعمة الله عليه ؛ وفي نهاية الأرب « وعلمك محيط »

(٤) المعنى : إن الشفاعة لدى الرؤساء في قضاء الحاجات يؤديها الإنسان
 زكاة مما رزقه الله به من جاء عند الحكام .

(٥) الجاء : القدر والنزلة ، يعود به : ينفع به .

(٦) البيت لأبي تمام من قصيدة كتبها إلى إسحق بن ربيع كاتب أبي دلف ،
 وممنه : إذا نفعك امرؤ بجامه فكأنما نفعك بماله .

(٧) القدرى كل ما استترت به . يقال : أنا في ظل فلان وفراء أى في كنفه
 وستره ، والعرب تسكن عن الاستقرار والسكون بإقامة العصا لأن المسافر إذا
 ألقى عصاه عن كتفه فقد قرّر قراره ، قال المعتمد بن أوس بن حماد :

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيننا بالإياب المسافر =

جَنَى شُكْرِي مِنْ غَرْمِي عَارِفَتِكَ ، وَتَسْتَطِيبَ عَرَفَ ثَنَائِي مِنْ رَوْضِ
صَنِيعَتِكَ [(١) وَأَسْتَأْنِفَ التَّأْدِبَ بِأَدَبِكَ (٢) وَالْإِحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ (٣)
فَلَا أُوجِدَ لِلْمَحَايِدِ بَحَالَ لَمْظَةٍ وَلَا (أَدَعَ) لِلْقَادِحِ مَسَاحَ لَفْظَةٍ (٤) وَاللَّهُ مُبْسِرُكَ

== وقد تداول الشعراء هذا المعنى ، قال الحسين بن إبراهيم الكاتب :

ألا ليت شمري هل أقولن مرة وقد سكنت مما أجن الغمارُ
فألفت مصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

(١) ورد ما بين القوسين في الذخيرة ونهاية الأرب ، وسقط من تمام التون
والواهب الفتحية ؛ الجَنَى : الثمر النضج ؛ العارفة : المروءة ؛ العَرَفَ :
الريح طيبة كانت أو خبيثة ، والمشهور الأول ؛ الصنيع والصنعة ؛ الإحسان ،
وهو صنيعي وصنيعتي أي اسطغنته لنفسه وربيته وحرّجته ؛ والمعنى : عسى
أن أستقر في ظلك فتجني من شكري ما غرسته نهماؤك ؛ وتستطيب من ثنائي
ما أنبته روضك .

(٢) في الذخيرة ونهاية الأرب « فاستأنف التأديب بك » ؛ المعنى : أعود إلى
ما اتبعته من التخلق بأخلاقك والافتداء بأدبك .

(٣) الاحتمال والتحمل ؛ الارتجال ؛ والمعنى : لعل أعود إلى التخلق بأخلاقك ،
والسير على مذهبك ، واتباع طريقتك ، وفي الذخيرة « والاحتياال على مذهبك » ؛
وشبيه بهذا قول أبي سعيد الرستمي « من شعراء البتيمة » :

إذا وردوا ماء وردت ، وإن طروا طويت ، وإن قالوا نحوكات قاتلا
وإن نصبوا للحرّ حرّ وجوههم تمثلت حيرباء على الجدل ماثلا
يظنون أني سائل فضل زادم ولولا الهوى ما ظنني الركب سائلا

(٤) « أدع » زيادة من الذخيرة ؛ الحاسد : من يتمنى زوال نعمة غيره ، القادح : المائب ،
مساح الهوى وساغاه سهل دخوله في الحلق ؛ وفي تمام التون والواهب الفتحية ==

مِنْ إِطْلَافٍ بِهَذِهِ الطَّلِبَةِ (١) وَإِنْشِكَاثٍ مِنْ قَسَدِهِ الشُّكْوَى، بِصَنِيعَةٍ
تُصِيبُ مِنْهَا مَسْكَانَ المَصْنَعِ (٢) وَيَدٌ تَسْتَوْدِعُهَا أَحْفَظُ مُسْتَوْدِعٍ (٣)، حَسَبًا
أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ، وَأَنَا مِنْكَ حَرَىٌّ بِهِ (٤)، فَذَلِكَ بِيَدِكَ وَهَيِّنْ عَلَيْكَ (٥).

== «لَطِيفٌ... لَفْظِي» . والمعنى: لا أدع للحاسد فرصة ليصوب إلى سهام عينيه ،
ولا للعاب بجمال التشهير بي .

(١) في الذخيرة « والله شهيدك من إطلافي بهذه الطلبة » وفي تمام المتن .
والمواهب الفتحية « والله مبشرك » وقد آثرنا رواية نهاية الأرب ؛ إطلافي :
إسمافي ، الطلبيبة : ما رجوته من أمر .

(٢) أنشكته : أزلت بشكواه ، الصنيعة : الإحسان ، المصنع والصنيع :
المعرف ، قال الشاعر :

إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى تصيب بها مكان المصنع
وفي الذخيرة ونهاية الأرب « الصنيعة تصيب بها طريق المصنع » .

(٣) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفي الذخيرة « وقد تستودعها » وفي تمام
المتن والمواهب الفتحية « وتستودعها » ؛ اليد : النعمة والإحسان ، المعنى :
ونعمة تضعها في خير مكان يحفظها ويصونها .

(٤) حسباً : بقدر ما ؛ خَلِيقٌ بِهِ : جديرٌ بِهِ ؛ ومثله حَرَىٌّ بِهِ أى جديرٌ بِهِ .
وأهل له ، المعنى : إلك جدير بالإحسان ، وأنا أهل له منك .

(٥) آثرنا رواية الذخيرة ، وفي بقية الأصول « وذلك بيده وهين عليه » ؛
وماورد بعد هذا ساقط من نهاية الأرب ، وبدل منه قال : « وشفعها بأبيات فقال :
الموى في طلوع تلك النجوم والمضى في هبوب ذاك النسيم »
وأورد القصيدة ثم التفتيح عليها .

وَأَمَّا تَوَالَتْ غُرُورُ هَذَا النُّثْرِ ، وَأَتَسَمَّتْ دُرُورُهُ ^(١) ، فَهَزَّ عِطْفَ غُلَوَائِهِ ،
وَجَرَّ ذَيْلَ خُيَلَائِهِ ^(٢) عَارِضُهُ النِّظْمُ مُبَاهِيًا ، بَلْ كَايَدُهُ مُدَاهِيًا ^(٣)
حِينَ أَشْفَقَ مِنْ أَنْ يَعْطِفَكَ أَسْتِعْطَافُهُ ، وَيَمِيلَ بِنَفْسِكَ الْطَافَهُ ^(٤) ، فَاسْتَحْسَنَ
الْعَائِدَةَ مِنْهُ ، وَأَعْتَدَ بِالْفَائِدَةِ لَهُ ^(٥) وَمَا زَالَ يَسْتَكِدُّ الذُّهْنَ الْقَلِيلَ ،
وَالْخَاطِرَ الْكَالِيلَ ^(٦) حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ مِنْهُ عُرُوسًا بِمَجْلُوءَةٍ فِي أَثْوَابِهَا ^(٧)

(١) في الذخيرة « واتسمت درره »؛ توات : تتابعت ، الغرور : جمع غرة
وهي أول كل شيء أو أكرمها ؛ اتسمت : انتظمت في نظام بديع .

(٢) العطف : الجانب ، وعطفا الرجل : جانباه من لدن رأسه إلى وركبه ؛
الغلاء : سرعة الشباب أو أوله أو الغلالة ، وهز عطف غلوائه : اقتخر بشبابه
ومال به إليها وهجها ؛ الخيلاء : الكبر والتهيه ، وجر ذيل خيلائه : جرر ذيله
نهبها وكبرا .

(٣) مباها : مفاخر ؛ كايده : كادله ومكر به ؛ مداها : لعلها مأخوذة
من دهاه يدهاه دها إذا عابه وتنقمه ، فتكون مداها بمعنى مبادلا إياه ذكر
الميوب والتقائص .

(٤) في بعض نسخ الذخيرة « حين أشفق »؛ أشفق : خاف وحذر ؛ يعطفك :
يثنيك ويمجذيك إليه ؛ الطافه : ربه وعطفه .

(٥) المائدة : العطف والنفقة ؛ اعتد : عد ؛ المعنى : أثر الشعر أن يكون
هو صاحب الفضل في جذبك إلى المفرد والغفران .

(٦) في الذخيرة « وما زال يستكره » ؛ يستكد : يجهد ؛ الكليل : غير
الحاد أو الضعيف .

(٧) في الذخيرة « حتى زف إليك عروسا » . جلا العروس على بعلها
. واجتلاها : عرضها عليه مصقولة مزينة .

مَنْصُوعَةً بِحَدِيثِهَا وَمَلَايَهَا ^(١)، [مَوْهَا هِيَ الْأُنْيَاتُ] ^(٢) :

الهُوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ وَالْمَعَى فِي هُبُوبِ ذَلِكَ النَّسيمِ.

... القصيدة ^(٣)

هَآكِهَآ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - يَبْدُئُهَا الْأَمَلُ ، وَيَنْقِضُهَا الْخَجَلُ ^(٤) لَمَّا ذَنِبَ
التَّقْصِيرَ ، وَخَرَمَهُ الْإِخْلَاصُ ^(٥) ؛ فَهَبْ ذَنْبًا لِحُرْمَةٍ ، وَأَشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ ^(٦) ،
لِيَتَأَنَّى لَكَ الْإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ ، وَتَسْلُكَ إِلَى الْفَضْلِ طُرُقَاتِهِ ^(٧) ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٨) .

(١) نصّ المروسي : جلاها على النعمة ، الملاب : الزعفران أو الطيب مطلقاً .

(٢) هذه الجملة زائدة من الذخيرة ولم ترد في غيرها .

(٣) راجع القصيدة ص ٢٧٨ في باب الشكوى والعتاب ،

(٤) في الذخيرة « وبعد تمام هذه القصيدة : هَآكِهَآ... المعنى : نخذها - أعزك

الله - بنفسي لما الأمل فتقبل عابك مطمئنة ، ويمسدها الخجل فتنبض في حياء ؛
فكأنها بدنيا الأمل ويمسدها الخجل .

(٥) المعنى : لما ذنب التقصير عن إيفائك حقك من الثناء ولكنها تمت إليك ،

حُرْمَةُ الْإِخْلَاصِ لَكَ ، وَالتَّمَلُّقُ بِكَ .

(٦) شفع نعمة بنعمة : ضم إلى النعمة مثيلاً لها ؛ المعنى : اعف عن ذنب التقصير

كراماً لحُرْمَةِ الْوَفَاءِ .

(٧) يتأني : يتبها ؛ وفي الذخيرة « لتأني الإحسان من جهاته ، وتسلك إلى

أفضل طرقاته » وفي المواهب الفتحية « لتأني بذلك الإحسان من جهاته » وتسلك

أفضل طرقاته .

(٨) هذه الجملة لم ترد في تمام المتن ووردت ببقية الأصول وكلمة « تعالى » ساقطة

الذخيرة

٥٤

11

1

1

8

مكتبة الإسكندرية
ALEXANDRIA LIBRARY

Bibliotheca Alexandrina



0267875